الجامعة الإسلامية – غزة
عمــادة الدراسـات العليـا
كليــــــــــة الآداب
قســـم التاريــخ والآثــار



خلافة بني أمية عند خليفة بن خياط

(41 – 132هـ/ 661 – 749م)

دراسة تاريخية منهجية

إعداد الباحث/

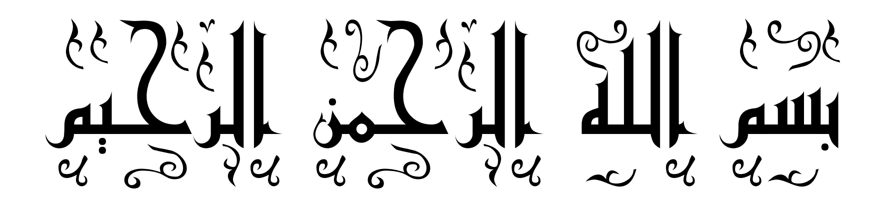
خليل نعيم خليل حسان

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور: رياض مصطفى شاهين

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير(بحث تكميلي) في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

1431هـ/ 2010م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

..إلى الذين قضوا نحبهم في ساحات الوغى...

دفاعاً عن حرية الوطن ..وكرامة الإنسان

إلى الشهيد..أحمد نعيم حسان

إلى فِراس..وإلى رَغَد..

أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

امتثالاً إلى واجب الشكر والعرفان، فإني أجد لزاماً على نفسي التقدم بجزيل التقدير للأستاذ الدكتور/رياض مصطفى شاهين، الذي تشرفت بقبوله الإشراف على رسالتي في الماجستير، فضلاً عن توجيهاته القيمة، وتعليماته النافعة؛

كما أقدّم عظيم امتناني وشكري لكلٍ من الدكتور/يوسف إبراهيم الزاملي، والدكتور/ سامي حمدان أبو زهري، وذلك بالنظر إلى موافقتهما بتشريفي في مناقشة هذه الرسالة، وبذل جهدٍ غير مقلٍ في قراءة أوراقها، والحكم عليها، وإبداء ملاحظاتهم المكمّلة، وتوجيهاتهم المفيدة؛

كما وأتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة في عمادة الدراسات العليا – قسم التاريخ، الذين شملوني بخبراتهم إبان تدريسهم إياي في دبلوم الدراسات العليا، كلٍ باسمه ولقبه؛

والشكر موصول إلى العاملين في مكتباتنا، وأخص بالذكر، مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة، مكتبة جامعة الأزهر بغزة، مكتبة جامعة الأقصى، مكتبة بلدية خان يونس، مكتبة الكتاب والسنة بخان يونس، مكتبة بلدية رفح، مكتبة الأستاذ الدكتور/ رياض شاهين، مكتبة الدكتور/ يوسف الزاملي، ومكتبة المهندس/وليد عطية الجزار، وذلك بالنظر إلى طبيعة الخدمات الجليلة التي وضعوها بين يدي، والشكر العميق إلى كلٍ من والدتي الغالية ووالدي العزيز، وإلى زوجتي وأولادي وبناتي أعظم تقديرٍ وامتنان، فضلاً عن أرحامي وأصدقائي؛..

الباحث

فهرست الموضوعات

المقدمـــــة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله وآله الطيبين، وصحبه المنتجبين، أما بعد:

لقد حاولتُ – رغم تواضع الجهد – أن أتناول في بحثي هذا إحدى أهم الأحقاب التاريخية المهمة، والتي ما فتئت تحتفظ بزخمها وبالغ تأثير تداعياتها، برغم مرور الوقت وتقادم السنين، والحقيقة أن سيفاً ما فتئ مسلَّطاً على رقاب البعض يحول دون الوصول إلى الجلية التي صدأت في ملفات غيرنا، ألا وهي ضغط الرأي العام المؤثر على طرائق تفكيرنا، والمحدّد لمساراته، بينما يُراد لأمةٍ بأكملها الغرق في تسطيح الأمور، والتعامل معها بوازع من البساطة، والتشكيك في الرأي الآخر، وترك المجال لمن هم على غير ديننا لأنْ يبصّرونا أو يرشدونا إلى الوجهة التي يبتغون هم أو يرتأون،.. لذا كان من الطبيعي أن تحتل مسألة " خلافة بني أمية عند خليفة بن خياط "، أو عند غيره، مركز الصدارة في المدارسة والنقاش بين المعنيين من المؤرخين والمفكرين، والتي يتأرجح موقفهم من هذه القضية ما بين مؤيد لهذا الفريق، أو معارضٍ لذاك؛

ولا غرو أن بحثاً يتمتع بهذه الحساسية والأهمية، يوجب على من يخوض غمارَ الكتابة فيه بذلَ جهدٍ ليس بالقليل، وبعزيمة لا تعرف إجمالاً الفتور؛

هذا ويمكن حصر الدوافع الكامنة وراء اختياري لهذا الموضوع في النقاط التالية:

1) الإبانة عن سيرة المؤرخ الكبير والمغمور في ذات الوقت خليفة بن خياط، وانعكاسات آثاره العلمية على منهج الكتابة التاريخية.
2) استجلاء الأوضاع التي كانت تنظم الحراك العام في الدولة الأموية، خصوصاً ما يتعلق منها بالنظام السياسي الإسلامي.
3) تبيان الملابسات الشائكة التي وقفت وراء تحول النظام السياسي الإسلامي من خلافة راشدة إلى ملك عضوض.
4) تجاوز ما اعتاد عليه ثلة من مؤرخينا حيال معالجاتهم غير المنهجية مع تلكم الأحداث التاريخية الفيصلية، الذين أضحى جلَّ همهم النيل من الدولة الأموية، والتنقيص من قدرها، إلى درجة نفي صفة الإسلام عن المنتسبين إليها، أو رفعها إلى مصاف الخلافة الراشدة التي كانت على نهج النبوة.
5) تركيز الضوء على عوامل النصر والهزيمة داخل المجتمعات الإسلامية.
6) القيام بدراسة منهجية بهدف التعرف على منهج خليفة بن خياط إبان كتابته لتاريخ خلافة بني أمية.

ولقد هدفت من وراء الولوج في غمار الكتابة فيه إلى:

1) التعريف بشخصية خليفة بن خياط.

2) تقديم صورة أقرب إلى الحقيقة حيال الأحداث العظيمة التي عصفت بالدولة الأموية.

3) استجلاء مواقف خليفة حيال أهم القوى السياسية والفكرية المعارضة للخلافة الأموية.

4) إبراز أهم الإسهامات التي قدمها لنا خليفة بن خياط من خلال مروياته إزاء بعض التنظيمات الإدارية والعسكرية التي أُعتمد العمل بها في الدولة الأموية.

أما فيما يتعلق بحدود الدراسة، فإن حدودها تمتد منذ العام 41/ 132هـ الموافق 661 – 749م، وهي المدة التي حكمت خلالها الدولة الأموية العالم الإسلامي، معتمِداً على النسخة المحققة من كتاب " تاريخ خليفة بن خياط "، والتي قام بتحقيقها الدكتور/ أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1405هـ/ 1985م.

وإنه ليس من نافلة القول التنويه إلى أنني قد واجهت في سبيل إنجاز هذا العمل العديد من العراقيل والمعوِّقات، والتي يقف على رأسها تلك التي تُعْنى بحيازة القدرة على ما أسمّيه بوجوب تجاوز المعالجات التقليدية لملفات تاريخنا التي وقعت في الصدر الأول من تاريخ الإسلام، والنأي عن الخلوص إلى استنتاجات ذات صلة بأي تجنٍ فاضح، أو تشكيك مغرض، وقد استندت في تحقيق ذلك إلى اعتماد منهج البحث التاريخي، والقيام بعقد الكثير من المقابلات بين النصوص والآراء عند المتقدمين والمتأخرين، ومما يزيد البحث عسرة ومشقة أن الباحث في التاريخ لا يستهدف إلا وضع يده على الحقيقة وتبيانها للناس، مع يقيني بأن هذا المطمح ليس بمقدور أحدٍ أن يلج فيه، أو أن يخرج منه بسلام وعافية، طالما لم يحُز درجة عالية من الحيدة، ومن سعة في العلم، وسلامة في الصدر.

وأما فيما يختص بالدراسات السابقة ذات الشأن، فإنه وفي حدود قراءاتي المتواضعة، لم تقع عيناي على دراسات سبقتني إلى هذا الحقل من الكتابة والبحث، حاشا دراسة الأستاذ/ إبراهيم أبو شبيكة التي تحمل عنوان(خلافة بني أمية عند المسعودي).

بقيت الإشارة إلى أن البحث قد وقع في مقدمةٍ وأربعة فصول وخاتمة، إذ احتوت المقدمة على إطلالة مقتضبة عن موضوع البحث، وأسباب اختياره، والهدف من وراء الكتابة فيه، وحدود الدراسة، وأهم الصعوبات التي اعترضته، ثم أعقبت ذلك بإيراد دراسة تحليلية موجزة عن أهم مصادر البحث ومراجعه.

الفصل الأول: حيث صدَّرته بالحديث عن نسب خليفة بن خياط وكنيته، وعصره، وعقيدته، ومكانته العلمية، وثقافته، ومصنفاته التي وصلت إلينا، وهي: كتاب الطبقات، وكتاب التاريخ، ومنهجه في كتابة كليهما، ثم أنهيته بإيراد موارده في التاريخ، ثم وفاته.

أما الفصل الثاني: فقد تطرقت فيه إلى الحديث عن موقف خليفة بن خياط من الأحداث المهمة في الدولة الأموية، كبيعة الحسن بن علي بالخلافة، وعام الجماعة، واستلحاق معاوية بن أبي سفيان لزياد بن أبيه، ومقتل حُجْر بن عدي، والبيعة ليزيد بولاية العهد، ووقعة الحَرَّة، وحرق الكعبة، وأخيراً مؤتمر الجابية.

أما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه موقف خليفة بن خياط من حركات المعارضة في الدولة الأموية، كالخوارج، وخروج الحسين بن علي، وثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وحركة عبد الله بن الزبير، وفتنة عمرو بن سعيد الأشدق، وثورة عبد الرحمن بن الأشعث، وثورة يزيد بن المهلب، والدعوة العباسية.

أما الفصل الرابع: فقد عالجتُ فيه موقف خليفة من أبرز التنظيمات الإدارية والعسكرية في الدولة الأموية، كولاية العهد، والقضاء، والحجابة، وإمارة الموسم، وديوان الرسائل، وديوان الخاتم، وديوان بيت المال، وديوان الخراج والجند، والشرطة، ثم ختمته بتبيان علاقة خلفاء بني أمية بعمالهم.

أما في الفصل الخامس: فقد عمدتُ فيه إلى استجلاء موقف خليفة بن خياط من خلفاء بني أمية، وذكر أهم الفتوحات التي جرت في عهدهم.

وعليه فإنني لا أملك إلا التمني لقُرَّاء هذا البحث الانتفاع بما جاء فيه، وأن أكون من الذين أعطوا هذا الموضوع حقه، وراجياً المولى عز وجل أن يجعل هذا الجهد المقل في ميزان أعمالنا، وأن يكون قد ألهمني – إبان كتابته – التوفيق والسداد،..وإني إنْ أحسنتُ فبتوفيقٍ من الله، وإن كنتُ قد أخطأتُ فمن عند نفسي، ولله درّ أستاذ العلماء البلغاء القاضي عبد الرحيم البيساني الذي بعث برسالة إلى العماد الأصفهاني جاء فيها:

(إني رأيت أنه لا يَكْتِبُ إنسانٌ كتاباً في يومه، إلا قال في غده:
لو غيَّر هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدَّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر).

دراسة تحليلية لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث

1. **الطبري، محمد بن جرير(ت: 310هـ/922م):**

ولد ابن جرير الطبري في سنة أربع وعشرين ومائتين، وذلك بمدينة آمل طبرستان[1]، وما أن بلغ الثانية عشرة حتى رحل عن مسقط رأسه، حيث كان أبوه يرسل له كل ما يحتاج إليه في أسفاره، وذلك بغية أن يكفيه مئونة العيش وصعوبة الرزق، فضلاً عن النأي بابنه بعيداً عن منح الملوك وعطايا الخلفاء[2]، وبلغ الطبري منزلة رفيعة عند العلماء، حتى أن الإمام الذهبي وصفه بقوله: "كان ثقةً، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك "[3]، في حين نعته ابن العماد واصفاً إياه بأنه " الحَبْر، البحر، الإمام "[4]

وكان الطبري مكثراً في تنقلاته بين الأمصار، حيث كانت رحلته الأولى إلى الري، وما حولها من بلدان، وفيها أخذ العلم عن شيوخها، ثم توجه إلى بغداد ليتلقى العلوم عن أحمد بن حنبل، لكنه لم يره، لأن الأخير توفي قبل دخوله بغداد بقليل، فسارع إلى التوجه للكوفة وتتلمذ على شيوخها، ثم عاد إلى بغداد، ومال إلى التفقه على المذهب الشافعي، ثم توجه إلى مصر، وفي طريقه إليها أطال المكوث في بيروت، ثم وصل الفسطاط، فالشام، ثم رجع إلى مصر ثانيةً، ثم عاد إلى بغداد ليستقر فيها، وليستريح من عناء الأسفار[5]

ولقد تحدث الطبري في كتابه " تاريخ الرسل والملوك " عن الدولة الأموية جزءاً كبيراً من الفصل الخامس، ثم الفصل السادس، وأكثر من نصف الفصل السابع، حيث كان يعتمد الطريقة الحولية في سوق الروايات المسندة، كما أن قيمته تأتي من جهة قرب ولادته من الأحداث المتعلقة بالدولة الأموية، فضلاً عن سعة علمه، ورفعة منزلته الدينية عند المسلمين.

2. **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد(ت: 328هـ/939م):**

ولد ابن عبد ربه في مدينة قرطبة سنة ست وأربعين ومائتين[6]، حيث كانت تعصف ببلاد الأندلس في هذه المرحلة موجةٌ عارمة من اللهو والعبث، فلما اشتد عوده نسج علاقات متينة بأمراء عصره، أمثال أمير قرطبة محمد بن عبد الرحمن الحكم، وابنه المنذر أيضاً،

---

(1) الذهبي، سير، ج14، ص267. ابن العماد، شذرات، ج4، ص53.

(2) الطبري، تاريخ،(المحقق)، ج1، ص6. ابن كثير، البداية، ج14، ص846.

(3) سير، ج14، ص270.

(4) شذرات، ج4، ص53.

(5) الطبري، تاريخ،(المحقق)، ج1، ص6- 10.

(6) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص112.

كما وأقام أواصر من المودة مع عبد الرحمن بن محمد الملقب بالملك الناصر[1]، وما كان لذلك أن يحدث لولا أنـه يعدُّ من " العلماء المكثرين من المحفوظات، والاطلاع على أخبار الناس "[2]، وأنه من " من الفضلاء المكثرين، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين، وكتابه (العقد) يدل على فضائل جَمَّة، وعلوم كثيرة مُهمَّة "[3]، ويُعْتَبَر كتاب العقد الفريد من " الكتب الممتعة، حوى من كل شيء "[4]، وذلك لأن كاتبه منعوت بأنه " العلامة، الأديب، الأخباريّ "[5]

ولقد قام ابن عبد ربه بتقسيم كتابه إلى خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزءان، فأصبح الكتاب يقع في خمسين جزءاً، حيث توزعت موضوعات الكتاب بين المواضيع ذات الطابع السياسي، والحروب، والأمثال، والمواعظ، والتعازي، وكلام الأعراب وخطبهم وأنسابهم وعلومهم وأيامهم، وأخبار المشهورين من الخلفاء والقادة، كما تضمن الكتاب الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأشعار والأخبار التاريخية، كما احتوى فصولاً نقدية ودينية قيمة[6]

3. ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب(ت: 421هـ/1030م)

ولد في سنة عشرين وثلاثمائة، وتوفي في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة[7]، ويكنى أبا علي الخازن، وشرع في تأليف كتابه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) مبتدئاً إياه من بعد حادثة الطوفان، واستمر حتى سنة تسع وستين وثلاثمائة، وله كتاب الفوز الكبير، والفوز الأصغر، وأنس الفريد، وترتيب العادات، والمستوفى، والجامع، والسير، وغيرها[8]، وهو " معدود في فلاسفة الإسلام "[9]، وتجيء قيمة كتاب (تجارب الأمم) الذي يقع في خمسة أجزاء، في أن صاحبه كان يدرك أن التاريخ يشتمل على جملةٍ من الأحداث التي يمكن أن تفيد الإنسان على صعيد حياته الفردية والاجتماعية، فضلاً عن أنه وجد أن مصادر التاريخ محشوَّة بالأسماء، وزاخرة بالأساطير والخرافات، فعمد إلى نقدها، وإخراج غير المهم منها، ويعتبر ابن مسكويه

---

(1) ابن عبد ربه، العقد، ج1، ص: ج.

(2) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص110.

(3) ابن كثير، البداية، ج15، ص120- 121.

(4) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص110. يقول ابن العماد: " وحوى كتابه (العقد) كل شيء ". شذرات، ج4، ص146.

(5) الذهبي، سير، ج15، ص283.

(6) ابن عبد ربه، العقد،(المحقق)، ج1، ص:ج- د.

(7) ابن مسكويه، تجارب،(المحقق)، ج1، ص27.

(8) الصفدي، الوافي، ج8، ص72- 73.

(9) المصدر نفسه، ج8، ص74.

رائداً في الكتابة العلمية للتاريخ، وهو " أول من شقَّ الطريق إلى فلسفة التاريخ "[1]، كما أنه اعتمد في تاريخه على مصادر متنوعة ومتعددة، من أبرزها كتاب الطبري، بيد أنه أخذ عنه " أَخْذَ نقدٍ واختيار، وتعديلٍ وتمحيص، وحذفٍ وإضافة من مصادر أخرى "[2]، علاوةً على اهتمامه بسرد الأحداث المتعلقة بالدولة الأموية، حيث شرع بالحديث عنها في نهاية الجزء الأول من مصنَّفه، وكامل الجزء الثاني، ومطلع الجزء الثالث.

4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت: 597هـ/1200م):

ولد ابن الجوزي في سنة تسعٍ أو عشرٍ وخمس مائة[3]، وكان ينحدر من أسرة أبي بكر الصديق[4]، حيث نشأ في بغداد، وهو بهذا يكون قد أدرك غالبية السنوات التي وقعت في القرن السادس الهجري، فضلاً عن أنه عاصر ستةً من الخلفاء العباسيين، إذ توفي في عصر الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي تولى الخلافة سنة 575هـ/1179م وحتى 622هـ/1225م، وهي فترة اتسمت بغياب الاستقرار السياسي والاجتماعي والفكري[5]

يتكون كتاب المنتظم من ثمانية عشر جزءاً، حيث تتبع فيه ابنُ الجوزي ذكرَ الأدلة على وجود الله، ثم تطرق إلى بدء الخليقة، فضلاً عن أنه اهتم بتاريخ الأمم، كما وأطال في تاريخ الفرس وملوكهم، سيما كسرى أنوشروان، إلا أنه لم يعط أهمية كبيرة لتاريخ دولة الروم، كما وتجاهل تاريخ الصين ومصر، متأثراً في ذلك بتاريخ سلفه ابن جرير الطبري، ومع ذلك فقد اهتم بتفاصيل السيرة النبوية، ثم العصر الراشدي والعصر الأموي، والعصر العباسي، كما لم يغفل علاقة الدولة الأموية بالروم، وفعل نفس الأمر مع الفتوحات الإسلامية في الأندلس، وفي المشرق الإسلامي[6]، ولقد تحدث عن الدولة الأموية في نصف الجزء الخامس، وكل الجزء السادس، ومعظم الجزء السابع، حيث كان يتبع الطريقة الحولية في سرده للوقائع التاريخية، وتجيء أهمية هذا المصدر في أن مصنّفه يعدُّ من أبرز علماء الدين في زمانه، فضلاً عن أنه انتهج منهج الطبري في كتابة التاريخ، سيما المتعلق بالطريقة الحولية.

---

(1) ابن مسكويه، تجارب،(المحقق)، ج1، ص48- 49.

(2) ابن مسكويه، تجارب،(المحقق)، ج1، ص50- 51.

(3) الذهبي، سير، ج21، ص366. ابن كثير، البداية، ج16، ص707. ابن العماد، شذرات، ج6، ص537.

(4) الذهبي، سير، ج21، ص365. ابن كثير، البداية، ج16، ص706- 707. ابن العماد، شذرات، ج6، ص537.

(5) ابن الجوزي، المنتظم،(المحقق)، ج1، ص5 -6.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص36- 40.

5. الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت: 626هـ/1228م):

ولد ياقوت الحموي في سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة، وذلك ببلاد الروم[1]، حيث اجتهد في طلب العلم، إلى أنْ أصبح من العلماء المبرزين في عصره، فوصفه الذهبي بأنه " السفّار، النحوي، الأخباري، المؤرخ "[2]، ويعتبر كتاب معجم البلدان من الموسوعات الجغرافية الكبرى، وذلك بالنظر لما احتواه من معلومات عن الأقاليم والبلدان، وما يقع فيها من جبال وأنهار، علماً بأن هذا المؤلَّف قد عمد مؤلِّفه إلى ترتيبه حسب الأحرف الأبجدية، وهو الأمر الذي يتيح يُسْرَةً في البحث والمتابعة.

6. ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد(ت: 630هـ/1232م):

ولد ابن الأثير في سنة خمس وخمسين وخمسمائة[3]، وذلك في منطقة الجزيرة، ثم توجه إلى الموصل مع والده وأخويه، وسكنوا بها، وكان " إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم "[4]، وامتدحه الذهبي واصفاً إياه بأنه " الشيخ، الإمام، العلامة، المحدِّث، الأديب، النَّسّابة "[5]

ولقد امتاز كتاب " الكامل في التاريخ " بأنه أحد أهم المصادر التاريخية التي تناولت الوقائع التاريخية منذ بدء الخليقة إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة[6]، وهو من كتب التاريخ التي تعتمد النظام الحولي في كتابتها، ويعدُّ هذا الكتاب " من خيار التواريخ "[7]، في حين يراه ابن كثير أنه " من أحسنها حوادث "[8]، ولقد استفاد الباحث من هذا المصنَّف كثيراً، حيث تناول الدولة الأموية في حوالي نصف الجزء الثالث، وكل الجزء الرابع، وأقل من مائة صفحة بقليل من الجزء الخامس، ولقد ذكر الدكتور جمال عمار، أهم ملامح طريقة التأليف عند ابن الأثير، وذكر منها النقاط التالية:

---

(1) ابن خلكان، وفيات، ج6، ص139.

(2) سير، ج22، ص312.

(3) ابن العماد، شذرات، ج7، ص241.

(4) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص348.

(5) سير، ج22، ص353.

(6) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص348. ابن كثير، البداية، ج17، ص210. يقول ابن العماد: " ابتدأ فيه من أول الزمان، إلى سنة تسع وعشرين وستمائة ". شذرات، ج7، ص242.

(7) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص348. ابن العماد، شذرات، ج7، ص241– 242.

(8) البداية، ج17، ص210.

1) جمع ابن الأثير الحوادث الصغيرة في مكان واحد، وذلك في نهاية كل عام تحت عنوان " ذكر عدة حوادث ".
2) تابع ابن الأثير وفيات الأعيان والفضلاء والعلماء في نهاية كل عام.
3) انحسر اهتمام ابن الأثير على مناطق محددة من العالم الإسلامي، حيث ركز على منطقة مصر والشام والجزيرة بشمال العراق، وذلك دون غيرها من المناطق، بينما لا نجد أخباراً كثيرة عن الترك والروم والبربر [1]

7. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت: 681هـ/1282م):

ولد ابن خلكان في سنة ثمان وستمائة، في مدينة إربل[2]، وتفقه بالموصل على يد كمال الدين بن يونس، أما في حلب فقد أخذ العلم عن القاضي بهاء الدين بن شداد، ثم دخل مصر، ومكث فيها مدة من الزمن، وناب بها في القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاري[3]، وهو " أحد الأئمة الفضلاء، والسادة العلماء، والصدور الرؤساء "[4]، قال ابن كثير: " وله التاريخ المفيد الذي رسمه " بوفيات الأعيان " من أبدع المصنَّفات "[5]، ولقد احتوى هذا المصنَّف على عدد كبير من التراجم، ساعدت في إتمام هذا البحث بدرجة عالية من وفرة المادة العلمية، سيما وأن مصنفه اعتمد كثيراً على تاريخ دمشق لابن عساكر.

8. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت: 748هـ/1347م):

ولد الذهبي في سنة ثلاث وسبعين وستمائة[6]، وكان ينتمي إلى أسرة تركمانية مشهورة بالعلم والتدين، حيث بدأ حياته العلمية حينما بلغ سن الثامنة عشرة من عمره، وكانت رحلته إلى بعلبك هي أول رحلة له في سنة 693هـ/1293م، ثم منها توجه إلى حلب، وحمص، وطرابلس، ونابلس، والرملة، والقدس، وغيرها من بلاد الشام، ثم سافر إلى مصر، وكانت تربطه علاقات جيدة بأقرانه ومعاصريه من العلماء، حيث اتصل بثلاثة من علماء عصره وهم: يوسف بن عبد الرحمن المزي(ت: 742هـ/1341م)، وابن تيمية(ت: 728هـ/1327م)، والقاسم بن محمد البرزالي(ت: 739هـ/1338م)، وكان الإمام الذهبي أصغرهم سناً، فكانوا بالنسبة إليه

---

(1) عمار، التاريخ، ص66-68.
(2) ابن العماد، شذرات، ج7، ص647.
(3) ابن خلكان، وفيات،(المحقق)، ج1، ص5.
(4) ابن كثير، البداية، ج17، ص588.
(5) المصدر نفسه، ج17، ص588.
(6) ابن العماد، شذرات، ج8، ص265.

شيوخاً وأقراناً[1]، ولقد ألف الذهبي كتاب " سير أعلام النبلاء " بعد أن فرغ من كتابه " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "، والذي انتهى من كتابته لأول مرة في سنة 714هـ/1314م، كما وقام بتنظيم كتابه على نظام الطبقات، حيث أنه جعله في حوالي أربعين طبقة، وهو الأسلوب الذي اعتاد المؤلفون المسلمون انتهاجه منذ المراحل المبكرة من التأليف[2]

ويعتبر كتاب " سير أعلام النبلاء " من أضخم الموسوعات التي تناولت موضوع التراجم والطبقات، حيث يتميز بتغطيته لأكثر من سبعمائة سنة من تراجم الرجال الذي حملوا أعباء الدعوة الإسلامية، فضلاً عن أن هذا المصنف قد شمل في صفحاته طبقات المجتمع الإسلامي كافة، من خلفاء، وملوك، وأمراء، وشعراء، ولقد استفاد الباحث من هذا المصنّف لكونه احتوى أعداداً كبيرة من التراجم التي أتى المصنِّف على ذكر رجالاتها، علماً بأن هناك مصنفات أخرى للذهبي استفاد منها الباحث، منها: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، والعبر في خبر من غبر.

9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت: 774هـ/1372م):

ولد ابن كثير في سنة إحدى وسبعمائة، حيث عكف منذ صغره على طلب العلم، واستهل بداية مشواره في التحصيل العلمي على يد أخيه عبد الوهاب، فحفظ القرآن الكريم في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، لكنه سرعان ما اجتهد في الأمر عند كبار علماء عصره، وقرأ في التفسير حتى عدّه معاصروه من المفسرين، وكانت تربطه بشيخ الإسلام ابن تيمية علاقات وطيدة ومميزة، وكان يتابع ابن تيمية في كثير من مسائله وآرائه، ولقد تجلت مكانته العلمية من خلال كثرة المدارس التي تولى أمرها، وكثرة المساجد التي كان يلقي فيها دروسه، فضلاً عن تنوع مصنفاته في التفسير والتاريخ والحديث[3]

ويعتبر كتاب البداية والنهاية من أمهات الكتب التاريخية، إذ جرى تأليفه في نهايات القرن الثامن الهجري، حيث استهل كتابته لهذا التاريخ بالحديث عن بدء الخليقة، حتى وصل إلى سنة 767هـ/1365م، متحدثاً عن قصص الأنبياء، والشعوب والأمم التي ورد ذكرها على صفحات القرآن الكريم، ثم اهتم بتبيان "الغرائب والمناكير والإسرائيليات "، ثم عمد إلى تحقيق تاريخ السيرة النبوية وما تلاها من أحداث إلى زمنه الذي يعيش فيه، كما وتحدث عن الفتن وأشراط الساعة والملاحم[4]، ولقد تناول ابن كثير أحداث الدولة الأموية في الجزء الحادي

---

(1) الذهبي، سير،(المحقق)، ص14- 35.

(2) الذهبي، سير،(المحقق)، ص92- 98.

(3) ابن كثير، البداية،(المحقق)، ج1، ص13- 16.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص5- 6.

عشر، وكل الجزء الثاني عشر، وأكثر من ربع الجزء الثالث عشر، وقد اعتمد في كتابته للتاريخ الطريقة الحولية في إيراد الوقائع التاريخية، ما سهّل على الباحث سهولة العثور على المعلومات المطلوبة.

10. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت: 808هـ/1405م):

ولد العلامة ابن خلدون في مدينة تونس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة(1)، حيث ترجع جذوره إلى الأصول الأندلسية الأشبيلية، وتلقى العلوم والمعارف على يد عدد غير يسير من العلماء الأندلسيين الذي حطوا رحالهم في هذه المدينة، فلما أصبح رجلاً يافعاً خدم في بلاط بني مرين في مدينة فاس، كما واتصل بالوزير لسان الدين بن الخطيب أثناء مكوثه مع سلطانه المنفي إلى المغرب، لكن ابن خلدون اعتزل السياسة، سيما في أعقاب مقتل صديقه ابن الخطيب في السجن، ثم رحل إلى مصر، وتولى فيها منصب قاضي القضاة المالكية(2)، يقول ابن العماد: " وصنّف (التاريخ الكبير) في سبع مجلدات ضخمة، ظهرت فيه فضائله، وأبان فيه عن براعته "(3)، ويتكون كتاب ابن خلدون من سبعة أجزاء، احتوى الجزء الأول على مقدمته المشهورة، والتي ضمت بين صفحاتها نظرته حيال التاريخ باعتباره نوع من أنواع الفلسفة، وأنه لا بد من القيام بتحليل الحوادث التاريخية، ثم تناول في بقية أجزاء مصنفه " أخبار العرب وأجيالهم، ودولهم، ومن عاصرهم من الدول المشاهير، منذ بدء الخليقة إلى عصره، ثم أخبار البربر وأجيالهم، وما كان بديار المغرب خاصة والمشرق عامة من الملك والدول"(4)

11. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد(ت: 911هـ/1505م):

ولد جلال الدين عبد الرحمن سنة تسع وأربعين وثمانمائة(5)، وظل طوال حياته شغوفاً بالعلم، وقد أحصى في ترجمته لنفسه نحواً من ثلاثمائة كتاب، كان قد صنَّفها في التفسير واللغة والتاريخ والأدب(6)، ووصفه ابن العماد بأنه " المُسنِد، المحقِّق، المدقِّق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة "(7)، كما واعتبر أن مناقب هذا الرجل أكثر من أن تحصى، فقال:"

---

(1) ابن العماد، شذرات، ج9، ص114.
(2) ابن خلدون، تاريخ،(المحقق)، ج1، ص3.
(3) شذرات، ج9، ص115.
(4) ابن خلدون، تاريخ،(المحقق)، ج1، ص4.
(5) ابن العماد، شذرات، ج10، ص74.
(6) السيوطي، تاريخ،(المحقق)، ص:ح- خ.
(7) شذرات، ج10، ص74.

ومناقبه لا تحصر كثرةً، ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها، لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقدرة "[1]

ولقد ابتدأ السيوطي في تاريخه بالحديث عن اعتذاره كونه لم يذكر الفاطميين من بين الخلفاء، والتأكيد على أن الأئمة من قريش، وقيامه بسرد الأحداث المنذرة من خلافة بني أمية، والمبشِّرة بخلافة بني العباس، ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين الأربعة، وأعقبهم بخلافة الحسن بن علي، ثم ذكر الخلفاء الأمويين جميعهم، فالعباسيين في العراق، مبتدئاً بالخليفة العباسي الأول وهو السفاح، ومنتهياً بآخرهم وهو المستعصم بالله، ثم شرع بشرح حال التتار ووقائعهم، ثم تحدث عن الخلفاء العباسيين في مصر، من المستنصر بالله أحمد حتى المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب، ثم تحدث قليلاً عن الدولة الفاطمية، ودولة بني طباطبا، والدولة الطبرستانية، منهياً تاريخه بسرد الفتن العظمى التي كانت في كل قرن، ولقد أفاد هذا المصنَّف الباحثَ أثناء كتابته للفصل الأخير المتعلق بخلفاء بني أمية.

12. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت: 1089هـ/1678م):

ولد ابن العماد في صالحية دمشق، وذلك سنة اثنتين وثلاثين وألف، وطلب العلم مبكراً، وكان من أبرز شيوخه الشيخ أيوب الخَلْوَتي، ثم رحل من بعد ذلك متوجهاً إلى مصر، حيث تتلمذ على أيدي بعض علمائها، كالشيخ سلطان المَزَّاحي، والنور الشَّبْرامَلِّسي، وشمس الدين البابلي، وشهاب الدين القليوبي، ثم قفل عائداً إلى دمشق، والتزم فيها الإفادة والتدريس، ويعتبر هذا المصنَّف من أهم المؤلفات التي تحدثت عن التاريخ العربي والإسلامي، كالحروب والولادات والوفيات، وأخبار الأعلام، وذلك " من غير إخلال ولا إطناب، إلا فيما ندر "، ولقد امتاز ابن العماد في كتابه " شذرات الذهب " كونه يؤرخ من السنة الأولى إلى سنة ألف للهجرة، فضلاً عن صفة الحياد التي لطالما تمسك بها، برغم أنه كان يناقش مصنفي الكتب التي أخذ عنها تاريخه، وذلك بطريقة تثبت مدى تعمقه في استيعاب التاريخ وأحداثه[2].

---

(1) المصدر نفسه، ج10، ص78.

(2) ابن العماد، شذرات،(المحقق)، ج1، ص86- 94.

الفصل الأول

حياة خليفة بن خياط ومنهجه في كتابة التاريخ

نسبه وكنيته:

هو الإمام الحافظ العلامة خَلِيْفة بن خَيَّاط العُصْفُرِيّ البَصْري[1]، والعُصْفُرِيّ: نسبة إلى العُصْفُر، وهو ما تُصْبَغ به الثياب حُمْراً[2]، يقول السمعاني: " هذه النسبة إلى العُصْفُر وبيعه وشرائه، وهي شيء تصبغ به الثياب "[3]، وقيل: فَخْذٌ من العرب[4]، وينحدر في أصوله من بني شَيْبان[5]، ويُكْنَى أبا عمرو[6]، وأبا بكر[7]،

---

(1) البخاري، التاريخ، ج2، ص193. أبو داود، سؤالات، ج2، ص34. العقيلي، الضعفاء، ج2، ص370. ابن حَبَّان، الثقات، ج8، ص233. ابن عدي، الكامل، ج3، ص517. ابن النديم، الفهرست، ص324. ابن مَنْدة، أسامي، ص47. الكَلاباذي، رجال، ج1، ص232. ابن حَمْدويه، المدخل، ج2، ص255. السمعاني، التحبير، ج2، ص72. ابن الأثير، اللباب، ج2، ص344. المزي، تهذيب، ج8، ص314. الصالحي، طبقات، ج2، ص88. الذهبي، ميزان، ج2، ص457؛ الكاشف، ج1، ص375. الصفدي، الوافي، ج13، ص238. ابن حجر العسقلاني، هدي، ص421؛ تغليق، ج1، ص398. السيوطي، طبقات، ص190. الكتاني، الرسائل، ص104. البغدادي، هدية، ج1، ص350. سزكين، تاريخ، ج1، ص209. الزِرِكْلي، الأعلام، ج2، ص312. كحالة، معجم، ج1، ص676. الجابي، معجم، ص244. مصطفى، التاريخ، ج1، ص234- 236.

(2) السمعاني، التحبير، ج2، ص72. ابن الأثير، اللباب، ج2، ص344. الكتاني، الرسائل، ص104.

(3) الأنساب، ج4، ص202.

(4) المزي، تهذيب، ج8، ص314. منشد، مرويات، ص142.

(5) الكتاني، الرسائل، ص104. الزركلي، الأعلام، ج2، ص312. بنو شيبان: هم بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم أبناء شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر. القلقشندي، نهاية، ص283.

(6) ابن عدي، الكامل، ج3، ص517. السمعاني، الأنساب، ج2، ص426-427. المزي، تهذيب، ج8، ص314. الصالحي، طبقات، ج2، ص88. الذهبي، العبر، ج1، ص339؛ سير، ج11، ص472؛ تذهيب، ج3، ص138؛ الكاشف، ج1، ص375. الصفدي، الوافي، ج13، ص238. ابن حجر العسقلاني، هدي، ص421؛ تغليق، ج1، 398. السيوطي، طبقات، ص190. ابن العماد، شذرات، ج3، ص181. الكتاني، الرسائل، ص104. البغدادي، هدية، ج1، ص350. سزكين، تاريخ، ج1، ص209. الزِرِكْلي، الأعلام، ج2، ص312. كحالة، معجم، ج1، ص676. الجابي، معجم، ص244. السباعي، خليفة، ص26. منشد، مرويات، ص142.

(7) الرازي، الجرح، ج1، ص378.

ويُعْرَف بـ " شَبَاب "[1]، وهو لقب غلب عليه[2]، وإن كان ابن خَلّكان قد جزم بحدوث اختلاف في سبب تلقيبه بهذا اللقب، بَيْدَ أنه لم يُشِر إلى أي معنى له[3]، وقال أكرم ضياء العمري: " ولا نعلم سبب تلقيبه بهذا اللقب "[4]، وكان ابن النديم يذكره بلفظ " شبيب "[5]

وأبوه خياط بن خليفة بن خياط[6]، وهو من أهل البصرة أيضاً، وروى عنه ابنه خليفة ابن خياط[7]، وجده هو أبو هبيرة خليفة بن خياط[8]، وثّقه يحيى بن معين(ت: 233هـ/847م) بقوله: " خليفة بن خياط ثقة "[9]، حيث سمع من حميد بن أبي حميد الطويل(ت:142هـ/759م)، وكان راوياً لعمرو بن شعيب(ت: 118هـ/736م)، وروى عنه أبو الوليد الطيالسي(ت: 227هـ/841م).[10]

---

(1) ابن مَنْدة، أسامي، ص47. الكَلاباذي، رجال، ج1، ص232. ابن حَمْدويه، المدخل، ج2، ص255. السهمي، تاريخ، ص175. البغدادي، السابق، ص158. السمعاني، التحبير، ج2، ص72؛ الأنساب، ج2، ص427؛ ج3، ص552؛ ج4، ص203؛ ج5، ص86. ابن عساكر، تاريخ، ج1، ص24؛ ج2، ص180؛ ج3، ص200؛ ج4، ص186؛ ج12، ص70. ابن الأثير، اللباب، ج2، ص344. المزي، تهذيب، ج8، ص314. الصالحي، طبقات، ج2، ص88. الذهبي، ميزان، ج2، ص457. تذكرة، ج2، ص23؛ المشتبه، ج2، ص387؛ الكاشف، ج1، ص375. الصفدي، الوافي، ج13، ص238. ابن حجر العسقلاني، نزهة،ج1، ص393. السيوطي، تدريب، ج2، ص293. ابن العماد، شذرات، ج3، ص181. الكتاني، الرسائل، ص104. البغدادي، هدية، ج1، ص350. الزِرِكْلي، الأعلام، ج2، ص312. كحالة، معجم، ص178. الجابي، معجم، ص244. السباعي، خليفة، ص26.

(2) البغدادي، موضح، ج2، ص86. منشد، مرويات، ص142.

(3) وفيات، ج2، ص244.

(4) ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص5.

(5) الفهرست، ص324.

(6) ابن حَبَّان، الثقات، ج8، ص231.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص231.

(8) أبو داود، سؤالات، ج2، ص33- 34. الترمذي، علل، ص393. الرازي، الجرح، ج1، ص378. ابن حَبَّان، مشاهير، ص187. الذهبي، المقتنى، ج2، ص123. الصفدي، الوافي، ج13، ص237.

(9) الرازي، الجرح، ج1، ص378. الصفدي، الوافي، ج13، ص237.

(10) السمعاني، الأنساب، ج4، ص203.

ومات أبو هبيرة سنة ستين ومائة[1]، وقد ذكر أبو عمرو خليفةُ بن خياط جدَّه أبا هبيرة خليفةَ بن خياط في طبقاته فقال: " خليفة بن خياط، مات سنة ستين ومائة، يكنى أبا هبيرة، وهو جدي، مات وشعبة[2] في شهر. "[3]

عصره:

في أعقاب انتقال الدعوة العباسية من طورها السري إلى العمل في العلن، دارت نزاعات دموية بين العباسيين والأمويين انتهت بهزيمة الأمويين في موقعة الزاب[4]، وقيام الدولة العباسية، ما انعكس على مجمل الحياة الإسلامية بشكل عام، ونظم الحكم والإدارة بشكل خاص، إذ إن انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين لم يكن مجرد بيعة خليفة دون آخر، إنما كان ثورة في تاريخ المسلمين، بيد أن حكم العرب لم ينتهِ بوصول العباسيين إلى سدة الخلافة، ولكن الامتيازات التي كان يختص بها العرب دون العناصر الأخرى في الدولة كانت قد زالت، وإن بقي العرب في العصر العباسي الأول يتقلدون المناصب العليا في الدولة، كالعُمّال وقادة الجيوش وإمرة الحج، سيما وأن الخلفاء العباسيين كانوا عرباً من بني هاشم، فضلاً عن أن الدولة العباسية قد تحولت إلى دولة متعددة العناصر، بعد أن كانت في الدولة الأموية أحادية القومية[5]

عاصر المؤرخُ خليفة بن خياط العصر الأول من الحكم العباسي الذي استمر حوالي قرن من الزمن، حيث امتد هذا الطور من 132 – 232 هـ/ 749 – 847م، وهي الحقبة التي حكم خلالها تسعة من الخلفاء، وهم:

أبو العباس السفاح(132هـ/136هـ)، وأبو جعفر المنصور(136هـ/ 158هـ)، والمهدي بن المنصور(158هـ/ 169هـ)، وابناه: موسى الهادي بن المهدي(169هـ/ 170هـ)، وهارون الرشيد(170هـ/193هـ)، ثم أبناء الرشيد الثلاثة: الأمين(193هـ/ 198هـ)، والمأمون(198هـ/

---

(1) ابن خياط، الطبقات، ص222. ابن حَبَّان، مشاهير، ص187. السمعاني، الأنساب، ج4، ص203. الصفدي، الوافي، ج13، ص237.

(2) ابن الحجاج بن الوَرْد، رأى كلاً من الحسن وابن سيرين، وهو شيخ المحدثين، وكان يُلَقّب بأمير المؤمنين، وكان أول من تكلم بالرجال، وكان الشافعي يقول عنه: لولاه ما عُرف الحديث بالعراق، مات بالبصرة عن ثمانٍ وسبعين سنة. ابن كثير، البداية، ج13، ص485– 487.

(3) ص222.

(4) وهي المعركة الفاصلة التي جرت بين القوات العباسية بقيادة عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، والقوات الأموية بزعامة آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، حيث انتهت هذه المعركة بهزيمة الدولة الأموية، وسميت بهذا الاسم لأنها وقعت قرب نهر الزاب الأكبر في الموصل، والذي يصب في نهر دجلة. ابن خياط، تاريخ، ص403–404. واصف، معجم، ص60– 61.

(5) عاصي، خليفة، ص6– 8.

218هـ)، والمعتصم(218هـ/227هـ)، ثم الواثق بن المعتصم (227هـ/ 232هـ)، حيث برز في فترة حكم هؤلاء الخلفاء انتقال النظم الساسانية إلى شئون الحكم، وأخذ المثقفون من ذوي الأصول الفارسية بالبحث عن خبرات الساسانيين في كلٍ من الإدارة والسياسة، وذلك بهدف وضعها تحت تصرف الخلفاء العباسيين، حتى شاع بين المسلمين كافة أن السياسة الحكيمة والوعي العمراني يكمنان في نظم الدولة الساسانية فحسب، باعتبار أن الفرس هم أساتذة في السياسة وغيرها، كما كان الإغريق مولعين بالفلسفة[1]

حرص العباسيون على المزج بين السياسة والدين، حيث أحاطت الطبقة الحاكمة نفسها بهالةٍ من القداسة، وقرّبوا إليهم الفقهاء والعلماء، ولقبوا أنفسهم بالأئمة، حتى أنهم ارتدوا بُرْدةَ النبي صلى الله عليه وسلم كرمزٍ لسلطتهم الدينية، وهو السر الذي يفسر بقاء الدولة العباسية كمركزٍ للزعامة الروحية في العالم الإسلامي فترةً طويلة من الزمن، حيث إنهم شدّدوا على تأكيد سلطان الدولة وهيبتها، واعتمدوا في سبيل ذلك النمط المركزي في العراق وفي الأقاليم التي تخضع لولايتهم، وكان الخليفة المنصور هو أول خليفة عباسي يلعب دوراً مركزياً في تحقيق هذا المطمح، والحقيقة أن جهوده وأعماله كانت كافية لضمان بقاء هذا النظام من بعده فترة تقارب المائة عام، هذا إذا ما غضضنا الطرف عن الوقائع التي جرت بين الأخوين المأمون والأمين، والتي انتهت بمقتل الأمين سنة 198هـ/813م[2]

كان العصر العباسي الأول عصر صراعٍ بين العرب أنفسهم على الحكم من أمويين وعباسيين، ثم بين العباسيين والعلويين، ثم بين العباسيين أنفسهم، ثم صراع بين عنصري الدولة العرب في المشرق والموالي من ذوي الأصول الفارسية، بيد أن العباسيين وجدوا أنفسهم ملزمين بتطبيق ما وعدوا الناس به، حينما رفعوا شعار المساواة، الذي وجد فيه الموالي الفرس المجال غير موصد أمامهم، ثم انتهى الأمر إلى تحول الخلافة إلى عنصر جديد غير الفرس، وهو العنصر التركي، الذي بدأ عهده منذ خلافة المعتصم، فاحتدم الصراع الذي نشب بين الطبقة الحاكمة التي تعيش برغدٍ وترف، وبين الطبقات الكادحة والمظلومة بقيادة الخوارج، بيد أن الصراع الأكثر وجاهة كان يتجلى من خلال ما حدث من تمازج بين الحضارات المتباينة، ما جعل ذلك العصر زاخراً بالفعالية والثراء الفكري، إذ شهدت هذه الفترة نهوضاً علمياً ونشاطاً ثقافياً رائداً، كما وبسطت الثقافة الإسلامية هيمنتها على كثير من الثقافات المعاصرة، بعد أن جرت أضخم عملية تدوين للعلوم النقلية والعقلية وعلوم اللغة والأدب[3]

---

(1) المرجع نفسه، ص8- 10.

(2) عاصي، خليفة، ص10- 11.

(3) المرجع نفسه، ص11- 13.

إن النهضة العلمية التي أشرف عليها العباسيون لم تقتصر على بغداد العاصمة فحسب، بل أسهمت الأقاليم الأخرى فيها إسهامات نوعية، تبدَّى ذلك من خلال تنافس ولاة الأقاليم على تشجيع العلماء والفقهاء والشعراء، وأتاحوا لهم الميدان فسيحاً في إقامتهم وترحالهم، ولقد احتفظت البصرة التي عاش فيها خليفة بن خياط بمكانةٍ علمية وأدبية عالية حتى القرن الرابع الهجري، في حين تركزت جهود علماء بغداد في القرنين الثاني والثالث الهجريين على ترجمة العلوم المُدوَّنة بغير العربية إلى العربية، ولقد نافست البصرةَ وبغدادَ مدنٌ أخرى من أشهرها: أصبهان[1]،

والرَّي[2] في فارس، وبُخارى[3] وسَمَرْقَنْد[4]، والتي خَرَّجت العديد من المحدثين والفقهاء والفلاسفة والأدباء، كما كانت الحركة العقلية في كلٍ من الشام ومصر تتقدم تقدماً حثيثاً نحو مزيد من التطور والارتقاء[5]

عقيدته:

شهد خليفةُ بن خياط العصرَ الذهبي بالنسبة إلى المعتزلة إبان عهدَيْ الخليفتين العباسيين المأمون والمعتصم على السواء، بيد أنه لم يساند المعتزلة في أفكارهم التي حاولوا أن يفرضوها على الناس، ويستبين ذلك من خلال موقفه من الواقعة الشهيرة التي حدثت في البصرة، حيث تقدم بعض

---

(1) أصْبهان: من أعلام المدن العظيمة والمشهورة، وفيها أنزل بُخْت نصَّر اليهود بعد أن سباهم من بيت المقدس، ومن قُم إلى أصبهان ستون فرسخاً. اليعقوبي، البلدان، ص85. الحموي، معجم، ج1، ص206-210. والفرسخ عند الحنفية والمالكية: 5565م، وعند الشافعية والحنابلة: 11130م. محمد، المكاييل، ص55، 97.

(2) الرَّي: مدينة مشهورة في بلاد فارس، افتتحها قرظة بن كعب الأنصاري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك سنة ثلاث وعشرين، وتُعدُّ من " أمهات البلاد، وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات "، وتقع شمال مدينة قم الإيرانية، وبينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وهي الآن على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران، والغالب على بنائها الخشب والطين، وهي بلد مشئومة عند العرب، لأن سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي قُتل بسببها. اليعقوبي، البلدان، ص89- 90. الحموي، معجم، ج3، ص116- 122. مؤنس، أطلس، ص221،145. واصف، معجم، ص60.

(3) بُخارى: من أعظم مدن خراسان الواقعة في بلاد ما وراء النهر، وهي قديمة في بنائها، كثيرة في بساتينها. البكري، المسالك، ج2، ص20. الحموي، معجم، ج1، ص353-356.

(4) سَمَرْقَنْد: بلد معروف ومشهور في خراسان، تقع جنوبي وادي الصُّغْد، ويقال لها بالعربية سُمْران، وتسمى المدينة المحفوظة، ومن أشهر مدنها: كرمانية، ودبوسية، وأُشروسنة، والشاش، ونخشب، وبناكث، بناها ذو القرنين في بلاد ما وراء النهر، واشتهرت بكثرة بساتينها ومزارعها. البكري، المسالك، ج2، ص20. الحموي، معجم، ج3، ص246-250؛ ص409- 410.

(5) عاصي، خليفة، ص13-14.

المعتزلة من أهل البصرة بشكوى على قاضيها أحمد بن رياح[1]، الذي تقلد القضاء سنة 223هـ/837م، فلما جرى استدعاء القاضي رافقه وجوه أهل البصرة، كان من أبرزهم: خليفة بن خياط، وأبو الربيع الزهراني، وحسين بن محمد الذارع[2]

وما يلفت الانتباه في هذه الحادثة هو وقوف خليفة بن خياط في شهادته إلى جانب القاضي، دون أن يقف كثيراً عند الثمن الذي كان يمكن أن يدفعه نتيجة ذلك الموقف، بل دون أن يخشى على حياته من بطش الخليفة، الذي كان لا يتوانى عن استخدام القوة في قهر خصومه[3]، وهذه الحادثة توضح بعض سمات شخصية خليفة بن خياط، كما وتجلّي ملامح القوة والصلابة في شخصيته، فضلاً عن أنه لم يكن من الشخصيات المغمورة، بل كان من علية القوم في البصرة، سيما وأنه صاحَبَ القاضي المشتكى عليه في سفره برفقة ثلة من الأعلام والوجهاء[4]، والخلاصة في هذا الأمر أن خليفةً كان قد " عانى الكثير من العنت بسبب عدائه للمعتزلة، وهو في عصر المأمون، وعانى الكثير من الحسد، بسبب سعة علمه وثقته "[5]

مكانته العلمية:

حاز خليفة بن خياط مكانة عالية عند معاصريه سيما أئمة علم الحديث، ومما يدل على اعتباره من الرواة الثقات، أن الإمام البخاري قد روى في صحيحه عن شيخه خليفة بن خياط في ثمانية عشر موضعاً، الأمر الذي يدلل صراحةً على مبلغ توثيقه له[6]، في حين جزم الدكتور مجيد منشد أن مجموع روايات خليفة بن خياط في صحيح البخاري هي ثلاث وعشرون رواية دون المكرَّر، جرى توزيعها على أبواب عديدة في الصحيح، أما مع المكرر فهي خمس وعشرون رواية[7]، فعن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي(ت: 194هـ/809م) روى رواية واحدة[8]، وعن عمر بن علي بن عطاء(190هـ/805م) رواية واحدة[9]، وعن كهمس بن المنهال ومحمد بن سواء

---

(1) وهو من القضاة المعروفين، ولي قضاء البصرة بعد وفاة القاضي الحسن بن عبد الله العنبري في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ثم جمع الصلاة والمظالم إلى القضاء. ابن حَيَّان، أخبار، ج2، ص175.

(2) ابن حَيَّان، أخبار، ج2، ص175.

(3) ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص7.

(4) ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص8.

(5) مصطفى، التاريخ، ج1، ص234.

(6) عاصي، خليفة، ص33- 34. يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: " روى البخاري في صحيحه عن خليفة ابن خياط في ثمانية عشر موضعاً "، ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص9.

(7) مرويات، ص167.

(8) البخاري، صحيح، ج2، ص594.

(9) المصدر نفسه، ج6، ص2497.

بن عنبر السدوسي(ت: 187هـ/802م) رواية واحدة[1]، وعن محمد ابن عبد الله بن المثنى(ت: 215هـ/830م) رواية واحدة[2]، وعن معاذ بن معاذ العنبري(196هـ/811م) رواية واحدة[3]، وعن معتمر بن سليمان الطفيل(ت: 187هـ/802م) ست روايات[4]، وعن يحيى بن سعيد القطان(198هـ/813م) رواية واحدة[5]، وعن يزيد بن زريع(ت: 182هـ/798م) أحد عشر رواية[6]، ويرى الباحث أنه ليس هناك ما يمنع من أن يكون البخاري قد أخذ هذه المرويات من خليفة بشكل مباشر، لأن الباحث لاحظ بعد إطلاعه على رحلات البخاري أنه كان يتردد على مدينة البصرة من حين لآخر، حيث بلغ مجموع هذه الزيارات أربع مرات[7]

ولا يعني ذلك أن أحداً من أئمة الجرح والتعديل لم يقدح في خليفة بن خياط، فقد نقل محمد ابن يونس الكديمي عن علي بن المديني(ت: 234هـ/848م) قوله: " لو لم يحدث شباب كان خيراً له "[8]، وقال عنه – وأقصد هنا علي بن المديني – في دار عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة: " وشباب بن خياط شجر يحمل الحديث "[9]، بيد أن ابن عدي الجرجاني(ت: 365هـ/ 975م) روى ما يوجب التشكيك في صحة نسب هذه الرواية إلى علي بن المديني، حيث أورد في أحد مصنّفاته ما يلي:

" ولا أدري هذه الحكاية عن علي بن المديني (لو لم يحدث شباب كان خيراً له) صحيحة أم لا ؟!"[10]، بل روى ابن عدي الجرجاني حكاية تدفع باتجاه ذلك، وملخصها أن الفضل ابن الحباب كان يوماً عند أبي الوليد الطيالسي، فقدم عليه شباب العصفري برسالة علي بن المديني، ينهاه عن الحديث مع يحيى بن معين، الأمر الذي أغضب أبا الوليد الذي قال: " لِمَ لا أحدثه !؟"[11]، ثم قال:

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص1348.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص1468.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص2573.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص1510؛ ج5، ص2323؛ ج6، ص2597، 2689، 2726، 2745.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص2123.

(6) البخاري، صحيح، ج1، ص448؛ ج3، ص1182، 1173، 1331؛ ج4، ص1500، 1501، 1493، 1624؛ ج5، ص2261، 1951؛ ج6، ص2741.

(7) للإطلاع على المرات الأربع، انظر: المزي، تهذيب، ج24، ص445–446، 449، 450، 455.

(8) ابن عدي، الكامل، ج3، ص517. الذهبي، ميزان، ج2، ص457. ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص9. عاصي، خليفة، ص34. منشد، مرويات، ص143.

(9) العقيلي، الضعفاء، ج2، ص370. المزي، تهذيب، ج8، ص317. السباعي، خليفة، ص26.

(10) الكامل، ج3، ص517.

(11) المصدر نفسه، ج3، ص517.

" إنما يروي عن علي بن المديني الكديمي، والكديمي لا شيء، وشباب من متيقظي رواة الحديث، وله حديث كثير، وتاريخ حسن، وكتاب في طبقات الرجال، فكيف يوهّن بهذه الحكاية عن علي فيه، وهو من أصحاب علي، ألا ترى أنه حمَّله الرسالة إلى أبي الوليد في ابن معين، سيما إذا كان الراوي عن علي، محمد بن يونس وهو الكديمي، فدلّ هذا على أن الحكاية عن علي باطلة، ولخليفة من الحديث الكثير ما يستغني أن أذكر له شيئاً من حديثه، وهو مستقيم الحديث صدوق "[1]، كما ويُرْوى أن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي سأل أباه عن خليفة، فقال له: " لا أحدث عنه، هو غير قوي، كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد، فأتيتُ أبا الوليد، وسألته عنها فأنكرها، وقال: ما هذه من حديثي، فقلت: كتبتهما من كتاب شباب العصفري، فعرفه، وسكن غضبه "[2]، وتابع ابن أبي حاتم الرازي أباه بشأن خليفة بن خياط، حيث قال:

" انتهى أبو زُرْعة إلى أحاديث كان أخرجها في فوائده عن شباب العصفري، فلم يقرأها علينا، فضربنا عليها، وتركنا الرواية عنه "[3]، الأمر الذي دفع الدكتور حسين عاصي للقول بأن ابن أبي حاتم وأباه من الذي تشددوا في الجرح، حتى أن البخاري لم ينجُ منهما، وليس فيما حكيا ما يدل جزماً على لين في خليفة، ذلك أن أبا الوليد الطيالسي أنكر الأحاديث في بداية أمره، وقد يكون الدافع إلى ذلك أنه وجد في رجال الأحاديث من ينكر أمره، بيد أنه سكت عندما أُحيط علماً بأن الراوية عنه خليفة، ما يعني صدق خليفة في الرواية عنه، علاوة على أنه من المحتمل أن الوليد قد روى الأحاديث في زمنٍ قد مضى، ثم تبين له فيما بعد من أمرها ما أنكره، وهذا الأمر كثير الوقوع، ولو كان الأمر غير ذلك، لما هدأ غضب الطيالسي، ولَقَدح في خليفة واصفاً إياه بالادعاء والكذب[4]، وما ذهب إليه ابن عدي الجرجاني بشأن خليفة ينسجم مع هذا الطرح، حيث قال عنه: " صدوق، مستقيم الحديث، من متيقظي رواة الحديث "[5]، وتابعه الذهبي في الدفاع عن خليفة فقال: " ليّنَهُ بعضهم بلا حجة "[6]، وعمد في موضعٍ آخر إلى التأكيد على ذلك من خلال

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص517. الصالحي، طبقات، ج2، ص89.

(2) الرازي، الجرح، ج1، ص378. السمعاني، الأنساب، ج4، ص203. المزي، تهذيب، ج8، ص317-318. الذهبي، ميزان، ج2، ص457؛ تذهيب، ج3، ص138. ابن حجر العسقلاني، هدي، ص421. السباعي، خليفة، ص27.

(3) الرازي، الجرح، ج1، ص378- 379. السمعاني، الأنساب، ج4، ص203. المزي، تهذيب، ج8، ص317. الذهبي، ميزان، ج2، ص457؛ تذهيب، ج3، ص138.

(4) خليفة، ص35.

(5) الكامل، ج3، ص517. الذهبي، سير، ج11، ص473؛ تذهيب، ج3، ص139؛ الكاشف، ج1، ص375. الصفدي، الوافي، ج13، ص238. السيوطي، طبقات، ص191.

(6) سير، ج11، ص473. السباعي، خليفة، ص27. منشد، مرويات، ص143.

قولـــــــــــه: " حـــــــــــدَّث عنـــــــــه البخـــــــــــاري بـــــــــسبعة أحاديـــــــــــث أو أزْيَد في صحيحه "[1]، وتابعه في ذلك ابن حجر العسقلاني الذي اعتبر خليفة " أحد الحفاظ المصنفين، من شيوخ البخاري "[2]، وقال عنه ابن العماد: " وكان ثبتاً يقظاً "[3]، بينما وصفه الكتاني بأنه " أحد شيوخ البخاري، صاحب التاريخ الحسن وغيره "[4]، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: " وقد نال خليفة بن خياط ثقة المحدثين المعاصرين والمتأخرين، وبذلك امتاز على الكثيرين من المؤرخين، فقد وثَّقه البخاري، فنقل عنه في صحيحه، كما وثقه أئمة الجرح والتعديل أمثال يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وابن عدي الجرجاني، ومحمد بن حبان البستي، والحافظ الذهبي "[5]

ولقد ذكر ابن حيان الأنصاري عبد الرحمن بن رستة(ت: 250 هـ/864م)، قال: " قدمتُ البصرة، فأتاني شباب العصفري، فقال لي: كيف تحفظ عن عبد الرحمن بن مهدي حديث البادىء بالسلام بريء، فقلت: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان عن أبي إسحاق الحديث، فقال: فرَّجت عني فرَّج الله عنك، أنكروا ذلك علي "[6]، وعلّق الدكتور أكرم ضياء العمري على هذه الواقعة بقوله: " وقول شباب: (فرَّجت عني)، يدل على ما كان يلاقيه أحياناً من مضايقة الأقران وإنكارهم عليه بعض رواياته، ولعل بعض ذلك كان يحدث بسبب الحسد والمنافسة في العلم، حتى جرَّ ذلك الكديمي – أحد معاصريه – إلى تلفيق خبر عن علي بن المديني يغمز به شباب "[7]

ولقد تبوأ خليفة منزلة علمية رفيعة بين أقرانه من العلماء، ولعلّ ذلك يتجلى من خلال معرفة العلماء الذين أخذوا عنه العلوم والمعارف، ومن أبرزهم:

الإمام البخاري، وعبد الله الدارمي(ت: 255هـ/868م)، وبقي بن مخلد(ت: 276هـ/889م)، وأبي زُرْعة الرازي(ت:281هـ/894م)، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي يَعْلى أحمد بن علي ابن المثنى(ت: 307هـ/919م)[8]

---

(1) سير، ج11، ص473. الصفدي، الوافي، ج13، ص238.

(2) هدي، ص421. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج1، ص2.

(3) شذرات، ج3، ص181.

(4) الرسائل، ص104.

(5) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص14.

(6) طبقات، ج2، ص386– 287.

(7) ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص8.

(8) السيوطي، طبقات، ص190.

ثقافته:

وصف ابنُ حَبَّان خليفةَ بن خياط بأنه: " كان متقناً، عالماً بأيام الناس وأنسابهم "[1]، بينما يراه ابن الأثير أنه كان " فاضلاً، عارفاً بأيام الناس "[2]، في حين اعتبره ابنُ خلكان " حافظاً، عارفاً بالتواريخ وأيام الناس، غزير الفضل "[3]، أما الذهبي فوصفه بأنه كان " حافظاً، نسَّابة، إخبارياً، عالماً بأيام الناس "[4]، وقال عنه: " محدث، نسّابة، أخباري، علامة "[5]، وأنه: " كان صدوقاً نسَّابة، عالماً بالسير والأيام والرجال، وثقه بعضهم "[6]، وأنه كان: " علامة متوسعاً "[7]، بينما وصفه الصفدي بأنه: " كان حافظاً، نسَّابة، إخبارياً، عالماً بأيام الناس "[8]، في حين رأى ابن كثير أن خليفةَ " أحد أئمة التاريخ "[9]، وقال عنه ابن حجر العسقلاني: " كان عالماً بالنسب والسير، وأيام الناس "[10]، في حين رأى فؤاد سزكين بأن خليفة " محدث، ومؤرخ، وعالم بالأنساب "[11]

ولقد جاء هذا الإطراء لخليفة بالنظر إلى تنوع ثقافاته، ووفرة شيوخه، حيث قام بدراسة كلٍ من علوم القرآن والحديث وعلم الأنساب والتاريخ، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري:
" عاش خليفة في مدينة البصرة، وتلقى العلم على الشيوخ الكبار في علوم القرآن والحديث والتاريخ والأنساب، وأحسن الإفادة منهم حيث راعى تخصصهم، فهو يعتمد في كل علم على المبرزين فيه، فكان من شيوخه في علوم القرآن والقراءات أبو عمرو بن العلاء وورقاء بن عمرو من مشاهير القراء، وفي الحديث يزيد بن زريع وغندر وسفيان بن عيينة وأبو داؤد الطيالسي وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من كبار المحدثين في عصره، وفي التاريخ علي بن محمد المدائني وأبو عبيدة

---

(1) الثقات، ج8، ص233. المزي، تهذيب، ج8، ص318. الصالحي، طبقات، ج2، ص89. السيوطي، طبقات، ص191.
(2) اللباب، ج2، ص344.
(3) وفيات، ج2، ص243.
(4) تاريخ، ج17، ص152.
(5) تذكرة، ج2، ص23.
(6) سير، ج11، ص473.
(7) تذهيب، ج3، ص138.
(8) الوافي، ج13، ص238.
(9) البداية، ج14، ص372.
(10) تغليق، ج1، ص398.
(11) تاريخ، ج1، ص209.

معمر بن المثنى من أبرز الأخباريين المعاصرين، وفي الأنساب هشام بن الكلبي وأبو اليقظان سحيم بن حفص أشهر النسابين آنذاك "[1]

مصنَّفاته:

ذكر ابن النديم أن لخليفة بن خياط خمسة مصنفات، فقال:

" وله من الكتب: كتاب الطبقات، كتاب التاريخ، كتاب طبقات القراء، كتاب تاريخ الزَّمْنَى[2] والعرجان والمرضى والعميان، كتاب أجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته "[3]، في حين اكتفى الكتاني بذكر الكتابين الأوليين[4]، أما إسماعيل باشا البغدادي فقد حصر مؤلفات خليفة بن خياط في: أجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته، وتاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان، وطبقات الرواة، وطبقات القراء[5]، وأضاف إلى ما ذكره الكتاني في رسائله المذكورة آنفاً كتاب " المسند في الحديث "[6]، وهو المصنَّف الذي أشار إليه ابن أبي حاتم الرازي حينما قال: " كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد... "[7]، بينما اقتصر حاجي خليفة على الإشارة إلى كتاب التاريخ لخليفة بن خياط[8]، وكتاب طبقات الرواة لنفس المصنِّف[9]، في حين لم يُشِر شاكر مصطفى إلى كتابَيْ " المسند في الحديث "، و" أجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته "[10]

وعلى الرغم مما ذكره ابن النديم من قبلُ، إلا أنه يمكن القول بأن خليفة بن خياط ما فتئ يُعْرَف بمصنفيه الأولين، وهما: " الطبقات "، و" التاريخ "، إذ لم يصلنا من آثاره العلمية إلا هذان الكتابان[11]، فقد ذكر ابن عدي ذلك، فقال: " وله حديث كثير، وتاريخ حسن، وكتاب في طبقات

---

(1) ابن خياط، الطبقات، (المحقق)، ص13.

(2) الزَّمْنَى: جمع زَمِن، أي الرجل الضعيف الذي لا حرفة له، وقد يكون من أهل الحرفة الضعيفة التي لا تسد حاجته من الأكل والشرب والكساء. ابن منظور، لسان، ج5، ص61.

(3) الفهرست، ص324. البغدادي، هدية، ج1، ص350. كحالة، معجم، ج1، ص676.

(4) الرسائل، ص104.

(5) هدية العارفين، ج1، ص350.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص350.

(7) الجرح، ج1، ص378. المزي، تهذيب، ج8، ص317-318. الذهبي، ميزان، ج2، ص457. ابن حجر العسقلاني، هدي، ص421.

(8) كشف، ج1، ص293.

(9) المرجع نفسه، ج2، ص1099.

(10) التاريخ، ج1، ص234.

(11) المرجع نفسه، ج1، ص234.

الرجال "[1]، وتابعه السمعاني بقوله: " صاحب كتاب الطبقات، والتاريخ الحسن المفيد "[2]، وعرّفه العلامة ابن خَلّكان بأنه " صاحب الطبقات "[3]، في حين قال الذهبي: " صنَّف التاريخ والطبقات، وغير ذلك "[4]، وأنه: " صنف التاريخ والطبقات "[5]، وفي ميزان الاعتدال أفرد الذهبي ذكر كتاب التاريخ، فقال عنه أنه: " صاحب التاريخ "[6]، أما في العبر فقد ذكر كليهما معاً، فقال: " صاحب التاريخ والطبقات، وغير ذلك "[7]، الأمر الذي يفيد جَزْماً بوجود مصنَّفات أخرى لخليفة، أما السيوطي فقال عنه: " شبابٌ: لقبُ خليفة صاحب التاريخ "[8]، وقال ابن العماد: " صاحب التاريخ والطبقات، وغير ذلك "[9]، يقول شاكر مصطفى: " وكتابا ابن خياط من وجهة نظر علم التاريخ، يكشفان عن استقرار النظرة الوحدوية للأمة الإسلامية، ويعبران عن ثبات المعطيات الأولى، سواء في نماذج الرجال، أو نماذج الأعمال التي تبني عليها تلك الأمة سلسلة وحدتها وتراثها في الخبرة عبر الزمن "[10]

---

(1) الكامل، ج3، ص517. المزي، تهذيب، ج8، ص318. الصالحي، طبقات، ج2، ص89.

(2) الأنساب، ج2، ص427.

(3) وفيات، ج2، ص243.

(4) تاريخ، ج17، ص152. الصفدي، الوافي، ج13، ص238.

(5) تذكرة، ج2، 23. الذهبي، تذهيب، ج3، ص138. خليفة، كشف، ج1، ص293؛ ج2، ص1099.

(6) ج2، ص457.

(7) ج1، ص340؛ سير، ج11، ص473.

(8) تدريب، ج2، ص293.

(9) شذرات، ج3، ص181.

(10) التاريخ، ج1، ص236.

أولاً/ كتاب الطبقات:

لم يتبقَّ من مخطوطات كتاب الطبقات سوى نسخة واحدة، وهي لا تزال مُودعة في المكتبة الظاهرية بدمشق، وتقع تلك النسخة في 97 ورقة، حيث كُتِبت في أوائل القرن الرابع الهجري، ومن المحتمل أن يكون ناسخها هو صاحبها الأول محمد بن أحمد بن محمد الأزدي، حيث لم يتوفر اسم صريح لاسم الناسخ، الذي قام بتقسيمها إلى خمسة أجزاء، ومن المجزوم به أن نسخة هذا الكتاب غير منقوصة، إذ ذُكر في خاتمة الجزء الخامس " تم كتاب طبقات الرجال والنساء بحمد الله ومنّه " ، ومما يعزز هذا التوجه من حيث تمام النسخة المتوفرة، أن الاقتباسات المأخوذة عن الكتاب لا تكاد تزيد شيئاً إلى مادة النسخة، علماً بأن هذه النسخة قد تناقلتها أيدي المهتمين بالشراء وغيره، حتى أصبحت ملكاً للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي التي أوقفها[1]

قام بقي بن مخلد القرطبي(ت: 276هـ/889م) برواية الطبقات عن خليفة بن خياط، حيث أنه أول من بادر إلى إدخال كتاب الطبقات إلى بلاد الأندلس، كما أدخل تاريخ خليفة بن خياط، بيد أن روايته لطبقات خليفة قد ضاعت، ولم يتسنَّ للمصادر المتوفرة لدينا النقل عنها، ومن الممكن أن تكون روايته للطبقات قد اقتصر على بلاد الأندلس فحسب[2]، والجدير بالذكر أن كلاً من أبي حفص عمر بن أحمد بن إسحق الأهوازي، وأبي عمران موسى بن زكريا التستري، كانا قد رويا الطبقات عن خليفة كما فعل بقيٌ من قبلُ[3]

ويبدو أن بعض علماء أصبهان كان قد روى الطبقات عن أبي حفص الأهوازي، أمثال محمد بن أحمد بن إسحق الأهوازي، وأبو الحسين بن إسحق الأصبهاني، كما أن سند النسخة التي وصلت إلينا من كتاب الطبقات يتصل بأبي حفص الأهوازي، حيث كُتِب في أعلى الوجه الأول من الورقة الأولى " أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن المقرئ، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن إسحق الأهوازي بالأهواز [4] شهر رجب سنة خمس وثلثمائة "، الأمر الذي يؤكد

---

(1) عاصي، خليفة، ص68.

(2) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص65.

(3) عاصي، خليفة، ص68–69.

(4) الأهواز: كان اسمها في أيام الفرس خُوزستان، وقيل: إن اسمها عند الفرس هو: هُرْمُز شَهْر، وتتكون الأهواز من سبع كور تقع جميعها بين البصرة وفارس، وهي تقع تحديداً في الشمال الشرقي من البصرة، وفتحها الصحابي حرقوص بن زهير السعدي، وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. البكري، المسالك، ج2، ص11. الحموي، معجم، ج1، ص284– 286. والكورة: المدينة والصُّقْع، وجمعها كُوَر. ابن منظور، لسان، ج5، ص156. الرازي، مختار، ص242. مؤنس، أطلس، ص147.

أن الذي رواها عن خليفة هو أبو حفص الأهوازي، لكن الأوراق التي تتصدر كل جزء، والتي يُكتَب فيها رقم الجزء، مكتوب في كل منها " الجزء الأول" أو الثاني أو الثالث حسب توالي الأجزاء، من كتاب الطبقات عن خليفة بن خياط رواية أبي عمران موسى بن زكريا التُّستري، ما يفيد أن هذه النسخة من رواية أبي عمران موسى بن زكريا التُّستري عن خليفة[1]، وللخروج من هذا الإشكال، يمكن الإشارة إلى الملاحظات التالية:

1. إن الأهوازي والتستري قد صرَّحا بأنهما قد نقلا مباشرةً عن خليفة، الأمر الذي يفضي إلى الاعتقاد بأن احتمالية نقل أحدهما هذه النسخة عن الآخر معدومة، والراجح أن النسخة المتوفرة من كتاب الطبقات، قد كُتِبَت بالاعتماد على الروايتين معاً، سيما وأن الروايتين المكتوبتين متطابقتان تمام التطابق[2]
2. إن ثبوت إطلاع أبو الشيخ الأنصاري(ت: 369هـ/979م) على روايتي الأهوازي والتُّستري لطبقات خليفة، يؤكد أن كتابة النسخة المتوفرة من الطبقات، إنما كانت اعتماداً على الروايتين معاً، والراجح أن نسخة الطبقات كانت قد كُتِبَت بالاستناد إلى رواية التُّستري من طريق تلميذه أبي القاسم الطبراني، ثم جرى مقارنتها برواية الأهوازي فيما بعد[3]
3. من الجائز حدوثاً أن يكون كاتب النسخة قد ابتغى توثيق روايته من خلال إسنادها إلى الأهوازي أيضاً، خصوصاً وأن الدارقطني(ت: 385هـ/995م) كان قد ضعَّف التُّستري معتبراً إياه متروكاً، وطالما كان هذا هو رأي الدارقطني في التستري الذي لم يعاصره ولم يره، فهذا يعني بالضرورة أن هذا هو ذات الرأي في التستري من قبل علماء سبقوا الدارقطني، أدركوا التستري عن قربٍ، فحكموا عليه بالضعف، إذ لا يمكن للدارقطني أن يتهم التستري بأنه" متروك " اعتباطاً.[4]

ولقد قام سهيل زكار بتحقيق كتاب الطبقات برواية التُّستري في مجلدين اثنين فقط، حيث صدرت في دمشق سنة 1386هـ/ 1966م(5)، كما اطّلع الباحث على نسخة الطبقات، التي اعتمد عليها في دراسته هذه، حيث صدرت عن مطبعة العالي، ببغداد سنة 1387هـ/ 1967م في مجلد واحد فقط، بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري.

أما عن الظروف والأسباب التي دفعت خليفة بن خياط إلى تأليف كتاب " الطبقات "، فيمكن إيجازها بالعناصر التالية:

---

(1) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص65-66.

(2) عاصي، خليفة، ص70. ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص66.

(3) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص66-67.

(4) عاصي، خليفة، ص71. ابن خياط، الطبقات، (المحقق)، ص67.

(5) عاصي، خليفة، ص71-72.

1. لقد استلزمت أوضاع الجزيرة العربية أن تنتظم أحوال العرب على دعائم قبلية، حيث كانت القبيلة في بادئ الأمر هي الرابطة السياسية والاجتماعية الأولى عند العرب كافة، وعلى الرغم من استبداد التقاليد القبلية وسيادة الفخار بالعصبية الجماعية، إلا أن هذا وذاك لم يكن بمقدورهما الحيلولة دون ظهور الفروق الفردية بين أبناء القبيلة الواحدة، وهو الأمر الذي كانت القبيلة ترعاه وتنمّيه، فلما جاء الإسلام دعا إلى العناية بمعرفة أحوال الأمم السابقة، ولم يعترض على بقاء القبيلة كوحدة اجتماعية وقانونية، لكنه جعل التقوى معيار التفاضل بين أبناء القبائل، وهكذا لم تَعُد القبيلة تتمتع باستقلال كامل، بعد أن أمست تخضع لهيمنة الدولة الإسلامية(1)
2. تطلَّع المسلمون في أعقاب القضاء على حركة المرتدين في عصر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشروع في عملية الفتوحات في البلاد المجاورة لهم، وكان أهل الجزيرة الذين شاركوا في هذه الحملات بالجند والقادة والعمال والخلفاء هم عماد هذه العملية برمتها، ما أفضى إلى التسبب في حدوث حركة تنقلات ضخمة داخل حدود الدولة الإسلامية، واقتضاء توطين المقاتلين العرب في مراكز عسكرية معينة عُرِفت فيما بعد بـ " الأمصار "، وكانت كل قبيلة تقطن في أماكن مخصصة تجمعها مع بعضها البعض، الأمر الذي أوجب على الدولة الإسلامية تعيين أفراد من كل قبيلة تنحصر مهمتهم في حفظ السجلات، وتبليغ أوامر الدولة، وتوزيع العطاء المخصص(2)
3. إن تقدير الناس في الدولة الإسلامية كان يقوم على مقدار بلائهم في خدمة الإسلام في صدره الأول، وهي ما اصطلح عليه بـ " السابقة "، وهذا الضابط يتلاءم تماماً مع طريقة التفكير العربية التي لطالما اهتمت بالأنساب وتباهت بالبطولات، ما استدعى إلى القيام بتصنيف الناس إلى طبقات وفقاً لمدى القرب والبعد عن منابع الإسلام الأولى، وشاع بالتالي استخدام مصطلح " طبقات الشعراء " و" طبقات النحاة " و" طبقات الأطباء "، و" طبقات المحدثين "، كما أن التطور الحاصل في علم الحديث، أوجب الاهتمام بدراسة تاريخ الرواة، لكونه يساعد علماء الحديث في معرفة الصلة الزمنية بين الرواة أنفسهم، فضلاً عن استجلاء العلاقة فيما بينهم، وتبيان الأكثر قرباً منهم إلى عصر النبوة، وبالنظر إلى كثرة المهتمين برواية الأحاديث، وتشابه أسماء الكثيرين منهم، فقد بدأت تبزغ الحاجة

---

(1) عاصي، خليفة، ص81-83.

(2) المرجع نفسه، ص84.

إلى الكتابة في مجالات تُعْنَى بضبط أسماء الرواة، وتصنيفهم حسب أزمانهم، وهو ما اقتضى على علم الرجال أن يكون شديد الصلة بعلم الطبقات[1]

يقول الدكتور حسين عاصي، متحدثاً عن خليفة بن خياط وتصنيفه لكتاب الطبقات:

"وكان مُرَكِّزاً في دراسته، دقيقاً في بحثه، معتمداً في معلوماته، وبالرغم من صغر حجم كتابه إذا قورن بكتاب الطبقات الكبير لمعاصره ابن سعد، فإنه لا يزال ذا قيمة خاصة بالنظر لمكانة خليفة بن خياط ولزمنه المبكر، فكتابه يلقي ضوءاً على الاتجاهات الفكرية وأساليب البحث في العصر الأول "[2]

منهجه في كتابة الطبقات:

اقتصر خليفة بن خياط في تراجمه التي أوردها في كتابه الطبقات على التطرق إلى نسب الرجل لأبيه وأمه، وكان يرجع في ذكر الأنساب إلى مرحلة ما قبل البعثة، ما يعطي لكتابه قيمة عظيمة، وذلك بالنظر إلى غزارة المادة التي يوردها فيما يختص بالنسب، واللافت للانتباه أن تأكيد خليفة للأنساب إنما كان في الصحابة والتابعين، وكلما ابتعدت الطبقة التي يتحدث عنها عن عَصْرَي الصحابة والتابعين قلّل من ذكر الأنساب، حتى يختفي هذا الذكر في الطبقات المتأخرة، ويحل محلها النسبة إلى المدن والمهن، وذلك لتعلق العرب بالمدن، واختلاطهم بالأعاجم، وتدني الأهمية بذكر الأنساب[3]

وقد لاحظ الباحث أن خليفة بن خياط كان إذا مرّ على ذكر تراجم لا يحفظ لها نسباً، علَّق عليها بالقول: " هؤلاء روى عنهم عبد الله بن شقيق العُقَيلي، ولم يُعْرَف لهم نسباً "[4]، وهو الأمر الذي تكرر حينما أدرج بعض التراجم تحت عنوان فَرْعِي قال فيه:

" ومن الأنصار ممن لم نحفظ له نسباً إلى أقصى آبائه "[5]

وكان خليفة يُظْهر في الطبقات الأولى من أهل الشام النسبة إلى القبائل، بالإضافة إلى النسبة إلى المدن، بيد أن النسبة إلى القبيلة كانت تتلاشى في الطبقات المتأخرة، حيث درج خليفة على أن يذكر نسب الرجل وكنيته، وتحديد المكان الذي مكث فيه بصورة دائمة أو مؤقتة، ثم يشير

---

(1) المرجع نفسه، ص85-86.

(2) عاصي، خليفة، ص87.

(3) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص30.

(4) الطبقات، ص59.

(5) المصدر نفسه، ص104.

مـن بعـد ذلـك إلــى رحلاتــه فــي الأمــصار[1]، ويــرى الباحــث أنـــه لــم يــؤثَر عــن خليفــة التطـرق إلـى خطـط الكوفـة، باسـتثناء موضـعين فـي مدينـة الكوفـة وهمـا: المـسجد الجـامع(2)، وسوق المراضع[3]، في حين أنه قدَّم معلومات دقيقة عن خطط البصرة، إذا ما ابتغى تحديد موضع دار أحـد أصـحاب التـراجم منهـا، كـان مـن أبرزهـا: المـسجد الجـامع[4]، وسـكة المِرْبَـد[5]، وسـوق التبـاتّين[6]، وسـكة اصـطفانوس[7]، وسـكة البُخاريـة[8]، وحـضرة الـوزّانين[9]، وبـاب الأصـبهاني[10]، والعَوَقة(11)، ومقبرة بني يَشْكُر[12]، ومقبرة بني هلال[13]، وقنطرة قَرَّة[14]، وجَوْبة أوس[15]، ومربعة الأحنف[16]، كما ويرى الباحث أن خليفة كان يولي في تراجمه أهمية كبيرة بسني الوفاة، حتى أصبح كتابه من الكتب النادرة التي يُعْتَمد عليها في هذا المضمار[17]، كما كان يشير في بعض الأحيان إلى اسم الذي صلَّى على صاحب الترجمة حين وفاته، سيما إذا كان من أولي الشرف والسؤدد، كما فعل مع ترجمة الصحابي العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(1) الطبقات،(المحقق)، ص30-31. عاصي، خليفة، ص87-88.

(2) الطبقات، ص68، 126.

(3) الطبقات، ص136. وهي السوق التي ذكرها الدكتور حسين عاصي خطأً بأنها "سوق المراصع"، والصحيح: "سوق المراضع". خليفة، ص88.

(4) الطبقات، ص39، 44، 54، 182، 183.

(5) المصدر نفسه، ص51، 181، 182.

(6) المصدر نفسه، ص64.

(7) المصدر نفسه، ص44، 54، 91، 106، 109، 188.

(8) المصدر نفسه، ص44. وقد جانب الدكتور حسين عاصي الصواب حينما أسماها بـ "سكة النجارية". خليفة، ص88. والصحيح أنها "سكة البخارية"، وهي سكة تقع بالبصرة، سميت بهذا الاسم لأن عبيد الله بن زياد أسكن فيها بعض سكان بُخارى الذين قام بنقلهم إليها، فعُرِفت هذه المنطقة بهم، وليس بعبيد الله بن زياد. ابن خياط، الطبقات، ص44. الحموي، معجم، ج1، ص356.

(9) الطبقات، ص174.

(10) المصدر نفسه، ص30، 33، 38، 177، 189.

(11) المصدر نفسه، ص37، 38، 177.

(12) المصدر نفسه، ص38، 177، 182.

(13) المصدر نفسه، ص56، 184.

(14) المصدر نفسه، ص7، 177.

(15) المصدر نفسه، ص39.

(16) المصدر نفسه، ص48.

(17) المـصدر نفـسه، ص207، 230، 231، 232، 234، 235، 240، 241، 255، 259، 268، 288، 293، 308، 312.

الذي توفي في سنة أربع وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]، وترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي استُشهد في سنة أربعين، وصلى عليه ابنه الحسن[2]، وترجمة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي الذي مات في سنة تسع وأربعين، وصلى عليه سعيد بن العاص وهو أمير المدينة[3]، وترجمة الصحابي عبد الله بن العباس، الذي توفي سنة ثمان وستين، وصلّى عليه محمد بن الحنفية[4]، وترجمة الصحابي أبي بَكْرَة[5] الذي مات سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه أبو بَرْزَة الأسلمي[6]

كما كان خليفةُ يحرص على ذكر لفظة "استُشهد" أثناء حديثه عن سنة الوفاة الخاصة بصاحب الترجمة، وذلك إذا ما فارق الحياة أثناء تأدية واجبه الديني المتمثل بالجهاد في سبيل الله، ويستشف الباحث أن خليفةَ كلن يرغب في استجلاء حجم التضحيات التي قدّمها المسلمون في سبيل نشر رسالة السماء، ولقد استبان استخدامه لهذه الكلمة إبان حديثه عن تراجم أولئك الذين استشهدوا في معارك دارت رحاها مع الروم، كيزيد بن شجرة الرَّهاوي سنة ثمان وخمسين[7]، وسليمان بن خالد بن الوليد دون أن يحدد سنة الاستشهاد[8]، وعبد الوهاب بن بخت سنة ثلاث عشرة ومائة[9]

كما استخدم هذه اللفظة مع أولئك الذين قضوا نحبهم في معاركهم المصيرية مع الروم سيما في معركة مؤتة كجعفر بن أبي طالب[10]، وعبد الله بن رواحة[11]، أو حتى في حروب

---

(1) المصدر نفسه، ص4.

(2) الطبقات، ص5.

(3) المصدر نفسه، ص5.

(4) المصدر نفسه، ص4. ابن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا القاسم، وأمه الحنفية هي: خَوْلة بنت جعفر، من سبي اليمامة، وكان كثير العلم والورع، وكان شجاعاً حيث حمل راية أبيه في صفين بيده، وكان المختار يدعو إلى إمامته، توفي في سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وثمانين. ابن خلكان، وفيات، ج4، ص169– 173.

(5) أبو بَكْرَة: صحابي جليل، كبير القدر، وكان اسمه نُفَيْع بن الحارث، وسمي بأبي بكرة، قيل: البَكْرة هي التي تكون على البئر، وفيها الحبل يستقى به، وكان ممن اعتزل الفتنة. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص356، 363. ابن كثير، البداية، ج11، ص249.

(6) الطبقات، ص183. أبو برزة: اسمه نَضْلة بن عبد الله بن الحارث، خرج من البصرة بعد أنْ أُخْرج عبيدُ الله بن زياد منها، ثم أتى خراسان، ومات فيها بعد سنة أربع وستين. ابن خياط، الطبقات، ص109، 187، 322.

(7) الطبقات، ص148.

(8) المصدر نفسه، ص245.

(9) المصدر نفسه، ص281.

(10) المصدر نفسه، ص5.

(11) المصدر نفسه، ص93.

المرتـدين، وتحديـداً فـي معركـة اليمامـة[1] سـنة إحـدى عـشرة، والـذي بـرز واضـحاً فـي ترجمـة أبي حذيفة بن عتبة[2]، وزيد بن الخطاب[3]، ومعن بن عدي[4]، وثابت بن قيس بن شِماس[5]، أو فـــي القادســـية[6] ســـنة خمـــس عـــشرة، كـــسعد بـــن عبيـــد بـــن قـــيس[7]، أو فـــي معركة نَهَاوَنْد[8] كالنعمان بن مقرّن في سنة إحدى وعشرين[9]

أما الذين قُتلوا في معارك داخلية، فكان خليفةُ في غالب الأحيان يستخدم لفظة " قُتل"، وحدث ذلك في ترجمة كلٍ من طلحة بن عبيد الله[10]، وعمار بن ياسر [11]،

---

(1) اليمامة: بلدة معدودة من نجد، وفيها قُتل مسيلمة الكذاب، وكانت اليمامة " أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً " الحموي، معجم، ج5، ص441- 447.

(2) الطبقات، ص12.

(3) المصدر نفسه، ص22.

(4) المصدر نفسه، ص87.

(5) المصدر نفسه، ص94.

(6) القادسية: كان اسمها " قادس هراة "، و" قديس "، وعلى أرضها جرت معركة القادسية الشهيرة بين المسلمين والفرس، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً. الحموي، معجم، ج4، ص291- 293.

(7) الطبقات، ص82.

(8) نَهَاوَنْد: مدينة عظيمة، تبعد عن همذان ثلاثة أيام، وتقع إلى الغرب من مدينة قم، وإلى الجنوب من مدينة همذان، وفيها دارت معركة حاسمة بين الفرس والمسلمين سنة تسعة عشر، هزم فيها الفرس هزيمة نكراء، لم تقم لهم بعدها قائمة، حتى أن المسلمين سموا فتح نهاوند بـ " فتح الفتوح ". الحموي، معجم، ج5، ص313- 314. مؤنس، أطلس، ص145.

(9) الطبقات، ص177.

(10) المصدر نفسه، ص18.

(11) المصدر نفسه، ص126.

وحُجر بن عدي[1]، وسليمان بن صرد[2]، والضحاك بن قيس[3]،وعبد الله بن الزبير[4]، وصنع خليفةُ نفسَ الأمر مع من قُتل في يوم الحَرَّة[5] سنة ثلاث وستين، واستبان ذلك في ترجمة كلٍ من يعقوب بن طلحة بن عبيد الله[6]، وعبد الله بن حنظلة الغسيل[7]، ومحمد ابن عمرو بن حزم[8]، ومحمد بن ثابت بن قيس، وأخويه يحيى وعبد الله[9]،

---

(1) المصدر نفسه، ص146.

(2) المصدر نفسه، ص137. ابن الجَوْن: صحابي جليل، وكان اسمه يساراً، ويُكنّى أبا مُطَرِّف، فلما أسلم سماه النبي سليمان، وكان له رواية، حيث روى أحاديث في الصحيحين وغيرهما، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، وكان ممن كتبوا إلى الحسين بن علي بالقدوم إلى العراق، فلما قدم الحسين خذله، حيث كان كثير الشك والوقوف، قُتل بعين الوردة سنة خمس وستين، وكان عمره يوم قُتل ثلاثاً وتسعين سنة. ابن أبي خيثمة، التاريخ، ج3، ص30- 31. ابن سعد، الطبقات، ج5، ص196- 197؛ ج8، ص148. ابن خياط، الطبقات، ص107، 137. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص46- 47. المزي، تهذيب، ج11، ص454- 457. الذهبي، العبر، ج1، ص53؛ سير، ج3، ص394- 395. ابن كثير، البداية، ج11، ص684، 702، 703. ابن العماد، شذرات، ج1، ص290.

(3) الطبقات، ص29. الضحاك بن قيس: أحد الصحابة على الصحيح، وقد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو عبيدة بن الجراح عمّه، وروى عن النبي أحاديث عدة، وكان على أهل دمشق في صفين مع معاوية، وكان مولده قبل وفاة النبي بنحو ست سنين، أو أقل من ذلك، وقتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين. ابن خياط، الطبقات، ص301. المزي، تهذيب، ج13، ص280. ابن كثير، البداية، ج11، ص676.

(4) الطبقات، ص13. عبد الله بن الزبير: يكنى أبا خبيب، وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، وهو أول مولود ولد بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة، أي في السنة الثانية، وبويع له بالخلافة سنة أربع وستين، وقتل ابنُه مصعب المختارَ في سنة سبع وستين، بعد أن مكث في الحكم تسع سنين واثنين وعشرين يوماً. ابن خياط، الطبقات، ص232. ابن أبي خيثمة، التاريخ، ج1، ص387- 388. القضاعي، عيون، ص338. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص71، 75. الذهبي، العبر، ج1، ص60؛ سير، ج3، ص363- 380. الصفدي، الوافي، ج17، ص91- 94.

(5) الحَرّة: هي الأرض التي تكسوها حجارة سوداء، وجمعها حرّات وحِرار، والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام، وإن وقعة الحرة التي سيجيء الحديث عنها لاحقاً، إنما دارت رحاها في إحدى حرَّتَي المدينة، وهي الشرقية، وتسمّى حرة واقم، سميت باسم رجل من العماليق يدعى واقماً، كان قد حلّ بها قديماً. الحموي، معجم، ج2، ص245- 250.

(6) الطبقات، ص233.

(7) المصدر نفسه، ص136- 237.

(8) المصدر نفسه، ص237. ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسماه النبي محمداً، وكناه أبا عبد الملك. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص461- 462.

(9) الطبقات، ص238.

وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري[1]، وكُثَيِّر بن أفلح[2] لكن الباحث لاحظ أيضاً أن خليفةَ خالف هذا التوجه في استخدام الألفاظ، وذلك حينما كان الحديث عن مقتل عثمان بن عفان[3]، وعلي بن أبي طالب[4]، والزبير بن العوام[5]، إذ ألفيناه يستخدم أثناء حديثه عن وفياتهم لفظة "استُشهد "، وتفادى استخدام لفظة "قُتل"، مع أن هؤلاء الثلاثة كانوا قد قُتلوا في ساحات بعيدة عن الاشتباك مع قوات غير المسلمين، ولعلّ مكانة هؤلاء الثلاثة وعلو منزلتهم كانت السبب وراء ذلك.

حرص خليفة في طبقاته على أن يسرد حديثاً يرويه الصحابي صاحب الترجمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، إذا كان في سوْق الحديث أهمية ما في التعريف به، خصوصاً وأن الرواية المباشرة عن الرسول الأعظم تساعد في معرفة الصحابة وتمييزهم، وهو ما حدث في ترجمة قيس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف حيث ذكره خليفة فقال: " روى حديث ولدتُ أنا والنبي صلى الله عليه عام الفيل "[6]، وكما فعل في ترجمة مالك بن صعصعة، حيث ذكر أنه " روى حديث المعراج "[7]، وفي ترجمة أبي أمامة بن سهل، حيث ذكر أنه " سمع النبي صلى الله عليه يقول: لا يقتطع رجل مال أخيه بيمينه، إلا حرَّم الله عليه الجنة "[8]

وقد وجد الباحث في كتاب الطبقات أن خليفة بن خياط كان يشير في بعض الأحايين إلى أنه لا يحفظ لصاحب الترجمة حديثاً، وبدا ذلك واضحاً في ترجمة الحسين بن علي[9]، ومرثد بن ظبيان[10]، والطيب بن بُرَيْر [11]، كما كان يستخدم كثيراً عبارة " له رواية "، كما فعل في ترجمة

---

(1) المصدر نفسه، ص238.

(2) المصدر نفسه، ص238.

(3) المصدر نفسه، ص10.

(4) المصدر نفسه، ص6.

(5) المصدر نفسه، ص13.

(6) الطبقات، ص9.

(7) المصدر نفسه، ص92، 106.

(8) المصدر نفسه، ص106.

(9) المصدر نفسه، ص5. ابن أبي طالب القرشي الهاشمي، أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، يُكْنَى أبا عبد الله، وهو أحد سيدَيْ شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ومحبوبه، وخامس أهل الكساء، وصفه الذهبي بأنه " الإمامُ الشريفُ الكامل "، و" استُشهد بكربلاء من ناحية الكوفة، سنة إحدى وستين في يوم عاشوراء ". ابن خياط، الطبقات، ص5. ابن الأثير، أسد، ج2، ص24. الصفدي، الوافي، ج12، ص262. الذهبي، سير، ج3، ص280. العبوشي، شهيد، ص89- 91.

(10) الطبقات، ص64.

(11) المصدر نفسه، ص70.

رافع بن عمرو[1]، وعُكاف بن وداع[2]، وعبد الله بن الأسود بن شعبة[3]، ومسلمة بن قيصر الحضرمي[4]، وشرحبيل بن أوس[5]، علاوة على استخدامه لعبارة " ليست له رواية "، وهو الذي استبان جلياً في ترجمة كلٍ من سَلِيط بن سليط بن عمرو[6]، وعبد الله بن ذرة[7]، وخالد بن زيد[8]، وربيعة بن أبي الصدَّلت[9]، وهذا المنحى جميعه يشير إلى مبلغ علم خليفة في علوم المحدثين.

ولم يتوانَ خليفة عن ذكر إسهامات الرجل في الغزوات ومشاركته في الفتوح، زد على ذلك الوظائف الإدارية التي يشغلها صاحب الترجمة، والتي حصرها في الولاية والقضاء، ولم يهتم خليفة كثيراً بتسمية الشيوخ الذين نقل عنهم صاحب الترجمة، ولقد كان من النادر أن يسرد خليفة أسماء التلاميذ الذين أخذوا عنه، فضلاً عن أنه كان لا يذكر تفاصيل وافية عن سيرة الرجال، وأحوالهم، وأوصافهم الخَلْقية والخُلُقية، والوقائع المهمة التي واجهوها في حياتهم، على خلاف ما كان يفعله ابن سعد في طبقاته[10]

وقد لاحظ الباحث أن خليفة لم يستعمل عبارات الجرح والتعديل في كتابه " الطبقات "، وقلما تجد له في مصنفاته التي وصلت إلينا قولاً في نقد الرجال، باستثناء موقف واحد في تاريخه، إذ وردت عبارة في توثيق عمران بن أبي عاتكة، قال فيها " ثقة في الحديث "[11]، كذلك لم يغفل خليفة عن ذكر الموالي الذين برعوا في مجالات عديدة، أو الذين شاركوا في الحياة السياسية العامة، حيث ذكر في ترجمة يزيد بن هرمز أنه كان " رأس الموالي يوم الحرة "[12]، كما ذكر ثوبان مولى رسول الله[13]، وأبا عسيب مولى رسول الله[14]، وأبا كَبْشَة مولى رسول الله(15)، وسفينة

---

(1) المصدر نفسه، ص37.

(2) المصدر نفسه، ص56.

(3) المصدر نفسه، ص181.

(4) المصدر نفسه، ص292.

(5) المصدر نفسه، ص305.

(6) المصدر نفسه، ص174.

(7) المصدر نفسه، ص177.

(8) المصدر نفسه، ص177.

(9) المصدر نفسه، ص183.

(10) عاصي، خليفة، ص88.

(11) ص427.

(12) الطبقات، ص249.

(13) المصدر نفسه، ص7.

(14) المصدر نفسه، ص8.

(15) المصدر نفسه، ص8.

مولى أم سلمة زوج رسول الله[1]، وخبَّاب بن الأرَتّ مولى ثابت ابن أم أنمار[2]، والمنهال بن عمرو مولى بني أسد بن خزيمة[3]، وأبا فروة مولى عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام[4]، ونبهان مولى أم سلمة[5]، ويزيد بن القعقاع مولى عبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة[6]، وعمر بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب[7]، وعلي بن الجَعْد مولى بني هاشم[8]

جعل خليفة النسب هو المعيار الوحيد في عملية ترتيب الصحابة في المدينة المنورة، ولم يُعِرِ السابقة في الإسلام، أو تقدم سنة الوفاة، أو التفاضل بين الصحابة أنفسهم كثيرَ اعتبارٍ، وهو ما تجلى من خلال عرضه لتراجم الرواة من الصحابة على أساس الانتماء العشائري، بغض النظر إذا ما كان الصحابي من القاطنين في المدينة أو الكوفة أو البصرة أو في بلاد الشام، ويحافظ خليفةُ على هذا التقسيم في النسب حتى إبان كلامه عن التابعين في الكوفة والبصرة والمدينة، ولا يخترق هذا النسق إلا في مكان واحد فقط، وذلك في ذكره للطبقة الثانية من تابعي المدينة، حيث عمد إلى تقديم أبناء المهاجرين على من سواهم على قاعدة السابقة في الإسلام، بيد أنه وفي أعقاب هذا الاستثناء كان خليفة يرجع إلى ما درج عليه من الترتيب النسبي[9]

إن تسلسل القبائل عند خليفة لم يكن مجرد ترتيب جِزافي، بل هو ترتيب قَصَده عمداً، إذ أقامه على مبدأ القرابة من الرسول الأعظم، وهو إنما يفعل ذلك على طريقة كتب الأنساب، مع ملاحظة أن ترتيبه على النسب يتلاشى بعد طبقة التابعين، ويعود إلى الظهور في قسمه الأخير من طبقاته الذي أفرده للنساء فقط، مع أن غالبية المصنفين في تراجم الصحابة بعد القرن الثالث الهجري كانوا يُعْرِضون جانباً عن الترتيب على النسب، باعتبار صعوبة الإفادة من الكتاب، وعُسْرة الوصول إلى الترجمة المراد الإطلاع عليها، وعليه فقد لجأ معظمهم إلى الترتيب على حروف المعجم، خصوصاً وأن مصنفاتهم قد اشتملت على الكثير من الموالي والعرب، الذين لم يجرِ ضبط أنسابهم كما الحال مع أنساب الصحابة[10]

---

(1) المصدر نفسه، ص22.

(2) المصدر نفسه، ص126.

(3) المصدر نفسه، ص160.

(4) المصدر نفسه، ص233.

(5) المصدر نفسه، ص246.

(6) المصدر نفسه، ص262.

(7) المصدر نفسه، ص265.

(8) المصدر نفسه، ص329.

(9) الطبقات،(المحقق)، ص38. عاصي، خليفة، ص97.

(10) عاصي، خليفة، ص97. ابن خياط، الطبقات، (المحقق)، ص38.

تفاوت اهتمام خليفة في طبقاته بذكر المدن، وذلك حسب المكانة العلمية لها، ومبلغ نشاط الرواية فيها، وعدد العلماء الساكنين في ربوعها، فكلما توفرت هذه العناصر زاد خليفة من ذكره لهذه المدينة، ولقد كانت المدينة المنورة ذات نصيب الأسد في الذِكْر والإشارة، حيث تم لها تخصيص أكثر من ثلث كتاب الطبقات، ويتضاءل ذكر المدينة كلما تضاءل دورها في الرواية كما الحال مع مدن الحجاز، بيد أن مكة تبقى على قيمة عالية بالنظر إلى موقعها الديني، واجتماع الرواة والمحدثين فيها خلال موسم الحج، ويليهما في الأهمية الكوفة ثم البصرة، أما بالنسبة إلى مدينتَيْ واسط[1] وبغداد، فيبدو أنه لم ينزل فيهما صحابي أو تابعي بالنظر إلى
تأخرِ بنائهما، لذا لم تحوزا على نصيبٍ كبير من الذكر في طبقات خليفة[2]، كما أن خليفة أهمل الحديث عن أماكن اهتم بذكرها غيرُه من المؤرخين، في حين أنه عني بذكر أماكن أغفلها غيره، يقول الدكتور حسين عاصي: " وقد أهمل خليفة أماكن ذكرها ابن سعد، وهي: هَمَدان[3]، وقُمّ[4]، والأَنبار[5]، والبحرين، والثغور، وأيْلة[6]، والأندلس، ولكنه أضاف مراكز جديدة أهملها ابن سعد، وهي الموصل والمغرب، وقد تناول المغرب بشيءٍ من التفصيل "[7]

---

(1) واسِط: مدينة تتوسط بين البصرة والكوفة، وذلك " لأن منها إلى الكوفة والبصرة خمسين فرسخاً "، وقيل: لأنها بنيت بالقرب من موضع يقال له " واسط القصب "، وشرع الحجاج بن يوسف الثقفي في بنائها سنة أربع وثمانين، وفرغ من بنائها سنة ست وثمانين. البكري، المسالك، ج2، ص9. الحموي، معجم، ج5، ص347- 353.

(2) عاصي، خليفة، ص103-104. ابن خياط، الطبقات، (المحقق)، ص51-54.

(3) همدان: ناحية من نواحي اليمن، الحموي، معجم، ج5، ص438؛ ج3، ص421.

(4) قُم: مدينة ليست بقديمة، إنما هي مستحدثة، كان طلحة بن الأحوص الأشعري قد مصّرها، وقال عنها الحموي: " وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً ". الحموي، معجم، ج4، ص397.

(5) الأنْبار: مدينة تقع على نهر الفرات في غربي بغداد، وكانت الفرس تسميها فيروزسابور، وبينها وبين مدينة السلام اثنا عشر فرسخاً، علماً بأن هناك مدينة أخرى يُطْلَق عليها نفس الاسم، وتقع على مقربة من مدينة بَلْخ، وتزخر بالماء والكروم والبساتين. البكري، المسالك، ج2، ص9. الحموي، معجم، ج1، ص257-258.

(6) أيلة: مدينة صغيرة على ساحل بحر القُلْزُم، إلا أنها تتمتع بموقع مهم، كونها تقع على لسان من البحر الملح. الحموي. معجم، ج1، ص292.

(7) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص54-55.

ثانياً/ كتاب التاريخ:

يُنْظَر دوماً إلى كتاب التاريخ لخليفة بن خياط على أنه أقدم كتاب كُتب باللغة العربية مُرتَّب على الحوليات، وأنه وثيقة تاريخية فريدة من نوعها، حيث تحدثت عن مائتين واثنتين وثلاثين سنة من التاريخ الإسلامي العام، ويُذْكَر أن إبراهيم الكتّاني القيّم على الخزانة العامة للمخطوطات في الرباط كان قد عثر على نسخة فريدة من مخطوط تاريخ خليفة بن خياط، وقد عُرضت هذه المخطوطة ذات القيمة العالية في سنة 1380هـ/ 1960م، وذلك في معرض المكتبة التابعة لجامعة القرويين بمدينة فاس المغربية، بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس هذه الجامعة، وقد حُفظت هذه المخطوطة في مكتبة الأوقاف في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 199، حيث تقع في جزء واحد يتضمن 336 صفحة، وكانت الصفحة الواحدة من هذه المخطوطة تشتمل على واحد وعشرين سطراً، وهي مدونة بخطٍ مغربي بيِّن، وإن كانت الرطوبة قد تركت أثرها على الصفحة الأولى من المخطوطة، حيث مُسحت بعض الكلمات المدونة عليها[1]

ولقد جرى تدوين اسم ناسخ هذه المخطوطة في الورقة الأخيرة من المخطوطة، وهو أحمد بن محمد الأشعري، حيث يرجع تاريخ كتابته لها إلى سنة 477هـ/1084م، إذ وُجد مكتوباً عليها: " تم الكتاب بحمد الله وعونه في مستهل ذي القعدة سنة سبع وسبعين وأربع مائة بيد أحمد بن محمد الأشعري "، ولقد بلغت الدقة في ناسخها أنه كان يثبت في هوامشها ما اطلع عليه من تباين بين النسخ، فضلاً عن أنه كان يورد بعض الوقائع والأحداث التي تخالف بعض المصادر التي كانت بيديه كـ " نسب قريش " لمصعب الزبيري، و" التاريخ الكبير " للبخاري، و" البيان والتبيين " للجاحظ، وكتب الدارقطني وغيرها، كما عمد إلى تزيين الهوامش ببعض الشروح والتراجم لبعض الرواة[2]

ويعتبر الحافظ أبو عبد الرحمن بقيّ بن مخلد القرطبي(ت: 276هـ/889م) أحد علماء الأندلس المشهورين[3]، وهو راوية تاريخ خليفة بن خياط، الذي أخذ العلم عن شيوخ قرطبة، ثم رحل من بعد ذلك إلى بلاد المشرق، وتتلمذ على شيوخ مصر والشام وبلاد العراق، علماً بأن هذا الراوية كان قد صنَّف مصنفاتٍ كثيرةً لم تصلنا، كان من أبرزها مسنده في الحديث الذي قام بترتيبه وفق أسماء الصحابة، كما رتب حديث كل صحابي وفق أبواب الفقه، وله كتاب في تفسير القرآن، الذي أشيد به إشادة عظيمة، على اعتبار أنه لم يؤلَّف مثله في الإسلام، حتى فاق في المنزلة

---

(1) عاصي، خليفة، ص40-41.

(2) المرجع نفسه، ص41.

(3) ابن عساكر، تاريخ، ج10، ص354.

تفسير ابن جرير الطبري، وغيره من المصنَّفات[1]، وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم في المنزلة، وبالغ بقي في الجمع والرواية[2] حيث روى عن العلماء والفقهاء ما يزيد عن مائتي رجل وأربعة وثمانين آخرين، وذلك قبل أن يرجع إلى بلاد الأندلس ليملأها علماً وفقهاً[3]

أخذ بقيٌ عن خليفة بن خياط العلم، وكان مما أخذ عنه كتابه في التاريخ، حيث لم يقتصر جهد بقي بن مخلد على نقل تاريخ خليفة، بل تجاوز ذلك الأمر مضيفاً إليه بعض المرويات التي نقلها عن بعض شيوخه كالمحدث البصري محمد بن عبد الله بن نمير(ت: 234هـ/848م) الذي نقل عنه بقيٌ بعض الروايات الموجزة ذات الصلة باستشهاد الحسين بن علي، وثورة عبد الله بن الزبير، بالإضافة إلى تواريخ تتعلق ببيعة بعض الخلفاء الأمويين، ولم يصرح باسم شيخه هذا إلا مرة واحدة، وكان في سائر المرات يكتفي بقوله " ابن نمير "، كما حرص بقي بن مخلد على نقل ثلاث روايات عن إسماعيل بن عياش تتعلق بثورة عبد الله بن الزبير، وإكرام آل المهلب في خلافة عبد الملك بن مروان[4]

إن معظم الزيادات التي زادها بقيٌ إلى تاريخ خليفة كان خليفة قد أخذها من مصدرين اثنين أولهما: الليث بن سعد، الذي أخذ عنه بقيٌ عن طريق يحيى بن عبد الله بن بكير (ت: 235هـ/849م)، حيث كان كتاب التاريخ لخليفة برفقة بقي بن مخلد في زيارته للعراق، فأضاف إليه بقيٌ ما ترامت إلى أسماعه في مجلس ابن بكير من الروايات التي أخذها الأخير عن الليث بن سعد، وهي في غالبيتها ذات صلة بأحداث مصر وشمال أفريقية إبان الحكم الأموي، علاوةً على أحداث عظيمة في الشرق الإسلامي كاستشهاد الحسين، وثورة عبد الله بن الزبير، أما المصدر الثاني للزيادات التي أقدم عليها بقي بن مخلد فهو محمد بن عائذ الدمشقي (ت: 233هـ/847م)، الذي اهتم بالوقائع التي تتصل ببلاد الشام، وحروب المسلمين للروم خلال العهد الأموي، وقد تلقى بقي بن مخلد مرويات محمد بن عائذ على يد بكار بن عبد الله بن بشر، والذي سمع منه بقيٌ في مدينة دمشق، بيد أن المقتطفات التي سردها بقيٌ في التاريخ لم تكن مما سمعه منه بدمشق، وذلك لأن بقيّ بن مخلد كان قد صرَّح بطريقة النقل فكان يقول: " كتب إليَّ بكار بن عبد الله "[5]

أما عن طبعات تاريخ خليفة بن خياط، فقد اطلع الباحث على أن الدكتور سهيل زكار كان قد قام بتحقيق مخطوطة الكتاب التي صدرت في مجلد واحد، عن دار الفكر للطباعة والنشر

---

(1) ابن عساكر، تاريخ، ج10، ص358.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص358.

(3) المصدر نفسه، ج10، ص358.

(4) ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص31-32.

(5) المصدر نفسه، ص32-33.

والتوزيع، 1387هـ/ 1967م، كما عمد الدكتور أكرم ضياء العمري إلى تحقيق المخطوطة، وصدر عن مطبعة الآداب في العراق سنة 1387هـ/ 1967م، حيث قدم المجمع العلمي العراقي يد المساعدة في سبيل نشره.

أما بشأن الدوافع التي حدت بخليفة بن خياط إلى كتابة تاريخه، فيمكن حصرها في العناصر التالية:

1. اهتمام العرب بدراسة التاريخ والعناية بأخباره، ففي العصر الجاهلي سطع هذا الاهتمام من خلال إيلاء النسب وذكر أخبار البطولات وحفظ الأيام والحروب أهمية جلية، أما في العصر الإسلامي فقد حث القرآن الكريم المسلمين على لزوم الأُنْس بأحوال الأمم الماضية بغرض أخذ العبرة منها، زد على ذلك، قيام القرآن الكريم بتضمين آياته الكثير من الوقائع والأحداثالتي واجهت الرسول الأعظم إبان المراحل المتلاحقة التي مرَّت بها الدعوة الإسلامية، كما أن قيام الدولة الإسلامية وسعة حدودها وشمولها لأقاليم متنوعة الأعراق تضم أمماً وشعوباً شتى، قد ساهم كثيراً في العناية بالتاريخ[1]
2. إن إدارة الدولة يستلزم الإطلاع على أخبار فتوح البلدان، بهدف تقرير الضرائب التي يتعين على الوالي فرضها على سكان البلاد، كما أن الاستقرار الأمني وشيوع السلام في ربوع الدولة ساهم إلى حدٍ كبير في شعور الناس بحاجتهم إلى معرفة المباحث العقلية كالأدب والسياسة والتاريخ، علاوة على أن إقامة جماهير المسلمين في الأمصار الجديدة أدى إلى شعورهم بالعزلة داخل المجتمع الجديد، ما أفضى إلى تفاخرهم بالمدينة التي يقيمون فيها، حيث أخذ تعصب كل واحد منهم للمدينة التي يقطنها يتعاظم شيئاً فشيئاً، وتجلى ذلك من خلال التمايز الحاصل بين شعراء البصرة والكوفة، وبين فقه أهل المدينة وأهل الكوفة، وهو الأمر الذي حدث بشأن التاريخ، حيث جرى في القرنين الأول والثاني تأليف العديد من المصنَّفات، اقتصر كل مصنف منها على الكتابة عن حادث محلي ما، أو عن بطولات هذه العشيرة أو تلك، ثم شرع المصنِّفون بالاهتمام في أحداث المصر كاملاً[2]
3. إن انتشار الأمن والسلم في جميع أقطار الدولة الإسلامية ساهم في إزالة الحواجز، ورفع القيود أمام حرية التنقل، وأصبحت الدولة تتبنى مبدأ الحرية في العقيدة، والتنقل بين الأقطار شعاراً لها، ما أفضى إلى ازدهار التجارة، ونشوء مراكز اقتصادية جديدة استقدمت المهاجرين الجدد إليها، ونتج عن ذلك كله نشاطٌ متزايدٌ في حركة الهجرة بين الأقاليم، سيما

---

(1) عاصي، خليفة، ص44.

(2) المرجع نفسه، ص45-46.

وأن كثيراً من العشائر كانت ترافق الوالي الجديد إلى الإقليم الذي تولى أمره، وبالنظر إلى كون دعوة الإسلام العظيم عالمية، فقد أدى هذا إلى التزاوج الحاصل بين علوم الدين من جهةٍ، والمؤرخين من جهةٍ أخرى، خصوصاً في أساليب البحث والتحقيق، حيث تبدى ذلك من خلال قيام العديد من المؤرخين بتبني فكرة الإسناد التي كان يوليها أهل الحديث اهتماماً فائقاً[1]

منهجه في كتابة التاريخ:

يعتبر كتاب تاريخ خليفة بن خياط من أقدم ما وصل إلينا من كتب التاريخ التي تعتمد منهج الحوليات، ويتناول تاريخه الفترة الممتدة لأكثر من قرنين متتابعين من الزمن، حيث استهل خليفة كتابته بالحديث عن وضع التأريخ[2]، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم[3]، ثم انبرى يستعرض أخبار كل الوقائع سنةً بعد سنة، بَدْءاً من السنة الأولى للهجرة[4]، وإذا ما استجمع الحديث عن خليفة من الخلفاء، تطرق إلى أسماء ولاته على الأقاليم، ثم القضاة، والحجاب، والشرطة، والكتابة، وبيوت المال، والخاتم، والبريد، وأسماء الرسل، وهو ما بدأ به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[5]، وأبي بكر الصديق[6]، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه[7]، وعثمان بن عفان[8]، وعلي بن أبي طالب[9]، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[10]، ويزيد بن معاوية[11]، وابنه معاوية[12]، ومروان بن الحكم[13]، وابنه عبد الملك[14]، والوليد بن عبد الملك[15]، وسليمان بن عبد

---

(1) عاصي، خليفة، ص46-47.

(2) تاريخ، ص49- 51.

(3) المصدر نفسه، ص52- 54.

(4) المصدر نفسه، ص54- 56.

(5) المصدر نفسه، ص96- 99.

(6) المصدر نفسه، ص122- 123.

(7) المصدر نفسه، ص153- 156.

(8) المصدر نفسه، ص178- 180.

(9) المصدر نفسه، ص199- 202.

(10) المصدر نفسه، ص227- 228.

(11) المصدر نفسه، ص256.

(12) المصدر نفسه، ص255.

(13) المصدر نفسه، ص263.

(14) المصدر نفسه، ص293- 299.

(15) تاريخ، ص310- 313.

الملك[1]، وعمر بن عبد العزيز[2]، ويزيد بن عبد الملك[3]، وهشام بن عبد الملك[4]، والوليد بن يزيد بن عبد الملك[5]، ويزيد بن الوليد[6]، ومروان بن محمد[7]، وأبي العباس السفاح[8]، وأبي جعفر المنصور[9]، والمهدي بن المنصور[10]، والهادي موسى بن المهدي[11]، وهارون الرشيد[12]، وكان آخرهم المأمون[13]، وختم تاريخه بذكر خلافة المعتصم بالله، ثم وفاته، ثم خلافة الواثق دون أن يذكر لكليهما أسماء ولاتهم أو موظفي دولتهم[14]، وهو الأمر الذي فعله حين تحدث عن الخليفة الأموي إبراهيم بن الوليد.

يمتاز منهج خليفة بن خياط في كتابته للتاريخ أنه يقدم لنا إحصاءات يكاد لا يقدمها غيره من المؤرخين، ففي أعقاب حديثه عن أي معركة كبيرة ومصيرية، كغزوة بَدْر[15]، وأُحُد[16]، وخَيْبَر[17]، وحروب اليَمامة[18]، والجَمَل[19]، والحَرَّة[20]، نراه يقوم بإيراد أسماء أولئك الذين لقوا حتفهم بسببها.

---

(1) المصدر نفسه، ص317- 319.

(2) المصدر نفسه، ص322- 325.

(3) المصدر نفسه، ص332- 335.

(4) المصدر نفسه، ص357- 362.

(5) المصدر نفسه، ص366- 368.

(6) المصدر نفسه، ص369- 371.

(7) المصدر نفسه، ص 405- 409.

(8) المصدر نفسه، ص412- 415. وُلد سنة أربع ومائة، ولُقِّب بالسفاح، وكان أول الخلفاء العباسيين. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص363. ابن كثير، البداية، ج13، ص9.

(9) تاريخ، ص430- 436.

(10) المصدر نفسه، ص440- 443.

(11) المصدر نفسه، ص446- 447.

(12) المصدر نفسه، ص461- 465.

(13) المصدر نفسه، ص475- 476.

(14) المصدر نفسه، ص475- 480.

(15) المصدر نفسه، ص59- 61.

(16) المصدر نفسه، ص68- 73.

(17) المصدر نفسه، ص83- 84.

(18) المصدر نفسه، ص111- 115.

(19) المصدر نفسه، ص187- 190.

(20) المصدر نفسه، ص240- 250.

ولقد لفت انتباه الباحث أن خليفة بن خياط لم يفرد في كثيرٍ من صفحات تاريخه أخبار الدولة العباسية، بل كان يسوق الروايات المتعلقة بها على عجلٍ، ولعل ذلك برز جلياً إبان حديثه عن الأحداث التي وقعت بين سنة مائتين وحتى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، حيث لاحظ الباحث أن خليفة تحدث في تاريخه عن ثلاث وثلاثين سنة من الأحداث في حدود أحد عشر صفحة فقط[1]، كما بدا لافتاً أن كتاب التاريخ لخليفة بن خياط يقع في إحدى وثلاثين وأربعمائة صفحة، تحدث في ست ومائتين عن الدولة الأموية، بينما تناول ما أدرك من الدولة العباسية في إحدى وسبعين صفحة فقط، ولعلّ خليفة كان لا يرى ضرورة كبيرة في إيراد الوقائع لأناس عايشوها بأنفسهم، أو سمعوها من آبائهم الذين أبصروها بأم أعينهم، ومن المحتمل أن تكون هناك أسباب أكثر وجاهة من ذلك، لكن الباحث لم يعثر على أيٍّ منها حتى فراغه من هذا البحث.

ويرى الباحث أن خليفة لم يولِ في تاريخه بعض الأحداث الداخلية للدولة الإسلامية العناية المطلوبة، وكان يستعيض بدلاً عن ذلك بالإشارة أو بالتلميح، وهذا ما حدث مع ثورة يزيد بن المهلب[2]، التي أشار إليها دون تفصيل أو إجمال[3]، علاوة على ثورة زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، التي تحدث عنها في أقل من سطر واحد، حيث قال في أحداث سنة اثنتين وعشرين ومائة: " وفيها قُتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة "[4]، ومع هذا فإن خليفة تفرد عن غيره بتدوين أخبار مهمة، حيث أنه ساق روايةً تشير إلى أن أبا بكر الصديق كان قد أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر بغرض توقيع معاهدة مع المقوقس[5]

ولاحظ الباحث أن تاريخ خليفة كان يُعنُى كثيراً بإيراد الوقائع العظيمة التي حدثت داخل الدولة الإسلامية، بل ويتطرق إلى تفصيلات بالرواية، أو إلى ذكر معلومات غاية في الأهمية،

---

(1) تاريخ، ص470- 480.

(2) ابن أبي صفرة، ولد سنة ثلاث وخمسين، وكان من أسرة لم يكن في دولة بني أمية أكرم منها، وهو أزدي من اليمنية، تولى خراسان، ثم عُزل عنها، وحبسه الحجاج ثم عمر بن عبد العزيز، ولما علم بقرب وفاة عمر بن عبد العزيز هرب من السجن، وثار ضد الأمويين، وقتل سنة اثنتين وتسعين في معركة خاضها ضد مسلمة بن عبد الملك، وكان كثير الغزو والفتوح. الطبري، تاريخ، ج6، ص355، 426، 590. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص278- 309. الذهبي، سير، ج4، ص503- 506. ابن العماد، شذرات، ج2، ص17- 18. أحمد، دراسات، ص357. حسن، تاريخ، ج1، ص269- 270. عبد الفتاح، ضياع، ص44- 45. الكبي، موسوعة، ج2، ص121، 126. زعرور، أحمد، تاريخ، ص82.

(3) تاريخ، ص320، 322، 325، 326.

(4) المصدر نفسه، ص353.

(5) المصدر نفسه، ص143.

لا نجدها عند غيره من المؤرخين، خصوصاً مقتل عثمان بن عفان[1]، وأمر التحكيم[2]، وثورة ابن الأشعث[3]

عاش خليفة بن خياط في الفترة التي كان فيها المحدثون يهتمون بالإسناد اهتماماً بالغاً، وَضُحَ ذلك بيّناً في كتب الصحاح والمسانيد التي برزت في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وبالنظر إلى أن خليفة كان من المحدثين الذي يقومون على جمع الحديث وكتابة المسند، فلا غرو أن نراه من المهتمين جداً بالإسناد في الروايات التاريخية التي يسوقها، بيد أن التدقيق في مسألة الإسناد بقيت ملازمة للحديث، بخلاف الأخبار التي أبدى ناقلوها بعض التساهل في التعويل على الإسناد، وهو الأمر الذي مارسه خليفة، وذلك لأنه لا يترتب عليها أحكام تختص بأوضاع الناس ومعايشهم، حتى أن المحدثين تساهلوا في أسانيدها، كما تساهل خليفة في استعمال الإسناد في كتابه الطبقات، حينما اكتفى باستعراض مصادره في مطلع الطبقات، ولم يهتم بذكر الأسانيد خلال كتابته لها إلا نادراً، سيما في مواطن الخلاف، أو عندما لا يبتغي تحمل المسئولية المترتبة على سرد الرواية، حيث أن من المستساغ في كتابة الطبقات التساهل في مسألة الإسناد، لأن الأنساب تغلب على هذا النوع من المصنَّفات، ولا مجال للتلاعب في سردها، فضلاً عن تقلص أثر الهوى في موضوع يتعلق بالأنساب وسنوات الوفاة[4]

اهتم خليفة بن خياط بإيراد الأسانيد عند ذكر الوقائع الجسام التي تحتاج إلى تدقيق، وذلك بسبب تأثير الأهواء فيها، مثل فتنة عثمان[5]، ومعركة الجمل[6]، وأخذ معاوية البيعة من أهل الحجاز لابنه يزيد[7]، ووقعة الحرة[8]، بينما بزغ تساهل خليفة في الإسناد في العديد من الروايات، حيث كان يذكر في إسناده عبارة: " حدَّثني من سمع "[9]، أو " رُوِي عن "[10]، أو" حُدِّثْنا عن "[11]، برغم هذا فإن خليفة قد سرد أحداثاً كثيرة دون إشارةٍ منه

---

(1) تاريخ، ص168– 177.

(2) المصدر نفسه، ص191– 192.

(3) المصدر نفسه، ص279– 289.

(4) ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص14– 15. عاصي، خليفة، ص65–67.

(5) تاريخ، ص168– 177.

(6) المصدر نفسه، ص182– 186.

(7) المصدر نفسه، ص213– 218.

(8) المصدر نفسه، ص236– 239.

(9) المصدر نفسه، ص137.

(10) المصدر نفسه، ص52.

(11) المصدر نفسه، ص151، 173، 186.

إلــى الأســانيد، وخاصــةً أســماء الــشهداء والقتلــى الــذي ســقطوا فــي الغــزوات والمعــارك، كغـــزوة بـــدر[1]، وأحـــد[2]، وخيبـــر[3]، واليمامـــة[4] والحـــرة[5]، ومـــن قُتـــل بقديد[6]، يقول شاكر مصطفى:

" وطريقة ابن خياط في السرد التاريخي متصلة بصفته كمحدث، فهو يهتم بالإسناد لا سيما حين يتعلق الأمر بالأحداث الخلافية، ولكنه يتساهل في الطبقات حيث اكتفى بذكر قائمة مصادره فــي أول الكتــاب، إلا أن أهــم مــا يميــزه هــو إنــه اتبــع الطــريقتين الأساســيتين، اللتــين ســتكونان في المستقبل الطرائق الرئيسية والمفضلة لدى المؤرخين، طريقة الطبقات في (كتاب الطبقات)، وطريقة الحوليات في (التاريخ)"[7]

---

(1) تاريخ، ص59- 61.

(2) المصدر نفسه، ص68- 73.

(3) المصدر نفسه، ص83- 84.

(4) المصدر نفسه، ص111- 115.

(5) المصدر نفسه، ص240- 250.

(6) المصدر نفسه، ص392- 393. وقعة قديد: وفيها حدثت المعركة الدامية بسبب انتفاض أهل مكة بقيادة أبي حمزة على مروان بن محمد في سنة 130هـ، فأمر مروان واليه على المدينة عبد العزيز بن عمر أن يقمع الثورة، فلما سار أبو حمزة يريد المدينة، استخلف على مكة أبرهة بن الصباح الحميري، فلما التقى الفريقان بالقرب من المدينة، كان الظفر من نصيب الثوار، حيث دخل أبو حمزة المدينة في صفر سنة 130هـ، بعد أن قُتل من الفريقين خلق كثير. ابن خياط، تاريخ، ص391-395.

(7) التاريخ، ج1، ص235.

موارده في التأريخ:

يعتبر خليفة بن خياط من أولئك الذين أخذوا الكثير من الروايات عن شيوخه المحدّثين البصريين، إذ عنوا بسرد تفاصيل تتصل بالسيرة النبوية، وبالفتوحات الإسلامية، واستجلاء طبيعة الفتوح، سواءً كانت عنوةً أم صلحاً، وذلك لما يترتب على هذا التقسيم من أحكام فقهية وعملية، كما أولوا الفتن التي عصفت بالأوضاع العامة للمسلمين أهمية بالغة، سيما في تبيان عقائد الرواة، والأُنس بميولهم السياسية، الأمر الذي له أهمية عالية بالنسبة إلى إسناد الأحاديث، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بأحداث حساسة كمقتل عثمان، ومعركة الجمل، ودير الجماجم[1] لاتصالها بالقراء والمحدثين، ولقد عمد شيوخ خليفة إلى العناية بتدوين وفيات العلماء والأمراء، وساعدهم على ذلك سكناهم في البصرة ذاتها، حيث أكثر خليفة النقل عن بعضهم، بينما أخذ عن البعض الآخر روايةً واحدة، أو روايتين[2]، ومن أهم الشيوخ الذين أخذ خليفة بن خياط عنهم المرويات التاريخية:

محمد بن إسحق(ت: 151هـ/768م):

وهو أبو بكر محمد بن إسحق بن يسار بن خيار، وكان من الأثبات عند الكثير من العلماء، فضلاً عن أنه صاحب إمامة في المغازي والسير[3]، حتى قال ابن شهاب الزهري (ت: 124هـ/741م): " من أراد المغازي فعليه بابن إسحق "[4]، وتابعه شعبة بن الحجاج (ت: 160هـ/776م) بقوله: " محمد بن إسحق أمير المؤمنين "[5]، يقصد في الحديث[6]، كما وزكّاه سفيان بن عيينة(ت: 198هـ/813م) فقال: " ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحق في حديثه "[7]، والشافعي(ت: 204هـ/819م) حينما قال: " من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على

---

(1) دير الجماجم: دير يقع على سبعة فراسخ من الكوفة، والجمجمة: القدح من الخشب، وإنما قيل عنه دير الجماجم " لأنه كان يُعْمل فيه الأقداح من خشب "، وقيل: البئر التي تحفر في سبخة، وفيه كانت المعركة الفاصلة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، ويرى ابن الجوزي أن سبب التسمية يرجع إلى أن حرباً بين قبيلتين عربيتين اندلعت قرب هذا الدير، ودُفن خلق كثير من القتلى " فكان الناس يحفرون، فتظهر لهم جماجم، فسمي دير الجماجم "، وقيل: إن الجماجم جُمعت فكانت كالكوم. ابن قتيبة، المعارف، ص357. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص245. الحموي، معجم، ج2، ص503- 504. القلقشندي، نهاية، ص423.

(2) عاصي، خليفة، ص62.

(3) ابن خَلّكان، وفيات، ج4، ص276.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص276.

(5) ابن خَلّكان، وفيات، ج4، ص276. الذهبي، تذكرة، ج1، ص156.

(6) ابن خَلّكان، وفيات، ج4، ص276.

(7) المصدر نفسه، ج4، ص276. الذهبي، تذكرة، ج1، ص156.

بن إسحق "[1]، بينما امتدحه يزيد بن هارون(ت: 206هـ/821م) بقوله: " لو كان لي سلطان، لأمَّرت ابن إسحق على المحدثين "[2]، وقال عنه علي بن المديني (ت: 234هـ/848م): " حديثه عندي صحيح "[3]، يقول ابن خَلّكان:

" وحكي عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان، أنهم وثَّقوا محمد بن إسحق، واحتجوا بحديثه، وإنما لم يخرّج البخاري عنه وقد وثقه، وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرّج عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم، من أجل طعن مالك بن أنس فيه، وإنما طعن مالك فيه لأنه بلغه عنه أنه قال: هاتوا حديث مالك، فأنا طبيب بعلله، فقال مالك: وما ابن إسحق؟! إنما هو دجّال من الدجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة "[4]، يقصد أن الدجال لا يدخل المدينة[5]،

وما يعزز نظرة ابن خلكان حيال ابن إسحق ما ذهب إليه الذهبي حينما نعت ابن إسحق بأنه: "كان أحد أوعية العلم، حبراً في معرفة المغازي والسير "[6]، واتبعه في ذلك الدكتور محمد أحمد ترحيني، حيث يقول: " ويعتبر محمد بن إسحق أبرز مؤرخي السيرة، وأحد أعمدة مدرسة المدينة التاريخية، وقد تقصى أخباره الكثيرة والمتنوعة من شيوخه، ومن العارفين في المدينة "[7]

ولقد تضمنت روايات ابن إسحق التي أخذها عنه خليفة بن خياط الأحداث الرئيسة ذات العلاقة بالسيرة النبوية كافة، كمولده صلى الله عليه وسلم[8]، ووصوله إلى المدينة[9]، وغزواته[10]، وسراياه[11]، وصرف القبلة إلى الكعبة[12]، وموت رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، وصلح الحديبية[2]، ومصالحة فدك[3]، وإنفاذ جيش أسامة[4]، وحروب الردة[5]،

---

(1) ابن خَلّكان، وفيات، ج4، ص276.

(2) الذهبي، تذكرة، ج1، ص156.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص156.

(4) وفيات، ج4، ص276-277. الذهبي، تذكرة، ج1، ص156.

(5) ابن خَلّكان، وفيات، ج4، ص277.

(6) الذهبي، تذكرة، ج1، ص156.

(7) المؤرخون، ص50.

(8) تاريخ، ص52، 53.

(9) المصدر نفسه، ص54، 55.

(10) المصدر نفسه، ص57، 58، 59، 66، 67، 68، 73، 74، 80، 82، 84، 86، 87، 88، 89، 92.

(11) المصدر نفسه، ص61، 62، 63، 78، 85، 92- 93.

(12) المصدر نفسه، ص64.

ووفاة أبي بكر الصديق[6]، وعام الرمادة في سنة ثمان عشرة(7)، كما نقل خليفة عن ابن إسحق مروياته المتعلقة بمعارك اليرموك[8]، والقادسية[9]، وفتوح حمص[10]، وحلب[11]، وقَيْساريّة[12]، وأذربيجان[13]

وهب بن جرير بن حازم(ت: 207هـ/822م):

وهو أبو عبد الله وهب بن جرير بن حازم بن زيد البصري[14]، وصفه ابن حجر العسقلاني بقوله: " ثقة "[15]، وقد عني وهب بن جرير بأخبار العلماء والمحدثين، ما يعني أن وهباً كان محدّثاً، وأن شغفه بالحديث كان كبيراً، ما دفعه للاهتمام بالمحدثين وأخبارهم، فضلاً عن تدوين آرائهم بشأن الأحداث التي عاصروها، سيما الفتن منها، والتي تسهم في معرفة عقائد رواة الحديث وميولهم[16]، ولقد عني وهب بن جرير بالروايات التي تُعْنَى بالوقائع التي دارت في داخل المجتمع

---

(1) تاريخ، ص65.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) المصدر نفسه، ص83، 85. فَدَك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة مسيرة يومين، وكانت مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، إبان فتح خيبر، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنها فُتحت صلحاً في سنة سبع. الحموي، معجم، ج4، ص238- 240.

(4) تاريخ، ص100.

(5) المصدر نفسه، ص102، 103، 104، 105، 107، 108، 109، 110، 112، 113، 114، 116، 117، 119.

(6) المصدر نفسه، ص121.

(7) المصدر نفسه، ص138.

(8) المصدر نفسه، ص130.

(9) المصدر نفسه، ص131، 132.

(10) المصدر نفسه، ص127.

(11) المصدر نفسه، ص135.

(12) المصدر نفسه، ص141. قَيْساريّة: بلد يقع على ساحل بلاد الشام، تُعدُّ في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. الحموي، معجم، ج4، ص421- 422.

(13) تاريخ، ص151. أذَربيجان: مدينة واسعة، ومن أشهر مدنها: تبريز، وسلماس، وأرْدبيل، ومَرَند، وتكثر فيها القلاع والفواكه والبساتين، وهي بلاد فتنة وحروب، فتحها حذيفة بن اليمان في زمن عمر بن الخطاب. الحموي، معجم، ج1، ص128- 129.

(14) ابن حجر العسقلاني، تقريب، ص1043. مصطفى، التاريخ، ج1، ص177.

(15) تقريب، ص1043.

(16) ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص18. مصطفى، التاريخ، ج1، ص234-235.

الإسلامي، حيث تناولت رواياته التي نقلها عنه خليفة معلومات تفيد بأن النبي صلة الله عليه وسلم ولد في عام الفيل[1]، وكذلك عن غزوة حنين[2]، ومعركة الجمل[3]، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية[4]، وبعض حركات الخوارج(5)، كما روى الرواية التي تذكر حادثة إرسال الخليفة يزيد بن معاوية رزيقاً مولاه إلى والي المدينة الوليد بن عتبة[6]، كما نقل خليفة عنه ثلاث روايات تتعلق بأحداث وقعة الحرة[7]

أبو مَعْشَر السندي (ت: 170هـ/786م):

وهو الإمام المحدث، وصاحب المغازي، نَجِيح بن عبد الرحمن السندي ثم المدني[8]، قال عنه أحمد بن حنبل(ت: 241هـ/855م): " يكتب من حديث أبي معشر أحاديثه عن محمد بن كعب في التفسير "(9)، وقال أيضاً: " صدوق، لكنه لا يقيم الإسناد "[10]، وقال عنه في موضعٍ آخر: " كان بصيراً بالمغازي، صدوقاً "[11]، في حين اعتبره أبو زُرْعة (ت: 281هـ/894م) بأنه: " صدوق في الحديث، ليس بالقوي "[12]، ولقد أخذ خليفة عن أبي معشر أسماء بعض شهداء معركة اليمامة([13])، ورواية تتعلق بأحداث الردة نفسها[14]، وأخرى ذات صلة بمقتل عثمان بن عفان[15]، وفي أحداث سنة سبعين ومائة ذكره خليفة في الوفيات[16]، مع ملاحظة أن اعتماد خليفة على أبي معشر كان قليلاً، حيث لم يأخذ عنه كثيراً من مروياته ذات العلاقة بالسيرة النبوية[17]

---

(1) تاريخ، ص53.

(2) المصدر نفسه، ص88.

(3) المصدر نفسه، ص186.

(4) المصدر نفسه، ص213، 214، 215.

(5) المصدر نفسه، ص219، 220، 221، 222.

(6) المصدر نفسه، ص232.

(7) المصدر نفسه، ص237، 238، 239.

(8) الذهبي، سير، ج7، ص435.

(9) المصدر نفسه، ج7، ص437.

(10) المصدر نفسه، ج7، ص437.

(11) الذهبي، تذكرة، ج1، ص212.

(12) الذهبي، سير، ج7، ص438. الذهبي، تذكرة، ج1، ص212.

(13) تاريخ، ص111، 112، 113، 114.

(14) المصدر نفسه، ص102.

(15) المصدر نفسه، ص176.

(16) تاريخ، ص448.

(17) المصدر نفسه، ص18. مصطفى، التاريخ، ج1، ص235.

علي بن محمد المدائني(ت: 225هـ/839م):

وهو العلامة الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري[1]، ولد في بغداد، ونشأ فيها، وانتقل إلى المدائن[2]، ثم من المدائن إلى بغداد، حيث سكن فيها إلى أن توفي[3]، وهو " صاحب التصانيف، والمغازي، والأنساب "[4]، وكان " عالماً بأيام الناس، وأخبار العرب، والفتوح، والمغازي "[5]، وقد " وثّقه ابن مَعِين وغيره "[6]، وامتدحه الذهبي فقال: " صنَّف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السِير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدَّقاً فيما ينقله، عالي الإسناد "[7]، وفي موضعٍ آخر قال: " وكان عالماً بالفتوح والمغازي والشعر، صدوقاً في ذلك "[8]، واعتبره ابن كثير أحد أئمة الأخباريين في زمانه[9]، وله من المصنفات: تسمية المنافقين، وخطب النبي عليه السلام، وأخبار قريش، وأخبار أهل البيت، ومن هجاها زوجها، وتاريخ الخلفاء، وخطب علي وكتبه، وأخبار الحجاج، وأخبار الشعراء، وقصة أصحاب الكهف، وسيرة ابن سيرين، والجواهر[10]، يقول الدكتور عبد العليم خضر: " والحق أن المدائني يُعدّ شيخ الأخباريين وعمدتهم، وأوثقهم أخباراً، وأقلّهم مطعناً "[11]، كما أن المدائني اتبع في المنهج التاريخي " طريقة المحدثين في نقد الروايات وإثبات الإسناد، مما أعطاه لوناً من الثقة لدى الناس، كما نظم المادة الواسعة التي وقعت له تنظيماً متوازناً خدم التأليف التاريخي، وكان بذلك كله خطوة هامة في تطور عملية التأريخ، كما أضحى المصدر الرئيسي للمؤرخين التالين "[12]

---

(1) الذهبي، سير، ج10، ص400.

(2) المدائن: بناها أنوشروان بن قُباذ بين أرض الفرات ودجلة، وأقام بها هو ومن خَلَفه من ملوك بني ساسان إلى أيام عمر بن الخطاب، وفيها إيوان كسرى، وإنما سمتها العرب المدائن " لأنها سبع مدائن، بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة "، ويرى الحموي أن السبب في تسميتها بصيغة الجمع يرجع إلى أنه كلما جاء ملك فارسي جديد، عمد إلى بناء مدينة إلى جنب التي قبلها، وكان سعد بن أبي وقاص قد افتتحها سنة ستة عشر في أيام عمر بن الخطاب. الحموي، معجم، ج5، ص74- 75. مؤنس، أطلس، ص128.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص95.

(4) ابن العماد، شذرات، ج3، ص111.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص95.

(6) ابن العماد، شذرات، ج3، ص111.

(7) سير، ج10، ص400-401.

(8) المصدر نفسه، ج10، ص401.

(9) البداية، ج14، ص268.

(10) الذهبي، سير، ج10، ص402.

(11) المسلمون، ص181.

(12) مصطفى، التاريخ، ج1، ص188.

اعتمد خليفةُ بن خياط في السيرة على علي بن محمد المدائني، وأخذ عنه المرويات التي تتحدث عن مولد الرسول تت [1] وزواجه من أم المؤمنين عائشة بعد رجوعه من بدر[2]، وغزواته(3)، وسراياه[4]، وإنفاذ جيش أسامة[5]، وحروب الردة[6]، ومعركة اليمامة وقتلاها[7]، ووفاة أبي بكر الصديق[8]، كما أن خليفة استعان كثيراً في تاريخه بالمدائني فيما يتعلق بأخبار الفتوح، كفتوح البصرة[9]، والمدائن[10]، وأذربيجان([11]، وهمذان[12]، وطبرستان[13]، كما اهتم المدائني بأحداث العالم الإسلامي في الشرق، كأخبار المعارك التي دارت بين الحجاج وابن الأشعث[14]، ومعركة قديد[15]، والطاعون الذي أصاب البصرة في عام إحدى وثلاثين ومائة[16]

مَعْمَر بن المُثنَّى (ت: 211هـ/826م):

---

(1) تاريخ، ص52.

(2) المصدر نفسه، ص65.

(3) المصدر نفسه، ص57، 59، 60، 67، 82، 84.

(4) المصدر نفسه، ص62، 78، 87، 88.

(5) المصدر نفسه، ص100.

(6) المصدر نفسه، 102، 103، 104، 105.

(7) المصدر نفسه، 108، 111،

(8) المصدر نفسه، ص121.

(9) المصدر نفسه، ص127.

(10) المصدر نفسه، ص134.

(11) المصدر نفسه، ص151.

(12) المصدر نفسه، ص157. همذان: مدينة فتحها جرير بن عبد الله البجلي، وذلك في سنة ثلاث وعشرين، وقيل: بعد مقتل عمر بن الخطاب بستة أشهر، وهي تقع في بلاد فارس، وتحديداً شمال مدينة نهاوند، وإلى الغرب من مدينة الري الإيرانية. البلاذري، فتوح، ص306. الحموي، معجم، ج5، ص410- 417. مؤنس، أطلس، ص145.

(13) تاريخ، ص165. طَبَرستان: بلاد واسعة في بلاد فارس، يغلب عليها الجبال، وهي محاذية لجرجان، ومن مدنها: دهستان، وجرجان، وآمُل، وسارية، وشالوس. الحموي، معجم، ج4، ص13- 16. واصف، معجم، ص76- 77.

(14) تاريخ، ص282.

(15) المصدر نفسه، ص391.

(16) المصدر نفسه، ص398.

وهو الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي([1])، قال عنه يعقوب بن شَـيْبَة(ت: 262هـ/875م): " سمعت علي بن المديني ذكر أبا عبيدة، فأحسن ذكره، وصحح روايته، وقال: كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح "([2])، وقال عنه الذهبي: " ولم يكن صاحب حديث، وإنما أوردته لتوسعه في علم اللسان، وأيام الناس "([3])، وقال عنه أيضاً: " قد كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا البصير بالفقه، واختلاف أئمة الاجتهاد "([4])

عني معمر بن المثنى باللغة والأنساب إلى جانب الأخبار، حيث ركز في أخباره على أحداث المشرق، كما وصنف كتباً كثيرة في أحوال الفرس، واهتم بأخبار البصرة، وألف في فتوح الأهواز وخراسان[5]، علاوةً على فتوح أرْمينِيَة[6]، وصنَّف كتاباً عن الخوارج[7]، ومن كتبه: كتاب المثالب، والفتوح، والأيام، ومقاتل الفرسان، وصفين، وقضاة البصرة، وأخبار الحجاج، وكتاب الأوس والخزرج[8]، وكتاب فضائل الفرس، وكتاب أخبار الفرس[9]

ويرى الباحث أن مجال اعتماد خليفة على معمر بن المثنى في أخباره يكاد ينحصر في سوق الروايات التي تتعلق بمولد النبي ووفاته[10]، وأخبار الفرس[11]،

---

(1) الذهبي، سير، ج9، ص445.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص446.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص445.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص447.

(5) خُراسان: بلاد ممتدة الأطراف، أول حدودها مما يلي العراق، وآخرها مما يلي الهند، وكانت تسمى في القديم: بلد إشيرية، وتشتمل خراسان على كثير من البلدان، من أهمها: نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وطالقان، ونَسا، وأبيورد، وسرخس، والجوزجان. البكري، المسالك، ج2، ص19. الحموي، معجم، ج2، ص350- 354.

(6) أرْمينِيَة: كورة عظيمة، من أشهر مدنها: تفليس، ودبيل، وسراج طَيْر، وبها قبر الصحابي صفوان بن المعطَّل. الحموي، معجم، ج1، ص159- 161.

(7) ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص19. عاصي، خليفة، ص53-54.

(8) مصطفى، التاريخ، ج1، ص97

(9) المرجع نفسه، ج1، ص142.

(10) تاريخ، ص54، 95.

(11) المصدر نفسه، 50، 79، 93، 94.

وحروب الردة[1]، وفتح همذان والري[2]، ومعركة الجمل[3]، وحرب النهروان[4]، وقتال الخوارج[5]، ومقتل الحسين[6]، وحروب الحجاج مع ابن الأشعث[7]

هشام بن محمد الكلبي (ت: 204هـ/819م):

وهو" العلامة النسابة الأوحد، أبو المنذر هشام بن الأخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، الشيعي أحد المتروكين، كأبيه "[8]، وله من المصنفات: كتاب الجمهرة، وكتاب حلف الفضول، وكتاب الكُنى، وكتاب ملوك الطوائف، وكتاب ملوك كِنْدَة[9]، ما جعل الدكتور إبراهيم بيضون لأنْ يعتبره " نداً للمدائني في غزارة إنتاجه، وتنوع موضوعاته "[10]

ولقد عَنِي هشام بن الكلبي في الروايات التي أخذها عنه خليفة، تلك التي تتناول علاقات المسلمين بالروم إبان العصريْن الراشدي والأموي، ولقد نقل خليفة الكثير من هذه الروايات عن ابن الكلبي[11]، كما نقل عنه خليفة الروايات المتعلقة بمولد النبي قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة[12]، ومعركة اليرموك[13]، وفتوح دمشق[14]، وحلب[15]، وقيسارية([16]

---

(1) المصدر نفسه، ص111، 118، 125.

(2) المصدر نفسه، ص151، 157.

(3) المصدر نفسه، ص184.

(4) المصدر نفسه، ص197. معركة دارت رحاها في سنة ثمانٍ وثلاثين، وفيها حارب الإمام علي بن أبي طالب الخوارج بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي، وكان على ميمنة علي: قيس بن سعد بن عبادة، وعلى ميسرته: حُجْر بن عدي، ولم ينجُ من هذه المعركة سوى القليل من الخوارج. ابن خليفة، تاريخ، ص197.

(5) تاريخ، ص204، 209.

(6) المصدر نفسه، ص234.

(7) المصدر نفسه، ص285.

(8) الذهبي، سير، ج10، ص101.

(9) المصدر نفسه، ج10، ص102.

(10) مسائل، ص21.

(11) تاريخ، ص167، 207، 208، 209، 272، 277، 291، 292، 337، 345، 348.

(12) المصدر نفسه، ص53.

(13) المصدر نفسه، ص130.

(14) المصدر نفسه، ص126.

(15) المصدر نفسه، ص135.

(16) المصدر نفسه، ص141.

ويرى الباحث أن خليفة إذا ما ابتغى أن يسند رواية إلى ابن الكلبي، فإنه يستخدم عبارة: " قال ابن الكلبي "(1)، وعندما قام الباحث بحصر المواقع التي وردت فيها هذه العبارة، فإنه لاحظ أن ليس فيها جميعها ما يفيد بأن خليفة بن خياط قد لقي ابن الكلبي، أو أخذ عنه بشكل مباشر، باستثناء مرة واحدة، جاء ذكرها بصيغة: " حدثني ابن الكلبي عن أشياخه "[2]، والتي أوردها في مورد حديثه عن أحداث سنة ثمان وعشرين، المتعلقة بحديثه عن قدوم عبد الله بن الزبير على عثمان بعد فتح إفريقية، فضلاً عن زواج عثمان بن عفان بنت الفرافصة الكلبية[3].

أبو اليقظان سحيم بن حفص(ت: 190هـ/805م):

كان سحيم بن حفص من المهتمين كثيراً بأخبار الدولة الإسلامية، وقد استفاد خليفة منه في المرويات ذات الصلة بحروب الردة([4])، وفتوح البصرة([5])، ومعركة جلولاء([6])، وفتح أصبهان([7])، ومقتل عثمان بن عفان([8])، ومعركة الجمل وحصر قتلاها([9])، كما نقل خليفة بن خياط عن أبي اليقظان روايات مهمة حول وقعة الحرة([10])، وحروب الحجاج وابن الأشعث([11])

الوليد بن هشام القحذمي(ت: 222هـ/836م):

اهتم الوليد بن هشام بجمع المعلومات ذات الطابع الإداري، حيث روى الوليد الكثير منها والتي أخذها عن أبيه وعن جده، أما جده قحذم بن سليمان فقد كان كاتب الخراج في عهد والي العراق يوسف بن عمر الثقفي، ما يعني حصول الوليد بن هشام على وثائق رسمية مهمة[12]، ولقد قام الباحث بحصر كل الروايات التي نقلها خليفة عن الوليد بن هشام، فوجد أن غالبيتها العظمى تتوزع على أخبار الفتوحات ووفيات الخلفاء، فمن أخبار الفتوح التي ذكرها فتح دمشق(1)،

---

(1) المصدر نفسه، ص126، 130، 167، 208، 264، 331، 337، 341.

(2) المصدر نفسه، ص160.

(3) المصدر نفسه، ص160.

(4) المصدر نفسه، ص105.

(5) المصدر نفسه، ص128.

(6) المصدر نفسه، ص138.

(7) المصدر نفسه، ص161.

(8) المصدر نفسه، ص177.

(9) المصدر نفسه، ص182، 183، 185، 186، 190.

(10) المصدر نفسه، ص236، 237، 238.

(11) المصدر نفسه، ص281، 283.

(12) ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص21.

دمـشق(1)، وفتـوح البـصرة[2]، والأهـواز[3]، وتُـسْتَر[4]، ونهاونـد[5]، وسـابور[6]، وأصـبهان[7]، وجُرْجان[8]، أما عن الروايات التي تضمنت ذكر سني الوفاة لبعض الخلفاء الأمويين، فقد ذكر وفاة كلٍ من عبد الملك بن مروان[9]، والوليد بن عبد الملك[10]، وسليمان بن عبد الملك[11]، وعمر بن عبد العزيز[12]، ويزيد بن عبد الملك[13]، وهشام بن عبد الملك[14]، ومقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك[15]، ووفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك[16]، ووفاة مروان بن محمد[17]، كما أخذ خليفة عن الوليد بن هشام الروايات ذات العلاقة بحروب الردة[18]، وجمع معاوية العراق لزياد بن أبيه في سنة خمسين[19]، وقد لاحظ الباحث أن عبارة "حدثني الوليد بن هشام"، وعبارة "فحدثني الوليد بن هشام" قد تكررتا في تاريخ خليفة خمساً وعشرين مرة، ما يفيد أن خليفة كان يعتمد كثيراً على روايات هذا الشيخ، علاوة على أنه يعطي هذه الروايات مصداقية أكثر من غيرها، وذلك كون أن خليفة كان يتلقاها عن هذا الشيخ مباشرةً.

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص126.

(2) المصدر نفسه، ص128.

(3) المصدر نفسه، ص134.

(4) المصدر نفسه، ص140، 144. تُسْتَر: من أعظم مدن خوزستان، وهي أقرب إلى البصرة منها إلى الكوفة، وفيها قبر البراء بن مالك الأنصاري. الحموي، معجم، ج2، ص29- 31.

(5) تاريخ، ص150.

(6) المصدر نفسه، ص158. سابور: كورة مشهورة ببلاد فارس، ومن سابور إلى شيراز خمسة وعشرون فرسخاً. الحموي، معجم، ج3، ص167- 168.

(7) تاريخ، ص162.

(8) المصدر نفسه، ص163. جُرْجان: مدينة مشهورة وكبيرة تقع بين طبرستان وخراسان، كثيرة الثلج والنخل والفواكه. الحموي، معجم، ج2، ص119- 122.

(9) تاريخ، ص292.

(10) المصدر نفسه، ص309.

(11) المصدر نفسه، ص316.

(12) المصدر نفسه، ص321.

(13) المصدر نفسه، ص331.

(14) المصدر نفسه، ص356.

(15) المصدر نفسه، ص363، 365.

(16) المصدر نفسه، ص369.

(17) تاريخ، ص404، 408.

(18) المصدر نفسه، ص118.

(19) المصدر نفسه، ص211.

عبد الله بن المغيرة:

أخذ خليفة مروياته عن عبد الله بن المغيرة، سيما تلك التي تُعْنَى بفتوح دمشق[1]، والأردن[2]، وحلب[3]، وسائر أرض قِنَّسْرين[4]، زد على ذلك المرويات التي تناولت الأحداث الداخلية في الدولة الإسلامية، مثل مقتل قتيبة بن مسلم بخراسان في سنة ست وتسعين[5]، ومقتل يزيد بن المهلب سنة اثنتين ومائة[6]

ولقد نقل خليفة مباشرة عن عبد الله بن المغيرة، الذي كان أبوه المغيرة مصدر معلوماته، علماً بأن عبد الله بن المغيرة كان قد عاش إلى مرحلة ما بعد موسى الهادي، حيث سجل سنة وفاة موسى الهادي[7]، وكان يهتم باستجلاء طبيعة الفتح صلحاً كان أم عنوةً؟ علاوةً على أنه كان يُعْنَى ببيان شروط الصلح، وأحياناً يشير إلى مقدار الجزية التي فرضت على أهل البلاد المفتوحة، فضلاً عن اهتمامه بإيراد أسماء الولاة في العراق، ومن كان على شرطهم وكُتَّاب الرسائل والحجاب، وكان لا يتوانى عن ذكر سني وفيات الخلفاء ومواضعها، وأعمارهم حين الوفاة، وأحياناً سني الولادة ومحلها[8]

عبد الله بن لَهِيْعة (ت: 174هـ/790م):

وهو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن لَهِيْعة بن عقبة بن لهيعة الحَضْرمي الغافقي المصري[9]، كان يُكْثر من الحديث والأخبار والرواية[10] وساعده على ذلك أنه لقي اثنين وسبعين تابعياً[11]، وقال عنه عبد الغني بن سعيد الأزدي(ت: 409هـ/1018م):): " إذا روى العبادلة عن

---

(1) المصدر نفسه، ص126.

(2) المصدر نفسه، ص129.

(3) المصدر نفسه، ص134- 135.

(4) المصدر نفسه، ص135. قِنَّسْرين: بلدة في سورية، كانت هي وحمص شيئاً واحداً، فتحها أبو عبيدة بن الجراح، وكان على مقدمته خالد بن الوليد، وقيل: أُخذ هذا الاسم من قول العرب قنسريٌ، أي: مسنٌّ، وقيل غير ذلك. الحموي، معجم، ج4، ص403- 404.

(5) تاريخ، ص313.

(6) المصدر نفسه، ص325.

(7) وهي سنة 170هـ. ابن خياط، تاريخ، ص445-446.

(8) ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص22. مصطفى، التاريخ، ج1، ص235.

(9) ابن خَلّكان، وفيات، ج3، ص38. ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج2، ص411.

(10) ابن خَلّكان، وفيات، ج3، ص38.

(11) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج2، ص411.

ابن لهيعة فهو صحيح: ابن المبارك، وابن وهب، والمقرئ[1]، وتولى القضاء في مصر بأمرٍ من أبي جعفر المنصور في سنة خمس وخمسين ومائة، وصُرف عن القضاء في سنة أربع وستين ومائة، وهو أول قاضٍ حضر ليرقب ظهور الهلال في شهر رمضان المبارك[2]

لم يذكر خليفة في تاريخه ما يفيد أنه نقل مباشرة عن عبد الله بن لهيعة، وإنما كان يتم هذا النقل عبر تلاميذ ابن لهيعة، إذ كان واضحاً أن خليفة كان في معظم نقوله يقول: " حدثنا من سمع ابن لهيعة "[3]، ويبدو أن خليفة استفاد من روايات ابن لهيعة التي تتعلق بفتح مصر[4]، وشمال إفريقية[5]، ثم إن خليفة ذكر وفاته في سنة أربع وسبعين ومائة[6]

أبو خالد البصري(ت: 190هـ/805م):

وهو يوسف بن خالد بن عمير السمتي البصري[7]، اعتبره يعقوب بن شيبة أحد الفقهاء، لكنه استدرك قائلاً: " ولم يكن في الحديث بذاك "[8]، وقد كان أبو خالد يركِّز في رواياته على أحداث الحقبة الأموية، ويهتم بأخبار الشمال الإفريقي في العهد الأموي، حيث عَنِيَ بأخبار الغزوات فتحدث عن غزو المسلمين لكلٍ من صِقِلِّيَّة[9] وسَرْدانية[10]، وحصار جَلُولاء[11] بالمغرب

(1) المرجع نفسه، ج2، ص413.
(2) ابن خَلّكان، وفيات، ج3، ص38.
(3) ابن خياط، تاريخ، ص143، 160.
(4) المصدر نفسه، ص143.
(5) المصدر نفسه، ص152، 160، 212.
(6) المصدر نفسه، ص449.
(7) الذهبي، تذهيب، ج10، ص142- 143.
(8) المصدر نفسه، ج10، ص143.
(9) صِقِلِّيَّة: جزيرة من جزائر بحر المغرب، مقابل إفريقية، وهي مثلثة الشكل، وتبعد هذه الجزيرة عن أقرب مواضع إفريقية البرية مائة وأربعون ميلاً. الحموي، معجم، ج3، ص416- 419. والميل عند الحنفية والمالكية: 1855م، وعند الشافعية والحنابلة: 3710م. محمد، المكاييل، ص53، 97.
(10) سَرْدانية: جزيرة في بحر المغرب، يقول ياقوت الحموي: " ووجدت لبعضهم أن سردانية مدينة بصقلية، والله أعلم ". الحموي، معجم، ج3، ص209.
(11) جَلُولاء: مدينة مشهورة بإفريقية، بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً، وهي مدينة أزلية تكثر فيها الأنهار والثمار، وهي الآن أطلال، ويعرفها الناس باسم " عين جلولاء ". الحموي، معجم، ج2، ص156. شاكر، التاريخ، ج4، ص191.

في عهد معاوية بن أبي سفيان[1]، وثورات الخوارج فيها[2]، علماً بأن معظم رواياته المتبقية قد أفردها لفتوح الأمويين في المشرق[3]

إسماعيل بن إبراهيم الشعيراوي(ت: 194هـ/809م):

نقل خليفة عن اسماعيل في التاريخ مباشرة[4]، حيث اهتم هذا الأخباري بإيراد التفاصيل المتعلقة بمقتل خالد بن عبد الله القسري[5]، وبأحداث الفتنة في عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك[6]، إذ سرد خطبة يزيد بن الوليد كاملةً بعد اغتيال الوليد نفسه[7]، إلى جانب عنايته بأخبار الخوارج[8]، وبيعة مروان بن محمد، وخلع إبراهيم بن الوليد[9]، وخبر بيعة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار بالكوفة[10]، كما وتحدث عن وقعة قُديد[11]، ثم إن خليفة كان قد ذكر وفاة إسماعيل بن إبراهيم في سنة أربع وتسعين ومائة[12]

إسماعيل بن إسحق:

نقل عنه خليفة مباشرة بقوله " حدثنا "[13]، إذ اهتم إسماعيل بن إسحق بأخبار الخوارج، ولقد روى خليفةُ عنه رواية مطولة تتعلق بحروب مروان بن محمد ضد الخوارج[14]، كما وروى رواية عن حروب منصور بن جمهور مع الضحاك بن قيس الخارجي في سنة سبع وعشرين ومائة[15]، كما روى عنه في أحداث سنة تسع وعشرين ومائة رواية في مقتل عبيدة بن سوار

---

(1) تاريخ، ص345، 210- 211.

(2) المصدر نفسه، ص352- 353.

(3) المصدر نفسه، ص307، 320، 326، 328، 329، 331، 338، 341، 342، 343، 344، 345.

(4) المصدر نفسه، ص362.

(5) المصدر نفسه، ص362.

(6) المصدر نفسه، ص363.

(7) المصدر نفسه، ص365.

(8) المصدر نفسه، ص376.

(9) المصدر نفسه، ص372.

(10) المصدر نفسه، ص375.

(11) المصدر نفسه، ص393.

(12) المصدر نفسه، ص466.

(13) تاريخ، ص393.

(14) المصدر نفسه، ص393- 395.

(15) المصدر نفسه، ص377- 378.

وأصحابه على يد ابن هبيرة[1]، كما روى رواية تتعلق بخروج عبد الله بن يحيى بن الأعور الكندي في سنة تسع وعشرين ومائة[2]، وأخرى تتعلق بخطبة أبي حمزة الخارجي في مكة[3]، كما روى خليفة عنه رواية تتعلق بمقتل شيبان الخارجي وظهور أبي مسلم الخراساني، وخبر قتال نصر بن سيار للكرماني[4]

أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي(ت: 215هـ/830م):

أخذ خليفة عن الأصمعي مباشرةً، حيث كان يروي عنه بلفظ " حدثنا "[5]، بيد أن خليفة لم يكثر من النقل عن الأصمعي، حيث اكتفى بالنقل عنه في موضع واحد فقط في الطبقات[6]، وموضعين آخرين من التاريخ، أولهما: رواية تتعلق بأحداث سنة اثنتين وثمانين، وتتضمن حواراً بين الحجاج والشعبي دار حول تأييده لابن الأشعث[7]، وثانيهما: بشأن إخبار عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أن أباه توفي وعمره لا يتجاوز الأربعين[8]، وقد ساق خليفة ذكر وفاة الأصمعي في أحداث سنة خمس عشرة ومائتين، حيث يقول خليفة: " وفيها مات عبد الملك بن قريب الأصمعي "[9]

أمية بن خالد القيسي(ت: 200هـ/815م):

وهو أبو عبد الله، أمية بن خالد بن الأسود بن هُدْبة الأزدي([10])، قال عنه أبو زُرْعة والترمذي(ت:279هـ/892م): " ثقة "([11])، وقال الدَّارقُطني(ت: 385هـ/995م): " ما علمت إلا خيراً "([12])، واعتمد عليه خليفة في طبقاته، وذلك في موضعين فقط([13])، أما في تاريخه فقد نقل

(1) المصدر نفسه، ص384.
(2) المصدر نفسه، ص384- 385.
(3) المصدر نفسه، ص386- 387.
(4) المصدر نفسه، ص387.
(5) المصدر نفسه، ص157.
(6) ص79.
(7) تاريخ، ص287- 288.
(8) المصدر نفسه، ص321.
(9) المصدر نفسه، ص475.
(10) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج1، ص188.
(11) المصدر نفسه، ج1، ص188.
(12) المصدر نفسه، ج1، ص188.
(13) الطبقات، ص153، 190.

عنه بعض الروايات، وذلك في ستة مواضع، تتعلق الرواية الأولى بغزوة الطائف سنة ثمان للهجرة([1])، والثانية: تتعلق بإرسال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف ليحج بالناس نيابة عنه في سنة ثلاث عشرة([2])، والثالثة: تختص بتولية عمر بن الخطاب لعبد الله بن أرقم بيت المال في سنة ثلاث وعشرين([3])، والرابعة: ذات صلة بتمثل الحجاج لأبيات من الشعر أثناء تجهيزه الجيش لقتال ابن الأشعث سنة إحدى وثمانين([4])، والخامسة: في سنة اثنتين وثمانين تُعْنَى بمعلومات تخص معركة دير الجماجم([5])، والسادسة: في ذات السنة تتناول تفاصيل تداعيات هذه المعركة([6])

يزيد بن زُريع(ت: 182هـ/798م):

وهو الحافظ المجود، وأحد العشرة المحدّثين في البصرة، الذين كانوا في زمانهم من أئمة الحديث فيها[7]، قال عنه بِشْر الحافي(ت: 227هـ/841م): " كان يزيد بن زريع متقناً، حافظاً، ما أعلم أني رأيت مثله، ومثل صحة حديثه "[8]، في حين اعتبره يحيى بن معين (ت: 233هـ/847م) أنه: " هو أثبت شيوخ البصريين "[9]، أما أحمد بن حنبل فقال:" كان ريحانة البصرة، ما أتقنه، وما أحفظه "[10]، وكان " صاحب سنة واتباع "[11]، كما روى البخاري في صحيحه عن خليفة بن خياط عنه أحد عشر حديثاً[12]، أما خليفة فقد نقل عنه بعض الروايات في التاريخ، إذ روى عنه رواية تفيد بسبب نزول قوله تعالى{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ }(13)، والثانية: أن النبي بُعث وهو ابن أربعين، وأنه " أقام بمكة خمساً مختفياً، وعشراً معلناً، وبالمدينة

---

(1) تاريخ، ص89.

(2) المصدر نفسه، ص120.

(3) المصدر نفسه، ص156.

(4) المصدر نفسه، ص280.

(5) المصدر نفسه، ص282.

(6) المصدر نفسه، ص283.

(7) الذهبي، سير، ج8، ص296.

(8) المصدر نفسه، ج8، ص297.

(9) المصدر نفسه، ج8، ص298.

(10) الذهبي، سير، ج8، ص297. العسقلاني: تهذيب، ج4، ص411.

(11) الذهبي، سير، ج8، ص297.

(12) البخاري، صحيح، ج1، ص448؛ ج3، ص1182، 1173، 1331؛ ج4، ص1500، 1501، 1493، 1624؛ ج5، ص2261، 1951؛ ج6، ص2741.

(13) تاريخ، ص49. والآية وردت في سورة البقرة، آية: 189.

عشراً "[1]، والثالثة: تختص بمقدار مكوث النبي في مكة والمدينة[2]، والرابعة: في أن معركة بدر وقعت في يوم الجمعة " لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان "[3]، والخامسة: في أن النبي صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً بعد قدومه المدينة[4]، والسادسة: تفيد بأن يوم أحد استشهد سبعون رجلاً[5]، والسابعة: تتعلق بعمر النبي حين وفاته، حيث ذكر أنه توفي وهو ابن خمس وستين سنة[6]، والسابعة: تفيد بأن الفرس كان معهم في معركة القادسية سبعون فيلاً[7]، والثامنة: تتعلق بفتح أذربيجان سنة اثنتين وعشرين[8]، علاوة على أن خليفة كان قد ذكر يزيد بن زريع ثلاث مرات في تاريخه، الأولى: حينما ذكر سنة ولادته الواقعة في سنة ثلاث ومائة[9]، والثانية: في سنة وفاته الكائنة في اثنتين وثمانين ومائة[10]، والثالثة: حينما ذكر خليفةُ أن محمد بن المنهال الضرير راوية يزيد بن زريع قد مات في سنة إحدى وثلاثين ومائتين[11]

سليمان أبو داود الطيالسي (ت: 204هـ/819م):

وهو أبو داود بن الجارود، الحافظ الكبير، صاحب المسند[12]، قال عنه عبد الرحمن ابن مهدي(ت: 198هـ/ 813م): " أبو داود هو أصدق الناس "[13]، وزكّاه علي بن المديني (ت: 234هـ/848م) بقوله: " ما رأيت أحفظ منه "[14]، وتتعلق رواياته التي أخذها عنه خليفة بالسيرة النبوية[15]، سيما الرواية المتعلقة بغزوة بدر في سنة اثنتين للهجرة[16]، ووفاة كلٍ من أبي

---

(1) تاريخ، ص53.
(2) المصدر نفسه، ص54.
(3) المصدر نفسه، ص58.
(4) المصدر نفسه، ص64.
(5) المصدر نفسه، ص73.
(6) المصدر نفسه، ص95.
(7) المصدر نفسه، ص131.
(8) المصدر نفسه، ص151.
(9) المصدر نفسه، ص329.
(10) المصدر نفسه، ص456.
(11) المصدر نفسه، ص479.
(12) الذهبي، سير، ج9، ص378؛ تذكرة، ج1، ص322.
(13) الذهبي، سير، ج9، ص381.
(14) الذهبي، تذكرة، ج1، ص322.
(15) تاريخ، ص53، 64، 94.
(16) المصدر نفسه، ص58.

بكر الصديق[1]، وعمر بن الخطاب[2]، علاوةً على مقتل عثمان بن عفان[3]، ثم إن خليفة ذكر وفاته في أحداث سنة أربع ومائتين[4]

محمد بن جعفر الهذلي (ت: 193هـ/808م):

وهو أبو عبد الله الهُذَلي، محمد بن جعفر، المعروف بـ " غُنْدَر "[5]، وصفه الذهبي بقوله: " الحافظ، المجود، الثبت "[6]، وقال عنه في موضع آخر: " اتفق أرباب الصحاح على الاحتجاج بغُنْدَر "[7]، وتختص مروياته التاريخية التي نقلها عنه خليفة بالأحداث التي تتعلق بفتوح البصرة[8]، وفتح ماه دينار[9]، ومقتل عثمان بن عفان[10]، ومعركة الجمل[11]، ومقتل محمد بن أبي بكر الصديق على يد عمرو بن العاص[12]، وثورة ابن الأشعث[13]، ثم ذكر خليفةُ وفاته في أحداث سنة ثلاث وتسعين ومائة[14]

كَهْمَس بن المنهال السدوسي:

وهو أبو عثمان كَهْمَس بن المنهال السدوسي البصري اللؤلؤي[15]، وروى البخاري في صحيحه عن خليفة عنه حديثاً واحداً فقط[16]، وكان خليفة ينقل عنه مباشرة بقوله: " حدثنا كهمس بن المنهال "[17]، أو بصيغة " حدثني كهمس بن المنهال "[18]، حيث روى روايتين تتعلقان بمقتل

---

(1) المصدر نفسه، ص121.

(2) المصدر نفسه، ص153.

(3) المصدر نفسه، ص171.

(4) المصدر نفسه، ص472.

(5) الذهبي، سير، ج9، ص98؛ تذكرة، ج1، ص274-276.

(6) سير، ج9، ص98.

(7) المصدر نفسه، ج9، ص101.

(8) تاريخ، ص128.

(9) المصدر نفسه، ص151. ماه دينار: هي مدينة نهاوند، وقيل: الدِّينَوَر. الحموي، معجم، ج5، ص49.

(10) تاريخ، ص171.

(11) تاريخ، ص184، 191.

(12) تاريخ، ص192- 193.

(13) المصدر نفسه، ص282، 287.

(14) المصدر نفسه، ص466.

(15) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج3، ص476.

(16) البخاري، صحيح، ج3، ص1348. منشد، مرويات، ص149.

(17) تاريخ، ص170، 171.

(18) المصدر نفسه، ص186.

عثمان بن عفان[1]، وأخرى تفيد بأن عدد قتلى معركة الجمل عشرون ألفاً[2]، وقد لاحظ الباحث أن جميع هذه الروايات الثلاثة، كان قد نقلها عن شيخه سعيد بن أبي عروبة.

المعتمر بن سليمان(ت: 187هـ/802م):

وهو أبو محمد، معتمر بن سليمان، وصفه الذهبي بقوله: " الحافظ، الثقة "[3]، وكان " موصوفاً بالثقة والإتقان والعبادة والورع "[4]، كما وروى البخاري في صحيحه عن خليفة بن خياط عنه ستة أحاديث[5]، ويمكن القول بأن معظم ما رواه خليفة عنه في تاريخه يختص بالفتنة على عهد عثمان بن عفان[6]، وخروج أهل حروراء[7] في عشرين ألفاً، وعليهم شبث بن رِبْعي[8]، ثم ذكره خليفة حينما تحدث عن ولادته في سنة سبع ومائة[9]، ومرة ثانية حينما تحدث عن وفاته في سنة سبع وثمانين ومائة[10]

محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري(ت: 215هـ/830م):

وهو أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري[11]، قال عنه يحيى بن معين(ت: 233هـ/847م) " ثقة "[12]، وروى البخاري عن خليفة عنه حديثاً واحداً فقط[13]، وتتصل رواياته في التاريخ بحركة الردة على عهد أبي بكر الصديق، حيث روى رواية تتعلق بمعركة اليمامة[14]، وأخرى بحروب عكرمة بن أبي جهل للمرتدين

---

(1) المصدر نفسه، ص170- 171.

(2) المصدر نفسه، ص186.

(3) تذكرة، ج1، ص242.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص242.

(5) البخاري، صحيح، ج4، ص1510؛ ج5، ص2323؛ ج6، ص2597، 2689، 2726، 2745. منشد، مرويات، ص153.

(6) تاريخ، ص168، 176.

(7) حَرَوْراء: قرية قريبة من الكوفة، حيث تبعد عنها ميلين فقط. الحموي، معجم، ج2، ص245.

(8) تاريخ، ص192.

(9) المصدر نفسه، ص338.

(10) المصدر نفسه، ص458.

(11) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج3، ص614.

(12) المصدر نفسه، ج3، ص614.

(13) البخاري، صحيح، ج4، ص1468. منشد، مرويات، ص151.

(14) تاريخ، ص108.

في عُمان واليمن[1]، ورواية تتناول حرق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية[2]، ثم ذكره خليفة بن خياط في أحداث سنة ثمان عشرة ومائة، وهي السنة وُلد فيها أبو عبد الله[3]

يحيى بن محمد الكعبي:

حيث أخذ عنه خليفة مباشرةً[4]، ويمكن القول أن روايته عنه تحددت في إيراد رواية تفيد بأن بعض الناس قد أرّخوا من هبوط آدم من الجنة، وأن آخرين أرّخوا من دعاء نوح قومه، ثم أرّخ الناس من الطوفان، وأرخ غيرهم من تحريق إبراهيم، وبعضهم أرخ من بنيان الكعبة[5]، ورواية تتعلق بمولد النبي صلى الله عليه وسلم[6]، وأخرى تفيد بأن عمر بن الخطاب وُلد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة[7]، ورواية تخبر بأن عثمان بن عفان قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[8]، ورواية تتحدث عن القتلى الذين سقطوا في الحروب التي دارت بين الحجاج وابن الأشعث[9]، ورواية تفيد بأن الوليد بن عبد الملك ولد بالمدينة سنة خمس وأربعين[10]، ورواية أخيرة تذكر بأن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قُتل وهو ابن خمس أو أربع وأربعين[11]

موسى بن إسماعيل التّبُوْذَكي(ت: 223هـ/837م):

وهو أبو سلمة، الحافظ، الإمام الحُجّة، شيخ الإسلام، موسى بن إسماعيل المِنْقَري التّبُوْذَكي[12]، وكان " من بحور العلم "[13]، وقال عنه يحيى بن معين: " ثقة مأمون "[14]، وقال فيه ابن خِراش: " تكلم الناس فيه، وهو صدوق "[15]، وهو من شيوخ خليفة الذين نقل عنهم بشكل

---

(1) المصدر نفسه، ص123.

(2) المصدر نفسه، ص252.

(3) المصدر نفسه، ص349.

(4) المصدر نفسه، ص50.

(5) المصدر نفسه، ص50.

(6) المصدر نفسه، ص52.

(7) المصدر نفسه، ص153.

(8) تاريخ، ص177.

(9) المصدر نفسه، ص282.

(10) المصدر نفسه، ص309.

(11) المصدر نفسه، ص363.

(12) الذهبي، سير، ج10، ص360-361.

(13) المصدر نفسه، ج10، ص361.

(14) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج4، ص170.

(15) المصدر نفسه، ج4، ص170.

مباشر[1]، حيث تتناول أهم مروياته التاريخية بإنفاذ جيش أسامة بن زيد[2]، وإرسال أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد إلى المرتدين من بني سُليم، حيث جعلهم خالدٌ في حظائر " ثم أضرم عليهم النيران "[3]، وبعض التفاصيل المتعلقة بفتح نَهَاوَنْد التي جرت في سنة إحدى وعشرين[4]، كما وذكر خليفة وفاته في ثلاث وعشرين ومائتين[5]

عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي(ت: 194هـ/809م):

وهو من شيوخ خليفة، حيث نقل عنه حديثاً واحداً ذكره البخاري في صحيحه[6]، كما نقل عنه عدداً من الروايات المتعلقة بأن النبي صلّى " نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، وحَوَّل قبل بدر بشهرين "[7]، ورواية بشأن غزوة بني المصطلق في سنة ست، وزواجه في نفس السنة من جويرية بنت الحارث، فضلاً عن حديث الإفك المتعلقة أحداثه بأم المؤمنين عائشة[8]، ورواية تفيد بأن النبي توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة[9]، ورواية تتطرق إلى مقتل عثمان[10]، علماً بأن خليفة بن خياط قد ذكره في وفيات سنة أربع وتسعين ومائة[11]

عبد الرحمن بن مهدي(ت: 198هـ/ 813م):

أخذ خليفة بن خياط عن عبد الرحمن بن مهدي مرويات تاريخية ذات صلة وثيقة بأثر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين[12]، ومقتل عثمان بن عفان[13]، ومعركة الجمل[14]،

---

(1) تاريخ، ص148.

(2) المصدر نفسه، ص100.

(3) المصدر نفسه، ص103.

(4) المصدر نفسه، ص147- 148.

(5) المصدر نفسه، ص477.

(6) البخاري، صحيح، ج2، ص594. منشد، مرويات، ص145.

(7) تاريخ، ص64.

(8) المصدر نفسه، ص80.

(9) المصدر نفسه، ص95.

(10) المصدر نفسه، ص173.

(11) المصدر نفسه، ص466.

(12) المصدر نفسه، ص102.

(13) المصدر نفسه، ص174.

(14) المصدر نفسه، ص185.

وبيعة يزيد بن معاوية[1]، ثم ذكر خليفة بن خياط وفاة عبد الرحمن بن مهدي في سنة ثمان وتسعين ومائة[2]

أبو نعيم الفضل بن دكين (ت: 219هـ/834م):

نقل خليفة عن أبي نعيم روايات يتعلق بعضها بغزوة بدر ([3])، وموقعة صفين([4])، وحرب عليٍّ للخوارج في النهروان([5])، ووفاة شريح القاضي في سنة ست وسبعين([6])، ووفاة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب([7])، ثم ذكر خليفةُ أبا نعيم حينما أشار إلى أن وفاته كانت في سنة تسع عشرة ومائتين([8])

معاذ بن هشام(ت: 200هـ/ 815م):

نقل عنه خليفة بعض الروايات التاريخية ذات العلاقة بعمر النبي صلى الله عليه وسلم حين وفاته[9]، ومعركة جلولاء[10]، وصلاة أبي موسى الأشعري صلاة الخوف بدارا[11] من أرض الجزيرة(12)، وعمر عثمان بن عفان حين مقتله[13]، وروايتين تفيدان بأن مروان بن الحكم هو من رمى طلحة بن عبيد الله بسهم فقتله في معركة الجمل، وذلك في سنة ست وثلاثين[14]

---

(1) المصدر نفسه، ص217.

(2) المصدر نفسه، ص468.

(3) المصدر نفسه، ص58.

(4) المصدر نفسه، ص193.

(5) المصدر نفسه، ص197.

(6) المصدر نفسه، ص301.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص304.

(8) المصدر نفسه، ص476.

(9) المصدر نفسه، ص95، 96.

(10) المصدر نفسه، ص137. جلولاء: قرية من نواحي السواد في طريق خراسان، وتقع على نهر عظيم يمتد حتى يصل إلى بعقوبا، وفيها وقعت المعركة العظيمة التي جرت بعد وقعة المدائن، حيث دارت بين جيوش المسلمين بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وجيوش الفرس بقيادة خرّزاذ بن خرّهرمز، وكتب الله النصر فيها للمسلمين، وذلك في سنة ستة عشر. ابن خياط، تاريخ، ص136- 137. الحموي، معجم، ج2، ص156.

(11) دارا: بلدة تقع بين نصيبين وماردين، وهي تقع في بلاد الجزيرة. الحموي، معجم، ج2، ص418- 419.

(12) تاريخ، ص139. الجزيرة: سميت الجزيرة بهذا الاسم لأنها تقع بين دجلة والفرات، وتشتمل على ديار مضر وديار بكر، وينبعان من بلاد الروم، ويلتقيان قرب البصرة، فيصبان في البحر، ومن مدنها: حَرَّان، والرُّها، والرقة، ورأس عين، ونصيبين، والخابور، وماردين، وآمد، وميافارقين، والموصل. الحموي، معجم، ج2، ص134- 136.

(13) تاريخ، ص177.

(14) المصدر نفسه، ص181، 185.

الضحاك بن مَخْلَد (ت: 212هـ/827م):

وهو أبو عاصم، الضحاك بن مَخْلَد، بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك الشيباني[1]، قال عنه أبو الحسين عبد الباقي بن قانع(ت: 351هـ/962م)، بقوله: " ثقة مأمون "[2]، ووافقه الذهبي: " الإمام، الحافظ، شيخ المحدِّثين، الأثبات "[3]، وقد " وثَّقه يحيى بن معين "[4]، ويرى الباحث أن خليفة بن خياط قد نقل عن الضحاك بن مخلد رواية واحدة فقط، تتعلق بصرف القبلة إلى الكعبة في سنة اثنتين للهجرة[5]، ولم يرد ذكره في تاريخ خليفة إلا في مرتين أخريين، الأولى: عند ذكر ولادته في سنة إحدى وعشرين ومائة[6]، والثانية: عند الإشارة إلى وفاته لواقعة في سنة اثنتي عشرة ومائتين[7]

(1) الذهبي، سير، ج9، ص480. ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج2، ص225.

(2) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج2، ص226.

(3) الذهبي، سير، ج9، ص480. ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج2، ص225.

(4) الذهبي، سير، ج9، ص481. ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج2، ص225.

(5) تاريخ، ص64.

(6) المصدر نفسه، ص352.

(7) المصدر نفسه، ص474.

وفاته:

كثُر الجدل بشأن وفاة خليفة بن خياط، حيث جزم ابن مُطَيَّن بأن وفاته كانت في سنة أربعين ومائتين[1]، ووافقه على ذلك محمد بن عبيد الله الحَضْرميُّ[2]، وابن كثير[3]، وابن حجر العسقلاني[4]، والسيوطي[5]، وابن العماد في شذراته[6]، وابن عرفات[7]، والدكتور فؤاد سزكين[8]، والدكتور أكرم ضياء العمري[9]، والدكتور مجيد خلف منشد([10]

في حين يرى ابن خَلّكان أن سنة وفاته كانت في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين[11]، بينما ذكر الكتاني أن وفاته كانت سنة ثلاثين، وقيل سنة أربعين، أو ست وأربعين ومائتين[12]، بينما اختار البغدادي لوفاته سنة 246هـ/860م، ثم قال: " وقيل سنة 240هـ "[13]، بيد أن الصالحي: مال إلى القول بأن خليفة بن خياط " مات سنة أربعين ومائتين "[14]، وبه جزم الذهبي[15]، حيث قال: " كان من أبناء الثمانين، وقد أخطأ من قال: مات سنة ست وأربعين "[16]، وعليه، فإن سنة وفاته تتراوح عند معظم المؤرخين بين سنة 230هـ/844م، أو سنة 240هـ/854م، وحسما لهذا الجدل، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري:

---

(1) الذهبي، ميزان، ج2، ص457؛ تاريخ، ج17، ص153؛ تذكرة، ج2، ص23؛ سير، ج11، ص473؛ تذهيب، ج3، ص139. الصفدي، الوافي، ج13، ص238. السباعي، خليفة، ص26.

(2) المزي، تهذيب، ج8، ص319.

(3) البداية، ج14، ص372.

(4) تغليق، ج1، ص398.

(5) طبقات، ص191.

(6) ج3، ص181.

(7) إسعاف، ص41.

(8) تاريخ، ج1، ص210.

(9) ابن خياط، الطبقات،(المحقق)، ص14.

(10) مرويات، ص143.

(11) وفيات، ج2، ص244.

(12) الرسائل، ص104.

(13) هدية، ج1، ص350.

(14) طبقات، ج2، ص89.

(15) العبر، ج1، ص339؛ سير، ج11، ص473؛ الكاشف، ج1، ص375. ابن تَغْري بَرْدي، النجوم، ج2، ص364.

(16) سير، ج11، ص473.

" أما سنة 230 هـ: فوَهْم، لأنه يذكر في كتابه (الطبقات) من كانت وفاته سنة 236هـ، كما وصل في كتابه الآخر (التأريخ) إلى حوادث سنة 232، فلا يمكن أن تكون وفاته إذاً في سنة 230هـ، ...ولكنني أرجح أن وفاته كانت سنة 240هـ، لأن ذلك قول القدماء القريبين من وقته، وتبناه ابن عساكر والذهبي "[1]

(1) ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص14.

الفصل الثاني

موقف خليفة من الأحداث المهمة في خلافة بني أمية

لقد واكب قيام الدولة الأموية جملةٌ من الأحداث الجليلة، التي يمكن أن تشير إلى التيار السائد آنذاك داخل المجتمعات الإسلامية التي يقودها خلفاء بني أمية، فضلاً عن أنه يُبْرِز حجم التحولات العظيمة التي اجتاحت كيان هذه الأمة، وليس من العسير أن يلاحظ الباحثون أن معظم هذه الأحداث قد أدى إلى نشوء حركات المعارضة للخلافة الأموية، والمتتبع للروايات التي يسوقها خليفة بن خياط في هذا الفصل سيرى أنها تتحلى بقدرٍ عالٍ من الموضوعية والحيدة، والبعد أحياناً عن مواطن الخلاف، وعليه يمكن أن نوجز هذه الأحداث على النحو التالي:

بيعة الحسن بن علي بالخلافة:

اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن مُلْجَم([1])، والبُرَك بن عبد الله، وعمرو ابن بكر التميمي، فلما خاضوا في أمر الناس، ترحموا على قتلاهم، ونالوا من ولاة المسلمين وعمالهم، حتى تواطئوا على قتل من يرون أنهم " أئمة الضلال "([2])، يعنون علياً ومعاوية وعمرو بن العاص، واتفقوا على قتلهم، وقام كل واحد منهم بالتوجه إلى البلد الذي يقيم فيها من قصده في الاغتيال([3])، ولما استقر الحال بعبد الرحمن بن ملجم في الكوفة، لقي قَطَام ابنة الشِّجْنة، فذهبت بعقله، وخطبها، بيد أنها امتنعت عن القبول إلا بمهرٍ قدره ثلاثة آلاف وعبد وقَيْنَة([4]) وقَتْل علي، وذلك لأن علياً – ومن وجهة نظرها – تسبب في مقتل أخيها وأبيها في النَّهْروان، فوافق ابن ملجم على الفور، فأحضرت له قطام رجلاً من قومها يُدعى وَرْدان، في حين استقدم عبد الرحمن رجلاً

---

(1) يقول الدكتور جميل المصري: " ولا أستبعد يهودية ابن ملجم الحميري، فحمير عرفت بكثرة يهودها ". أثر، ص338. ويرى الباحث أن في هذا الكلام مجافاةً للحقيقة، سيما وأن ابن حجر العسقلاني قد ذكر أنه أدرك الجاهلية، وأنه قرأ على معاذ بن جبل، وأنه كان " عابداً، قانتاً لله، لكنه خُتم له بشرّ، فقتل أمير المؤمنين علياً "، وأنه " كان من العباد "، وأن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو: " أنْ قرّب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد، ليعلّم الناس القرآن والفقه، فوسّع له، فكان داره إلى جنب دار ابن عديس "، ثم أصبح من كبار الخوارج، ويقول فيه: " وهو أشقى هذه الأمة بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل علي بن أبي طالب، فقتله أولاد علي، وذلك في شهر رمضان سنة أربع وأربعين ". الإصابة، ج5، ص100. لسان، ج5، ص141– 142. ويرى الباحث أيضاً أن ابن حجر لم يُصِب في تحديد السنة التي قُتل فيها ابن ملجم، والصحيح أنه قُتل في السنة ذاتها التي قتل فيها الإمام علي بن أبي طالب وهي سنة أربعين. ابن خياط، تاريخ، ص198.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص143. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص366. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص255. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص645.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص143– 144. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص366. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص255. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص645.

(4) القَيْنة: هي الأمة، مغنية كانت أو غير مغنية، قال الليث: عوام الناس يقولون القينة المغنية. ابن منظور، لسان، ج13، ص351.

من قبيلة أشجع يقال له شبيب بن شجرة([1])، وكمن الثلاثة لعلي بن أبي طالب في طريقه إلى الصلاة فجراً، وما إن رأوا علياً حتى اندفعوا نحوه، وعاجله شبيب بضربة سيف وقعت في عِضادة الباب([2])، بيد أن ابن ملجم سارع إلى توجيه ضربة بالسيف إلى قَرْن علي بن أبي طالب([3])، وهو يصرخ: " الحُكْم لله يا علي، وليس لك ولا لأصحابك "، بينما هرب وردان حتى دخل إلى بيته ليتوارى عن أعين الناس، لكنّ رجلاً من أهله أدركه في بيته، فلما علم بالأمر قتله([4])، أما شبيب فتوارى عن أعين الناس بعد أن فرّ هارباً([5])

وجرى نقل أمير المؤمنين إلى بيته، وتدافع الناس حول ابن ملجم وقيّدوه، وصلى بالناس حينها جَعْدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانئ([6])، وظل عليٌّ يردد قولة " لا إله إلا الله "([7]) حتى لقي الله عز وجل في شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وقام ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فغسلوه، ثم كبَّر عليه الحسن تسع تكبيرات([8])، قبل أن يبايعه الناس([9])، فبعث الحسن إلى ابن ملجم فقدّمه ثم قتله([10])، ثم " أخذه الناسُ، فأدرجوه في بواريّ([11])، ثم أحرقوه بالنار "([1])، بعد أن قطعوا أربعته ولسانه، وسُملت عيناه([2])، وقد

---

(1) وقيل: شبيب بن بَجَرة. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص256. ذكر خليفة بن خياط أن شبيب بن بجرة كان على ميسرة الخوارج في معركة النهروان. تاريخ، ص197.

(2) أي جانب الباب، والجمع أعضاد. ابن منظور، لسان، ج3، ص293.

(3) القَرْن: جانب الرأس. الرازي، مختار، ص222.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص144- 146. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص366- 367. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص175. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص255- 256. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص646.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص256. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص646.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص145. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص367. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص256-257. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص646.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص148. المنتظم، ج5، ص175. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص258. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص647.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص148. وروى ابن الجوزي في المنتظم ما يوافق ذلك من جهة عدد التكبيرات. ج5، ص 175. بينما يرى ابن الأثير أن الحسن كبّر عليه سبع تكبيرات فقط. الكامل، ج3، ص258.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص148.

(10) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص258. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص647.

(11) الباريّة: كلمة فارسية معربة بمعنى الطريق، وهنا بمعنى: الحصير المنسوج، أو الحصير المعمول من القصب. ابن منظور، لسان، ج4، ص87.

وقد روى ابن الجوزي ما يفيد حدوث التحريق([3])، وكذلك الإمام الذهبي([4])، ووافقه ابن كثير في ذلك([5])

وأما البُرَك بن عبد الله فلم يتمكن من قتل معاوية بن أبي سفيان([6])، بينما شدّ عمرو بن بكر على خارجة بن حُذافة ظاناً منه أنه عمرو بن العاص فقتله([7])، ونودي بمعاوية أميراً للمؤمنين من حينه، حيث كان علي بن أبي طالب في حياته يدعى بالعراق أمير المؤمنين، وفي الشام كان معاوية يدعى بـ " الأمير "، فلما قتل عليٌ دُعي معاوية: أمير المؤمنين([8])

وبالإطلاع على موقف خليفة من الأحداث سالفة الذكر نجد أنه لم يعطِ مقتل علي بن أبي طالب أيَّ اهتمام يتناسب مع عظم الحدث، حتى أنه لم يذكر شيئاً عن مؤامرة الخوارج الثلاث، فضلاً عن أنه لم يذكر في تاريخه اسم من قتل علياً وهو عبد الرحمن بن ملجم، لكنه أشار إلى اسمه في طبقاته، حيث قال: " واستشهد علي رضوان الله عليه بالكوفة، قتله بن ملجم صبيحة الجمعة لستٍ بقين من شهر رمضان سنة أربعين "([9])، ويلاحظ أيضاً أن كل الذي أشار إليه يتعلق بالسنة التي قتل فيها علي وهي سنة أربعين، وكذلك بالشهر وباليوم الذي قتل فيه، وهو صبيحة يوم الجمعة " لسبع بقين من شهر رمضان "، ثم أنه روى رواية تتحدث عن أن علياً أسلم وهو ابن خمس عشرة، وأخرى تتحدث عن أن علياً قُتل وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ورواية تتحدث عن أنه ولد بمكة في شعب بني هاشم، وأنه قتل بالكوفة، وأن ابنه الحسن صلى عليه، وأن مدة ولايته كانت أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال: ثلاثة أيام، ويقال: أربعة عشر يوماً([10])

وبعد دفن علي بن أبي طالب، بايع الناس الحسن بن علي، وهو حدث بارز وغاية في الأهمية، بيد أنه لوحظ أن خليفة بن خياط لم يذكر بشأن تفاصيل هذا الأمر أكثر من قوله: " ثم بُويع الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم "([11])،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص148- 149. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص368.

(2) ابن حجر العسقلاني، لسان، ج5، ص141. سَمَل عينه: أي فقأها بشوك أو غيره، وسَمَر عينه: معناها أحمى لها مسامير الحديد ثم كحله بها. ابن منظور، لسان، ج4، ص378.

(3) المنتظم، ج5، ص175.

(4) العبر، ج1، ص34.

(5) البداية، ج11، ص128.

(6) ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص368. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص258- 259.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص149. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص368- 369.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص161.

(9) ص5.

(10) تاريخ، ص198- 199.

(11) تاريخ، ص199.

دون أن يشير إلى تفاصيل هذه الواقعة، أو ظروف انعقادها، أو الأسس التي قام عليها هذا العقد، وكذلك فعل خليفة في طبقاته، إلا أنه لم يتطرق بتاتاً إلى قصة هذه البيعة، وإنما قال: " والحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه، أتى البصرة والكوفة، ومات بالمدينة سنة تسع وأربعين، يُكْنَى أبا محمد، وصلى عليه سعيد بن العاص وهو أمير المدينة "([1])، ولا يُفْهَم من هذا الإيجاز أن خليفة تعمد ذلك، فلعلّ ذلك كان على قاعدة أن هذا المؤرخ درج في العموم على هذا الأسلوب من الكتابة، وهو ما تجلى واضحاً إبان حديثه عن الخليفة عمر بن عبد العزيز ([2])

أما فيما يتعلق بالبيعة، فقيل: إن أول من بايع هو قيس بن سعد([3])، حيث قال له: " ابسُط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه، وقتال المُحِلّين "، فرد عليه الحسن بن علي: " على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شَرْط "، فبايعه سعدٌ، وتابعه الناس([4])

ومن الملاحظ أن خليفة بالتالي لم يتطرق إلى مدى مشروعية البيعة التي عُقدت للحسن بن علي، وهل تمت حسب الأصول المقررة أم لا؟!! مع أنها جرت وفق المعايير الإسلامية العامة في اختيار الخليفة، وأنها كانت بيعة صحيحة لا مجال للطعن فيها، يقول ابن خَلكان:

" روى سفينة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الخلافة بعدي ثلاثون عاماً، ثم تكون ملكاً أو ملوكاً)، وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً

---

(1) ص5.

(2) تاريخ، ص317، 321- 322.

(3) ابن عبادة بن دُلَيْم، وأمه فُكَيْهة بنت عبيد بن دليم، من فضلاء الصحابة، ومن دهاة العرب وكرمائهم، وكان صاحب رأي ومكيدة في الحرب، وكان يقول: " لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المكر والخديعة في النار، لكنت من أمكر هذه الأمة "، دفعه أبوه إلى النبي ليخدمه فخدمه سنتين، وتوفي سنة تسع وخمسين، وقيل سنة ستين. ابن سعد، الطبقات، ج5، ص369. ابن أبي خيثمة، التاريخ، ج3، ص41. ابن الأثير، أسد، ج4، ص404- 405. المزي، تهذيب، ج24، ص41- 44.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص158. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص165- 166. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص267. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص648. القلقشندي، مآثر، ج1، ص105- 106. شاهين، الدولة، ص192. عيسى، الحزبية، ص108. بيضون، ملامح، ص139. العش، الدولة، ص126- 127. سرور، الحياة، ص90.

من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه "[1])، ووافقه على ذلك العلامة الصفدي([2])، وابن كثير ([3])، والقلقشندي(4)، وابن حجر الهيثمي([5])، وابن العماد([6])

عام الجماعة:

أشار خليفة بن خياط إلى عام الجماعة، إشارةً سريعة، دون أن يدخل في حيثيات هذا الحدث البارز في مسيرة التاريخ الإسلامي، أو خلفياته، أو ما ترتب عليه من استحقاقات، إذ قصر حديثه أثناء استعراضه لأحداث سنة إحدى وأربعين، على قوله:

" فيها سنة الجماعة: اجتمع الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية، فاجتمعا بمسكن من أرض السواد، ومن ناحية الأنبار، فاصطلحا، وسلَّم الحسن بن علي إلى معاوية، وذلك في شهر ربيع الآخر، أو في جمادى الأولى، سنة إحدى وأربعين "([7])، ويبدو للباحث أن خليفة كغيره من علماء المسلمين كان مرحّباً بالخطوة التي أقدم عليها الحسن بن علي، ويتجلى ذلك واضحاً في عبارته التي استخدمها إبان حديثه عن عام الجماعة، كما أن خليفة لم يستخدم لفظة "الخلافة " إبان حديثه عن الحسن بن علي، حيث قال:

" كانت ولاية الحسن بن علي سبعة أشهر وسبعة أيام "([8])، بيد أنه لم ينفِ الصلاحيات التي كان يتقلَّدها، حيث روى أنه: " أقرّ عمّالَ أبيه "([9])، ثم قدّم لنا إشارة أخرى في ذات السياق، حيث يقول: " وافتعل المغيرة بن شعبة([10]) عهداً على لسان الحسن، فأقام الحج سنة أربعين "([11])،

---

(1) وفيات، ج2، ص66. والحديث رواه أحمد في مسنده، ج5، ص220، 221.

(2) الوافي، ج12، ص68.

(3) البداية، ج11، ص134.

(4) مآثر، ج1، ص12.

(5) الصواعق، ص188.

(6) شذرات، ج1، ص227.

(7) تاريخ، ص203.

(8) المصدر نفسه، ص203.

(9) المصدر نفسه، ص203.

(10) أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية، كناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عيسى، وولاه عمر بن الخطاب البصرة، وبقي عليها حتى شُهد عليه بالزنا، فعزله، ثم عينه والياً على الكوفة، وبقي والياً عليها حتى مقتل عمر بن الخطاب، ومات سنة خمسين، وهو ما جزم به خليفة بن خياط، وقيل: سنة تسع وأربعين، كما ذكر ابن الجوزي. ابن خياط، تاريخ، ص210. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص240. ابن الأثير، أسد، ج5، ص238- 239. المزي، تهذيب، ج28، ص369- 372.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص203.

ثم عرّج خليفة إلى حيثية مهمة، تتمثل في اجتماع الناس على معاوية، فقال: " واجتمع الناس على معاوية "([1])، وتشير هذه العبارة إلى حالة الارتياح التي عمّت بلاد المسلمين في حينه، فضلاً عن خليفة نفسه، ثم إن خليفة اهتم يسيراً بعرض البيانات الشخصية المتعلقة بشخصية الحسن بن علي بن أبي طالب، والتي يمكن حصرها في النقاط التالية:

- أن الحسن مات وهو ابن ست وأربعين سنة.
- أن الحسن وُلد بالمدينة سنة ثلاث.
- أن أم الحسن هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم([2])

ثم إن خليفة لم يضف في طبقاته بشأن سيرة الحسن بن علي سوى أنه ذكر نسبه، وأن أمه فاطمة بنت رسول الله، وأنه أتى البصرة والكوفة، وأنه مات بالمدينة سنة تسع وأربعين، وأن الذي صلى عليه هو أمير المدينة آنذاك سعيد بن العاص([3])، دون أن يذكر طبيعة المهمة التي كان يتقلدها الحسن إبان إقامته في الكوفة.

ومن المعلوم أن الحسن كان قد توجه بالناس بعد أن بويع إلى المدائن، وكان قيس بن سعد على مقدمة جيشه في اثني عشر ألفاً من المقاتلين، ما دفع معاوية إلى التوجه بأهل الشام إلى مَسْكِن([4])، فلما كان الحسن بالمدائن سمع الناس منادياً ينادي بالعسكر: " ألا إن قيس بن سعد قُتل، فانفروا "، فنفروا وهاجوا، حتى نهبوا بُسُط الحسن وجواربه، وأخذوا رداءه عن ظهره، ونازعوه في بساطٍ كان يفترشه من تحته، ثم وثب عليه رجل من بني أسد يقال له ابن أُقَيْصر([5]) فطعنه بخنجر مسموم في فخذه كاد أن يصل العظم، فاندفع ظبيان بن عمارة التميمي فأخذ بأنفه فقطعه، ثم شدخ وجه الرجل ورأسه بقطعة آجُرَّة([6]) حتى مات([7])، وكان على

(1) المصدر نفسه، ص203.

(2) المصدر نفسه، ص203.

(3) ص5.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص159. مَسْكِن: موضع قريب من دير الجاثليق، يقع على نهر دجيل بالعراق، الحموي، معجم، ج5، ص127.

(5) وقيل: هو الجراح بن سنان. البلاذري، أنساب، ج3، ص282. وقيل: الجراح بن قبيصة. الدينوري، الأخبار، ص320.

(6) الآجُرَّة: فارسية معربة، ومعناها: طبيخ الطين الذي يُبْنَى به. ابن منظور، لسان، ج4، ص11.

(7) البلاذري، أنساب، ج3، ص283. الدينوري، الأخبار، ص319– 320. الطبري، تاريخ، ج5، ص162. ابن طاهر، البدء، ج5، ص236. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص166. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص271. المزي، تهذيب، ج6، ص244– 246. الذهبي، سير، ج3، ص263؛ تاريخ، ج4، ص6؛ العبر، ج1، ص35. الصفدي، الوافي، ج12، ص68. ابن كثير، البداية، ج11، ص132. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص648. فياض، تاريخ، ص171. عيسى، الحزبية، ص109. الأبياري، ميلاد، ص45. حسين، علي، ص178.

المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي([1])، فنزل الحسن في بيته([2])، ثم جاء للحسن بطبيب أشرف على تمريضه حتى برئ([3])، وبعدها ذهب بالحسن إلى القصر الأبيض بالمدائن([4])، فمكث فيه حوالي أربعين ليلةً، قبل أن يصالح معاوية([5])، ويبدو أن الحسن – سيما بعد الذي جرى معه – كان لا يميل إلى القتال، بينما قيس ابن سعد كان يخالفه الرأي، فما كان من الحسن إلا أنْ عزله، ووضع عبيد الله بن العباس مكانه([6])، ولما رأى الحسنُ بن علي من معسكره ما رأى، أرسل إلى عبد الله بن الحارث وأمه هند بنت أبي سفيان، وقال له: " ائت خالك، فقل له: إن أمنت بالناس بايعتك "([7])، وجمع الحسنُ أخاه الحسين وعبدَ الله بن جعفر، وأخبرهما أنه كتب إلى معاوية في الصلح([8])، فأرسل معاوية إلى الحسن صحيفةً بيضاء مختومة في أسفلها، وقال: " اكتب فيها ما شئت "([9])

وذكر الدينوري(ت: 282هـ/895م) بعض شروط الصلح، حيث كان من بينها: أن يحمل معاوية إلى الحسين بن علي ألفي ألف كل عام، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس([10])، في حين روى الطبري(ت: 310هـ/922م) أن الحسن صالح معاوية على

---

(1) وُلد المختار الثقفي في السنة التي هاجر فيها رسل الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وأمه دَوْمَة بنت عمرو بن وهب ويكنى أبا إسحق، وأقام مع عبد الله بن الزبير خمسة أشهر وأياماً بعد مهلك يزيد بن معاوية، وقتل على يد مصعب بن الزبير في سنة سبع وستين. البلاذري، أنساب، ج6، ص375. الطبري، تاريخ، ج5، ص577. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص67. ابن كثير، البداية، ج12، ص64.

(2) البلاذري، أنساب، ج3، ص283. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص271. ابن كثير، البداية، ج11، ص132. عيسى، الحزبية، ص109.

(3) البلاذري، أنساب، ج3، ص283.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص159. ابن مسكويه، تجارب، ج1، ص370. المزي، تهذيب، ج6، ص245- 246. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص648. فياض، تاريخ، ص171. سالم، تاريخ، ص337. القصر الأبيض: قصر الأكاسرة بالمدائن، وكان " من عجائب الدنيا "، وبقي قائماً إلى عهد الخليفة العباسي المكتفي، أي في حدود سنة تسعين ومائتين. الحموي، معجم، ج1، ص85.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص167.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص158.

(7) البلاذري، أنساب، ج3، ص286.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص160. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص271.

(9) البلاذري، أنساب، ج3، ص286.

(10) الأخبار، ص321.

" أن جعل لـه مـا فـي بيـت مالـه، وخـراج دَارَابْجِـرْد([1])، علـى ألا يُشْتم علـيٌ وهـو يـسمع "([2])، وكان في بيت ماله بالكوفة خمسة آلاف ألف([3])أما الذهبي فقد أشار إلى شرط ينص ُ بالتحديد على أنْ " يكون الأمرُ من بعده للحسن "([4])

ولما أعطى معاوية للحسن بن علي ما اشترطه في كتاب الصلح أرسل إلى قيس بن سعد وهو على مقدمة جيشه في اثني عشر ألفاً، يطلب منه الدخول في طاعة معاوية، فبايعوا معاوية، وانصرف قيس بن سعد عن الناس([5])

قدم الحسن إلى الكوفة، فاجتمع بمعاوية وبايعه بأَذْرُح([6]) هو وعمرو بن سلمة الهمداني، وذلك في أوائل سنة إحدى وأربعين([7])، وبايع الناس معاوية بن أبي سفيان، حتى أطلقوا " عام الجماعة " على هذا الحدث البارز([8])، وسُمّي بهذا الاسم " لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد، وهو معاوية "([9])، وإن كان الجاحظ يخالفهم في ذلك([10])، ثم طلب معاوية من الحسن القيام أمام الناس خطيباً، فقام الإمام الحسن، وخطب فيهم، ثم تفرق الناس عنه، بعد أن أنهى خطبته([11])، وغادر الكوفة متوجهاً إلى المدينة([12])، حيث عاش بقية حياته في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أن مات في سنة تسع وأربعين([13])

---

(1) دارابجرد: ولاية غنية بفارس، يُنْسب إليها كثير من العلماء، " وهي كثيرة المعادن، جليلة الخصائص، طيبة الهواء ". الحموي، معجم، ج2، ص419، 446.

(2) تاريخ، ج5، ص160.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص160.

(4) العبر، ج1، ص34.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص160. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص649. محمد، تاريخ، ص151.

(6) بلدة في أطراف الشام، فُتِحَت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، سنة تسع. الحموي، معجم، ج1، ص129- 130.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص324.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص26. وفي العبر قال الذهبي: " قلتُ: وسُمّي هذا العام عام الجماعة، لاجتماع الناس على معاوية ". ج1، ص36. ابن كثير، البداية، ج11، ص133. ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص650. وسمّاها ابن العماد بـ " سنة الجماعة ". شذرات، ج1، ص229. خماش، الشام، ص222.

(9) الذهبي، تاريخ، ج4، ص5.

(10) قال الجاحظ: " وما كان عام جماعة، بل عام فرقة وقهر، وجبرية، وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة مُلْكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً ". رأي، ص14.

(11) البلاذري، أنساب، ج3، ص287- 288. الطبري، تاريخ، ج5، ص163. ابن طاهر، البدء، ج5، ص237. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص183. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص273.

(12) البلاذري، أنساب، ج3، ص289.

(13) ابن خياط، تاريخ، ص209.

استلحاق زياد بن أبيه:

هو زياد ابن سُميَّة([1])، وكانت سمية هذه عند أحد الأثرياء، فلما مرض دعا الحارث بن كَلَدَة الثقفي طبيب العرب([2])، فعالجه من مرضه، فوهبه إياها لتصبح مولاة له([3])، وقيل: إن الواهب هو أبو الخير بن عمرو الكندي([4])، وعُرف ابن سمية بـ " زياد بن أبيه "([5])، وذلك " لِما وقع في أبيه من الشك "([6])، و" زياد بن أبيه الأمير "([7])، و" زياد بن أمه "([8])، وكان يقال له قبل أن يستلحقه معاوية بن أبي سفيان " زياد بن عبيد الثقفي "([9])، لأن الحارث بعد أن ولدت سمية له نافعاً وأبا بكرة، أنكر لون أبي بكرة، فقال الناس له: " إن جاريتك بغيّ " فانتفى من أبي بكرة ونافع([10])، وزوَّجها غلاماً له رومياً اسمه عبيد([11])، فجاء أبو سفيان في الجاهلية إلى الطائف " فوقع على سمية، فولدت زياداً على فراش عبيد، وأقرّ أبو سفيان أنه من نُطْفته "([12])،

ولما استلحقه معاوية في سنة أربع وأربعين، وهي الحادثة التي اعتبرها ابن الأثير من " الأمور المشهورة الكبيرة في الإسلام، لا ينبغي إهمالها "(13)، أصبح يُعْرَف بـ " زياد بن أبي سفيان "(14)، والذي ذُكر في صحيح البخاري بهذه الصيغة(15)، وأخرى في موطأ مالك(16)،

([1]) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. ابن خَلكان، وفيات، ج6، ص356. الذهبي، سير، ج3، ص494. الصفدي، الوافي، ج15، ص7. العش، الدولة، ص147.

(2) قيل: هو الحرث بن كِنْدة. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص9.

(3) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص300. الذهبي، سير، ج3، ص494. الصفدي، الوافي، ج15، ص6.

(4) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص266.

(5) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. ابن خَلكان، وفيات، ج6، ص356. الصفدي، الوافي، ج15، ص6. بروكلمان، تاريخ، ص122.

(6) الصفدي، الوافي، ج15، ص7.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص98. الذهبي، ميزان، ج3، ص125. الصفدي، الوافي، ج15، ص6.

(8) ابن خَلكان، وفيات، ج6، ص356. مآثر، ج1، ص112.

(9) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. ابن خَلكان، وفيات، ج6، ص356. الذهبي، سير، ج3، ص494.

(10) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص266.

(11) الصفدي، الوافي، ج15، ص6.

(12) المصدر نفسه، ج15، ص6.

(13) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص300.

(14) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. الذهبي، سير، ج3، ص494. الصفدي، الوافي، ج15، ص6.

(15) ج2، ص609.

(16) ج1، ص340.

وكان يُكْنى بأبي المغيرة[1]، وهو أخٌ لأبي بكرةِ من جهة أمه[2]، واختلف في سنة ولادته، فقيل: ولد عام الهجرة[3]، وقيل: ولد قبل الهجرة[4]، وقيل: ولد يوم بدر[5]، وقيل: عام الفتح[6]، وله " إدراك "[7]، حيث " وُلد هو والمختار سنة إحدى من الهجرة "[8]، وإن كان ابن الأثير قد قال بحقه: " ليست له صحبة، ولا رواية "[9]، بينما جزم ابن العربي بأن زياداً كان" من الصحابة بالمولد والرؤية، لا بالتفقه والمعرفة "[10]، وقال آخرون بأنه أسلم في عهد أبي بكر الصديق[11]، ومات بالطاعون سنة ثلاث وخمسين([12])

وكان معاوية قد عيَّنه في سنة خمس وأربعين والياً على البصرة وأعمالها طوال خمس سنين، ثم ضمَّ إليه الكوفة بعد موت المغيرة بن شعبة سنة خمسين هجرية([13])، وكان زياد يَصيف بالكوفة ستة أشهر، ويشتو بالبصرة ستة أشهر([14])، وكان إذا خرج من الكوفة ولّى عليها عمرو بن حُريث، ويولي على البصرة إذا خرج منها سَمُرة بن جُنْدَب([15])

ويبدو أن خليفة بن خياط حاول أن ينأى في كتابته لتاريخه عن ذكر هذا الإستلحاق، رغم حساسية هذا الصنيع، فلم يدخل في تفاصيل الحدث، ولا في مدى خطورته، أو خلفيات الإقدام عليه، أو دلالات حدوثه، إنما أشار سريعاً إلى هذا الأمر، دون استخدام لفظة

---

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص346. ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. الذهبي، سير، ج3، ص494. الصفدي، الوافي، ج15، ص7.

(2) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. الذهبي، سير، ج3، ص494.

(3) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336. الذهبي، سير، ج3، ص494؛ ميزان، ج3، ص125.

(4) ابن الأثير، أسد، ج2، ص336.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص336.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص99. ابن قتيبة، المعارف، ص346.

(7) الذهبي، سير، ج3، ص494. الصفدي، الوافي، ج15، ص7.

(8) الصفدي، الوافي، ج15، ص7.

(9) أسد، ج2، ص336.

(10) العواصم، ص238.

(11) الذهبي، سير، ج3، ص494. الصفدي، الوافي، ج15، ص7.

(12) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص99. ابن قتيبة، المعارف، ص346. الصفدي، الوافي، ج15، ص8. الخضري، الدولة، ص271.

(13) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص98. ابن قتيبة، المعارف، ص346. الصفدي، الوافي، ج15، ص8. الجميح، الأوضاع، ص139.

(14) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص98. البلاذري، أنساب، ج5، ص254. الدينوري، الأخبار، ص329. الصفدي، الوافي، ج15، ص8.

(15) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص98- 99. البلاذري، أنساب، ج5، ص254.

" استلحاق "، أو ما شابه ذلك، إنما ألمح إلى ذلك تلميحاً، فَتَحْتَ عنوان " سنة أربع وأربعين "، قال: " وفيها كان من أمر معاوية وزياد الذي كان "([1])، وقد تفيد هذه الصيغة من السرد أن منهجية خليفة بن خياط في تناوله للأحداث التي جرت في عهد بني أمية كانت تميل إلى الإيجاز في استعراض الوقائع التاريخية.

مقتل حُجْر بن عدي:

وهو حُجْر بن عَدِيّ بن معاوية بن جَبَلة بن عدي الكندي([2])، يكنى أبا عبد الرحمن الشهيد([3])، وهو المعروف بـ " حُجْر الخير "([4])، وابن الأدبر([5])، لأن أباه طُعن في أَلْيَته وهو مدبر([6])، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم برفقة أخيه هانئ([7])، وشهد القادسية([8])، وكان " من فضلاء الصحابة "([9])، و" مجاب الدعوة "([10])، و" له صحبة ووفادة "([11])، و" لا رواية له عن النبي صلى الله عليه وسلم "([12])، وسمع من علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر([13])، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب([14])، وكان " شريفاً،

---

(1) تاريخ، ص207.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. ابن الأثير، أسد، ج1، ص697. الذهبي، سير، ج3، ص462 – 463. الصفدي، الوافي، ج11، ص247.

(3) ابن خياط، الطبقات، ص146. البلاذري، أنساب، ج5، ص276. الذهبي، سير، ج3، ص463. الصفدي، الوافي، ج11، ص247.

(4) ابن الأثير، أسد، ج1، ص697. الذهبي، سير، ج3، ص463. الصفدي، الوافي، ج11، ص247.

(5) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. البلاذري، أنساب، ج5، ص276. ابن الأثير، أسد، ج1، ص697. الذهبي، سير، ج3، ص463. الصفدي، الوافي، ج11، ص247.

(6) البلاذري، أنساب، ج5، ص276. ابن الأثير، أسد، ج1، ص697. الذهبي، سير، ج3، ص463. الصفدي، الوافي، ج11، ص247.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. البلاذري، أنساب، ج5، ص276. ابن الأثير، أسد، ج1، ص697. حسين، علي، ص219.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. البلاذري، أنساب، ج5، ص276. ابن الأثير، أسد، ج1، ص697.

(9) ابن الأثير، أسد، ج1، ص697.

(10) المصدر نفسه، ج1، ص698.

(11) الذهبي، سير، ج3، ص463. يقول ابن العماد: " وكان لِحُجْر صُحْبة ووِفادة، وجهاد وعبادة ". شذرات، ج1، ص247.

(12) الذهبي، سير، ج3، ص463.

(13) المصدر نفسه، ج3، ص463.

(14) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. البلاذري، أنساب، ج5، ص276. ابن الأثير، أسد، ج1، ص697. الصفدي، الوافي، ج11، ص247. حسين، علي، ص219.

ميراً مُطاعاً، أمَّاراً بالمعروف، مُقْدِماً على الإنكار، من شيعة علي رضي الله عنهما، شهد صفين أميراً، وكان ذا صلاحٍ وتعبد "([1])، وهو الذي " افتتح مَرْج عَذْراء "([2])، وأنجب حُجر ابن عدي ولدين: عبيد الله، وعبد الرحمن، قتلا على يد مصعب بن الزبير([3])

وكان حجر بن عدي يكثر من انتقاده لوالي الكوفة زياد بن أبيه، فما يكون من زياد إلا أن يتهدده ويتوعده([4])، ثم إن زياداً سارع إلى جمع سبعين من أهل الكوفة، وقال لهم: " اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه "([5])، وشهد هؤلاء السبعون من أهل الكوفة على أن حُجْراً " خلع الطاعة، ودعا إلى الفتنة "([6])، مع أن حجراً " لم يخلع معاوية "([7])، وإنما خلع زياداً بسبب غلظته([8])، وأنه قال لزياد بن أبيه يوماً: " إني على بيعتي لمعاوية "([9])، لكن زياداً وجه حُجْراً ورفاقه وبرفقة مائة رجل من الجند إلى دار الخلافة بدمشق([10])، وقيل: إن معاوية لم يسمح بدخول حجر وأصحابه عليه، حيث أنه أمر بحبسهم في مرج عذراء، فحُبسوا هناك([11])، يقول البلاذري: " والمجتمع عليه أنه لم يدْخل على معاوية "([12])، فلما شاور معاويةُ القوم، دعا هُدْبة بن الفيَّاض الأعور فأعطاه سيفاً، وأمره بقتل

---

(1) الذهبي، سير، ج3، ص463.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. البلاذري، أنساب، ج5، ص276. المَرْج: هو الأرض الواسعة، التي تزخر بالنبت الكثير، وسُمّي بهذا الاسم لأن الدواب تَمْرَج فيه، أي تذهب وتجيء، ويقع مرج عذراء في غوطة دمشق. الحموي، معجم، ج5، ص100.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص239. الذهبي، سير، ج3، ص467.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص242.

(5) الذهبي، سير، ج3، ص464.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص242. فلهوزن، تاريخ، ص119.

(7) ابن الأثير، أسد، ج1، ص697.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص697.

(9) الذهبي، سير، ج3، ص464.

(10) الدينوري، الأخبار، ص330.

(11) البلاذري، أنساب، ج5، ص265.

(12) المصدر نفسه، ج5، ص269. الطبري، تاريخ، ج5، ص272.

حجر وأصحابه([1])، وكان قتلهم في سنة إحدى وخمسين([2])، وهذه أسماء الذين قُتلوا في مرج عذراء:

حُجْر بن عَدِيّ، وشَرِيك بن شدَّاد، وصَيْفيّ بن فَشِيل الشيبانيّ([3])، وقَبيصة بن ضُبَيْعة بن حَرْمَلة العَبْسي، ومُحْرِز بن شِهاب المِنْقَريّ السعديّ، وكِدام بن حَيّان العَنَزي([4])، أما أسماء الذين نجوا منهم، فهم سبعة:

كَريم بن عفيف الخَثْعمي، وعبد الله بن حَوِيّة السَعْدي، وعاصم بن عوف البَجَلي، ووَقاء بن سُمَيّ البَجَلي، والأرقم بن عبد الله الكِنْدي، وعُتْبة بن الأخنس، وسعيد بن نِمْران الهَمْداني([5])

ومن الملاحظ أن خليفة بن خياط لم يُشِر كثيراً إلى تفاصيل هذا الحدث الجلل، وإنما ذكر في أحداث سنة إحدى وخمسين مقتل حُجر بن عدي، وإن كل الذي ساقه في هذا الشأن تحت عنوان (مقتل حجر بن عدي)، كان على الوجه التالي:

" فيها قَتَل معاويةُ بن أبي سفيان حُجْرَ بن عدي بن الأدبر، ومعه محرز بن شهاب وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة القيسي وصيفي بن فسيل من ربيعة "([6])، دون أن يُكْمل أسماء من قُتلوا مع حجر بن عدي في مرج عذراء، حيث أنه اقتصر على ذكر ثلاثة منهم وهم: محرز بن شهاب، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة القيسي، وصيفي بن فسيل، ولم يذكر الثلاثة الباقين، وهم: شَريك بن شدَّاد، وكِدام بن حَيّان العَنَزي، وعبد الرحمن بن حسان، لكن اللافت في الأمر أن خليفة بن خياط كان قد أورد الخبر بصيغة يُفْهَم منها أنْ لا أحد غير معاوية هو الذي قتل حجر بن عدي ورفاقه الآخرين، دون أن يبيّن مسألة مشروعية ذلك من عدمه، وفي هذا قدر محمود من الموضوعية التي تحلى بها خليفة في تاريخه.

---

(1) البلاذري، أنساب، ج5، ص268. الطبري، تاريخ، ج5، ص275. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص335. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص16.

(2) ابن خياط، الطبقات، ص146. ابن الأثير، أسد، ج1، ص698. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص326. الذهبي، سير، ج3، ص467. الصفدي، الوافي، ج11، ص247.

(3) قيل: صيفي بن فسيل. ابن خياط، تاريخ، ص213. الطبري، تاريخ، ج5، ص271، 277. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص334. وقيل: صيفي بن فضيل الشيباني. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص15.

(4) البلاذري، أنساب، ج5، ص271.

(5) البلاذري، أنساب، ج5، ص271. الطبري، تاريخ، ج5، ص277– 278.

(6) تاريخ، ص213.

البيعة ليزيد بولاية العهد:

عـزم معاويــةُ علــى أخـذ البيعــة لابنــه يزيـد فــي حيــاة والــي الكوفــة المغيــرة بــن شــعبة، لأن المغيـرة بـن شـعبة هـو الـذي " أشـار علـى معاويـة ببيعـة ابنـه ففعل "([1])، وهـو مـا تطـرق إليـه خليفة بن خياط، حينما ذكر أن معاوية بن أبي سفيان دعا أهل الشام في سنة خمسين إلى بيعة ابنه يزيد، فوافق الناس وبايعوا يزيد، يقول خليفة في أحداث سنة خمسين:

" وفيهـا دعـا معاويـة بـن أبـي سـفيان أهل الشام إلـى بيعـة ابنـه يزيـد بـن معاويـة، فأجـابوه، وبايعوا يزيد "([2])، وهو الأمر الذي أيَّده الذهبي حينما ذكر أن معاويـة فـي سنة خمسين دعا " أهل الشام إلـى البيعـة بولايـة العهد من بعده لابنـه يزيد فبايعوه "([3]) وأنـه فـي سنة إحدى وخمسين حـج بالناس، و" أخذهم ببيعة يزيد "([4])، وما ذكره ابن كثير يوافق ذلك، حيث يقول: " وكان قد عزَم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبة "([5])، ثم إن ابن كثير قد سرد في تاريخه ما يؤكد على أن بزوغ فكرة ولاية العهد في ذهن معاوية كان مبكراً، أي بعد موت الحسن بن علي مباشرةً، فيقول: " وقد كان معاوية لما صـالح الحسنَ بن علي عهِد للحسن بـالأمر من بعده، فلما مات الحسن قوي أمر يزيد عند معاوية، ورأى أنـه لذلك أهل، وذاك من شدة محبـة الوالد لولده، ولما كـان يتوسم فيـه من النجابـة الدنيويـة، وسيما أولاد الملوك، ومعرفتهم بـالحروب، وترتيب الملك والقيام بأُبَّهتـه، وكـان يظن أنه لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في الملك مقامه "([6])

ولقـد أرسـل معاويــة إلــى زيـاد بـن أبيــه يستـشيره فــي أمـر يزيـد، بيـد أن زيـاداً كـره ذلـك، وذلـك لأن يزيـد " صـاحب رَسْلة([7]) وتهـاون "([8])، و" لِمـا يعلـم مـن لَعِـب يزيـد، وإقبالـه علـى اللعـب والصيد "([9])، ثم كتب لمعاوية " يأمره بالتؤدة، وألا يَعْجَل، فقبل ذلك معاوية "([10])

---

(1) الذهبي، سير، ج4، ص39. العقيلي، مبايعة، ص396.

(2) تاريخ، ص211. السيوطي، تاريخ، ص223.

(3) تاريخ، ج4، ص22.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص147.

(5) ابن كثير، البداية، ج11، ص306.

(6) المصدر نفسه، ج11، ص308.

(7) رجل فيه رَسْلة: أي كسل، وهم في رسلة من العيش، أي: لين. ابن منظور، لسان، ج11، ص283

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص302. علي، تاريخ، ص213. حسن، تاريخ، ج1، ص230.

(9) ابن كثير، البداية، ج11، ص307.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص302– 303. ابن كثير، البداية، ج11، ص307. علي، تاريخ، ص213.

ولقد روى خليفة بن خياط أنه " لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد، حجَّ فقدم مكة في نحو من ألف رجل "([1])، وأن معاوية لما قدم المدينة، وقف في الناس خطيباً، وصعد المنبر، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد، فقال:

" من أحق بهذا الأمر منه "([2])، وهو شبيه بما ذكره الإمام البخاري في صحيحه، حينما ذكر أن معاوية خطب في الناس، وكاد عبد الله بن عمر أن يقاطعه في الكلام، وجاء فيها على لسان معاوية: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ، فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَهَلا أَجَبْتَهُ! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَلَلْتُ حُبْوَتِي، وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلامِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ وَيُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْجِنَانِ، قَالَ حَبِيبٌ: حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ "([3])

ثم توجه معاوية إلى مكة معتمراً، حيث حرص على استدعاء كلٍّ من الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، واستخدم اللين والشدة مع كل واحد منهم على حده، فكان عبد الرحمن بن أبي بكر من أشدهم رداً على معاوية، في حين كان عبد الله بن عمر من ألينهم موقفاً([4])، ثم اجتمع أربعتهم بمعاوية، وكان عبد الله بن الزبير هو الذي ينوب عنهم في الكلام، وهنا يروي خليفة أن معاوية وبعد أن خُيّر بين ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين ما صنعه أبو بكر الصديق، وبين ما صنعه عمر بن الخطاب، قال: " إني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر، وإنه قد كان يقوم منكم القائم إلي فيكذبني على رؤوس الناس، فأحتمل له ذلك وأصفح عنه، وإني قائم بمقالة إن صدقت فلي صدقي، وإن كذبت فعلي كذبي، وإني أقسم لكم بالله، لئن رد علي منكم إنسان كلمة في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إليّ رأسه "([5]) وفي رواية لابن سعد قال: " إني أتكلم بكلام فلا تردوا عليَّ شيئاً فأقتلكم "([6])

---

(1) تاريخ، ص213.

(2) المصدر نفسه، ص213.

(3) ج4، ص1508.

(4) خاطب ابنُ عمر معاويةَ بقوله: إذا بايعه الناس كلُّهم بايعته، ولو كان عبداً حبشياً مُجَدَّع الأطراف. ابن كثير، البداية، ج11، ص308.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص216. الذهبي، ج4، ص152. قطب، العدالة، ص155.

(6) الطبقات، ج6، ص27.

ثم أشار خليفة في الرواية التي ساقها إلى أن معاوية دعا صاحب حرسه، وقال له:

" أقِم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك، فإن ذهب رجل يرد عليَّ كلمة في مقامي هذا بصدق أو كذب، فليضرباه بسيفيهما "([1])، ثم خرج معاوية – حسب رواية خليفة – من الاجتماع، وخرجوا معه الأربعة، ولما صعد معاوية على المنبر، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا نستبدّ بأمر دونهم، ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا بسم الله "([2]) فبايع الناس، وما رجع معاوية إلى الشام حتى بايع أهل المدينة أيضاً([3])، وفي رواية أخرى أنه أظهر أنهم " قد بايعوا، وسكت القوم، فلم يقروا، ولم ينكروا خوفاُ منه "([4])، وأنه ذكر في خطبته أن " هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يستبد بأمر دونهم، ولا يقضى أمر إلا عن مشورتهم، إنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا بسم الله "([5])

ويروي خليفة أنه ما إن خرج معاوية من مكة متوجهاً إلى الشام، حتى قال الناس للأربعة: " زعمتم وزعمتم، فلما أرضيتم وحُبيتم فعلتم "([6])، قال لهم الأربعة: " إنا والله ما فعلنا "([7])، قال لهم الناس: " فما منعكم أن تردوا على الرجل إذ كذب؟! "([8])، ثم " بايع أهل المدينة والناس "([9])، حينها خرج معاوية قافلاً إلى الشام([10])

ولما سمع سعيد بن عثمان بن عفان بأمر البيعة قدم على معاوية ليعاتبه، وليطلب منه أن يوليه مكان يزيد، فقال له معاوية: " والله لو مُلئت الغوطةُ رجالاً مثلَك، لكان يزيدُ أحبَّ منكم كلِّكم "([11])، ويروى أن معاوية لما حضرته الوفاةُ في سنة ستين([12])، أرسل إلى ابنه يزيد، فلما أبطأ عليه

---

(1) تاريخ، ص216– 217. يُنظَر أيضاً: الذهبي، ج4، ص152. قطب، العدالة، ص155.

(2) تاريخ، ص217.

(3) المصدر نفسه، ص217.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج6، ص27. أشار ابن كثير إلى أن الناس " لم يوافقوا، ولم يظهروا خلافاً، لما تهدَّدهم وتوعَّدهم " ابن كثير، البداية، ج11، ص307.

(5) الذهبي، ج4، ص152. حسن، تاريخ، ص232.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص217.

(7) المصدر نفسه، ص217.

(8) المصدر نفسه، ص217.

(9) المصدر نفسه، ص217.

(10) المصدر نفسه، ص217.

(11) ابن كثير، البداية، ج11، ص308.

(12) توفي معاوية في يوم السبت من رجب، الموافق السابع من نيسان لعام 679هـ/1280م. العيس، المعجم، ص29.

في المجيء، استدعى صاحب شرطته الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة، وأوصاهما أن يبلغا يزيد وصيته([1])، والتي جاء في أجزاء منها:

" وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فأما ابن عمر فرجل قد وقذه([2]) الدين، فليس ملتمساً شيئاً قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رحماً ماسَّة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير، فإنه خَبٌّ ضَبٌّ([3])، فإذا شخص لك فالبدْ له، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل، واحْقُن دماء قومك ما استطعت "[4]

ومن الراجح أن الروايات التي رواها الدينوري[5]، والطبري[6]، وابن مسكويه[7]، وابن الجوزي[8]، والتي ذكر فيها معاويةُ حين وفاته عبدَ الرحمن بن أبي بكر بما ذكر، أن فيها إشكالاً

---

(1) روى البعض أن يزيد كان حاضراً، وأن أباه معاوية أبلغه نص الوصية مباشرة. ابن سعد، الطبقات، ج6، ص28– 29. المنتظم، ج5، ص320. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص23. ولقد حاول الدينوري أن يوفق بين الروايات المتعارضة بشأن حضور يزيد وفاة أبيه، فقال: " ثم قدم يزيد، فأعاد عليه هذه الوصية، ثم قضى ". الأخبار، ص334.

(2) الوَقْذ: شدة الضرب، ووقذه، أي: ضربه حتى استرخى، وأشرف على الموت، ويقال: وقذه الحلم، أي: سكَّنه، ويقال: وقذه النعاس، إذا غلبه. ابن منظور، لسان، ج3، ص519.

(3) رجلٌ خَب ضَب: أي مُنْكَرٌ مراوغٌ حَرِبٌ. وقيل: الخَبّ: هو الخدّاع الذي يسعى بين الناس بالفساد، والضَبّ: الحقود الذي يكن للآخرين العداوة والبغضاء. ابن منظور، لسان، ج1، ص342، 540.

([4]) الطبري، تاريخ، ج5، ص323. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص122. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص22. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص23– 24. العقاد، أبو الشهداء، ص17.

(5) والتي جاء فيها: " ليس له في نفسه من النباهة والذكر عند الناس ما يمكنه طلبها ويحاول التماسها، إلا أن تأتيه عفواً ". الأخبار، ص333– 334.

(6) وجاء فيها: " وأما ابن أبي بكر، فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو ". تاريخ، ج5، ص322.

(7) وجاء فيها: " و أمّا ابن أبى بكر، فرجل ليست له همّة إلّا في النساء واللهو ". تجارب، ج2، ص22.

(8) والتي جاء فيها: " وأما ابن أبي بكر، فليست له همة إلا في النساء واللهو، فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ". المنتظم، ج5، ص320.

كبيراً، لأن وفاة معاوية كانت في سنة ستين(1)، وقيل: سنة تسع وخمسين([2])، بينما وفاة عبد الرحمن بن أبي بكر كانت في سنة ثلاث وخمسين([3])، وقيل: سنة ثمان وخمسين([4])

يقول حمدي شاهين: " إنه من الأولى أن نستبعد تلك الرواية التي تزعم أن معاوية حصل على بيعة هؤلاء النفر بخدعة محكمة، وتحت تهديد الحراس بسيوفهم المشرعة، وهم واقفون في المسجد الحرام، يحيطون بهم أمام جمهور المسلمين الذين ترميهم هذه الرواية بالغفلة والعمى، حتى لم يروا ولم يشعروا بما يدور حولهم، أو ترميهم بالخور والجبن مثلما ترمي به هؤلاء الرجال الكرام، حتى تُنْتزع موافقتهم، ويكذب عليهم فلا ينطقون خوفاً من الموت "([5])، بينما يرى الدكتور عمر سليمان العقيلي أن أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد " لم تكن عن هوى في نفسه، أو تلبية لعاطفة الأبوة، إنما راعى فيها المصلحة العامة للأمة الإسلامية "([6])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص229.

(2) المصدر نفسه، ص226.

(3) ابن خياط، الطبقات، ص18؛ تاريخ، ص232. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص343. الذهبي، تاريخ، ج4، ص155؛ العبر، ج1، ص41. ابن كثير، البداية، ج11، ص332. ابن العماد، شذرات، ج1، ص251.

(4) ابن كثير، البداية، ج11، ص331.

(5) الدولة، ص291.

(6) مبايعة، ص409.

وقعة الحَرَّة:

في سنة اثنتين وستين ضاق عبد الله بن الزبير ذرعاً بالوليد بن عتبة([1])، فأرسل كتاباً ليزيد بن معاوية، يطلب منه أن يبعث لهم والياً غير الوليد بن عتبة([2])، فاستجاب يزيد بن معاوية لطلب ابن الزبير، حيث أصدر أمراً يقضي بعزل الوليد بن عتبة، وتعيين عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو " فتى غِرٌّ([3]) حَدَثٌ لم يجرب الأمور، ولم يحنكه السِّن، لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله "([4])، علماً بأن خليفة بن خياط، لم يتطرق في الرواية التي ساقها إلى التفاصيل التي أحاطت بمسألة تغيير الوالي، أو أسبابها، إنما جاء فيها: " ثم نزع الوليد، وأمّر عثمان بن محمد بن أبي سفيان "([5])

ويروي خليفة بن خياط أنه وبعد أن أقام الوالي الجديد عثمان بن محمد بن أبي سفيان شهراً في المدينة، ارتأى أن يبعث وفداً من وجهاء المدينة إلى يزيد، فيهم: عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وعبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، ورجل من بني سراقة من بني عدي بن كعب، فلما قدموا على يزيد أكرمهم وأحسن ضيافتهم، ونحلهم الجوائز العظيمة، حيث أعطى عبد الله بن حنظلة مائة ألف درهم، وأعطى عشرة آلاف درهم لكل ولد من أولاده المرافقين له في زيارته تلك وهم ثمانية، فلما انتهت الزيارة رجعوا إلى المدينة([6])، فلما استقر للوفد المقام في المدينة " أظهروا شتم يزيد، والبراءة منه، وخلعوه "([7])

ثم يسوق خليفة رواية تتضمن أهم ما جاء في خطبة عبد الله بن حنظلة أمام أهل المدينة: " أتيتكم من عند رجل، والله لو لم أجد إلا بنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: فإنه بلغنا أنه أجازك وأكرمك وأعطاك! قال: قد فعل، وما قبلت ذلك منه إلا أنْ

---

(1) ابن أبي سفيان، كان والياً على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، لكن يزيد بن معاوية عزله عن المدينة لضعفه، وولّى عليها عمرو بن سعيد بن العاص، وكان بعض المجتمعين في مؤتمر الجابية قد رشَّحوه لخلافة يزيد بن معاوية بيد أنه رفض هذا المقترح، ومات أثناء اجتماع الأمويين على بيعة مروان بن الحكم. ابن خياط، تاريخ، ص232- 233. ابن كثير، البداية، ج11، ص669- 670.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص449. سرور، الحياة، ص110.

(3) الغِرُّ: من لا دهاء له، ومن لا يَفْطُن للشر. ابن منظور، لسان، ج1، ص342، ج13، ص477.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص7. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص449. أبو النصر، عبد الملك، ص76.

(5) تاريخ، ص254.

(6) المصدر نفسه، ص236- 237.

(7) المصدر نفسه، ص237.

أتقـوّى بــه عليــه "([1])، ثــم أنــه " حـضـَّض النــاس فبــايعوه "([2])، بعـد أن خلعـوا يزيـد، وخرجـوا عليـه([3])، وكان عبد الله بن حنظلة يبايع الناس على الموت، حيث قال الصحابي عبد الله بن زيد الأنصاري: " لَمَّا كَانَ زَمَنُ الْحَرَّةِ أَتَاهُ آتٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى الْمَوْتِ، فَقَالَ: لا أُبَايِعُ عَلَى هَذَا أَحَداً بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "([4])

واجتمع معظم أهل المدينة في مطلع سنة ثلاث وستين عند المنبر، ثم أجمعوا رأيهم على إخراج عامل يزيد بن معاوية على المدينة وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فضلاً عن اجتماع رأيهم علـى إجـلاء بنـي أميـة مـن المدينـة([5])، ولقـد روى خليفـة عـن شـيخه أبـي اليقظـان أن أهل المدينـة " أخرجوا عثمـان بـن محمـد بـن أبـي سفيان مـن المدينـة، ومـن كـان بهـا مـن بنـي أمية "([6])، ثم ساق خليفة ما يوضح الآلية التي تم عبرها توزيع الصلاحيات والمناصب بين الثوار أنفسهم، والتي تفيد بأنهم " أمَّروا على قريش: عبد الله بن مُطيع العدوي([7])، وعلى الأنصار: عبد الله بن حنظلة الغسيل([8])، وعلى قبائل المهاجرين مَعْقِل بن سنان الأشجعي "([9])، ثم أورد رواية يستبين من خلالها اهتمام ابن عباس بمتابعة الأحداث الدائرة في المدينة، برغم وجوده بالطائف، حيث أنه لما علم أنهم استعملوا عبد الله بن مطيع على قريش، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار، قال: " أميران، هلك القوم "([10])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص237. البلاذري، أنساب، ج5، ص352- 353. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص450. الذهبي، تاريخ، ج5، ص24.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص237.

(3) الذهبي، العبر، ج1، ص50.

(4) البخاري، صحيح، ج3، ص1081.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص12. ابن كثير، البداية، ج11، ص614.

(6) تاريخ، ص237.

(7) ابن الأسود، وأمه أُمَيْمَة بنت أبي الخِيار، ويكنى أبا سليمان، ولد في حياة الرسول صلى اله عليه وسلم، وله صحبة، قيل أنه قتل بالحرة، والصحيح أنه لم يُقْتَل بالحرة، لأن عبد الله بن الزبير استعمله على الكوفة، قبل أن يخرجه منها المختار بن أبي عبيد الثقفي، وروى له مسلم في صحيحه. قتل مع ابن الزبير في مكة في سنة ثلاث وسبعين. ابن خياط، الطبقات، ص234- 235. ابن قتيبة، المعارف، ص395. المزي، تهذيب، ج16. ص152- 155.

(8) الطبقات، ص236- 237.

(9) له صحبة، وشهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من فضلاء الصحابة وأتقيائهم، شارك أهل المدينة في خلع يزيد. ابن خياط، تاريخ، ص237. ابن الأثير، أسد، ج5، ص221- 222.

(10) تاريخ، ص237.

واللافت للانتباه أن روايات خليفة لم تعبأ كثيراً بإيراد تفاصيل ما كان يحدث داخل المدينة، وإنما ركّزت تصويرها للأحداث على اللحظات الصعبة التي عاشها بنو أمية، والتي أفادت بأن أهل المدينة وبعد أن أخرجوا واليها " أخرجوا مَنْ كان بالمدينة من بني أمية "([1])، وفيما يتعلق بطلب الأمويين المحاصرين في المدينة بطلب الغوث من الحكومة المركزية، روى خليفةُ أن مروان بن الحكم هو الذي كتب إلى يزيد بما يصنعه فيهم أهل المدينة، لكن خليفة لم يتطرق إلى اسم الرسول الذي حمل الكتاب ولا ما يتضمنه([2])، بينما ذكر مؤرخون آخرون بأن بني أمية أرسلوا حبيبَ بن كُـرَّة برسالة جاء فيها: " إنه قد حُصرنا في دار مروان بن الحكم، ومنعنا العذب، ورمينا بالجَبوب([3])، فياغوثاه! فياغوثاه"([4])، وأخبروه أنه " إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه، وإلا استؤصلوا عن آخرهم "([5])، واكتفى خليفة بسوق الرواية التي تشير إلى أن رد فعل يزيد انحصر في أنه " أمر بقبة، فضربت له خارجاً من قصره، وقطع البعوث على أهل الشام مع مسلم بن عقبة المري، فلم تمض ثالثة حتى فرغ "([6])، لكن العديد من المؤرخين اهتموا بإيراد الروايات التي تتضمن رد الفعل المتوقع من يزيد، حيث أن يزيد قال لمسلم بن عقبة الذي نهاه عن نصرة الأمويين في المدينة، حتى يقاتلوا بأنفسهم: " ويحك! إنه لا خير في العيش بعدهم "([7])، فأرسل يزيد البريد إلى مسلم بن عقبة المُرِّي([8])، ينتدبه للمضي إلى المدينة على رأس جيش مكون من عشرة آلاف فارس([9])، وقيل: اثني عشر ألفاً([10])، ونادى أعوان يزيد بالناس: " أن سيروا على أخذ أعطياتكم

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص254.

(2) المصدر نفسه، ص237.

(3) الجَبوب: وجه الأرض، وقيل: الأرض الغليظة، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين، وقيل: الحجارة. ابن منظور، لسان، ج1، ص251، ج10، ص225.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص482. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص12. فلهوزن، تاريخ، ص151. العش، الدولة، ص174.

(5) ابن كثير، البداية، ج11، ص615.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص237.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص483. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص455. يقول يوسف العش تعليقاً على العبارة التي جرت على لسان يزيد: " وهو حين يرده كتاب آل أمية يستنجدون به، يعمد إلى إرسال الجيش، ويقول بعاطفة جياشة: (لا خير في العيش بعدهم)، وتنسيه تلك العاطفة أنه خليفة جميع المسلمين ". الدولة، ص181.

(8) أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد صفين على الرجالة مع معاوية، يقال له: مسرف بن عقبة، وهو صاحب وقعة الحرة. الذهبي، تاريخ، ج5، ص234.

(9) ابن كثير، البداية، ج11، ص615.

(10) البلاذري، أنساب، ج5، ص340. الطبري، تاريخ، ج5، ص483. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص13. ابن كثير، البداية، ج11، ص615. فلهوزن، تاريخ، ص152. علي، تاريخ، ص180. العش، الدولة، ص175.

كاملاً، ومعونة أربعين ديناراً "([1])، وقيل: مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته([2])، ثم جعل يزيدٌ على أهل دمشق عبد الله بن مَسْعدة الفزاري، وعلى أهل حِمْص الحصين بن نُمَيْر السكوني، وعلى أهل الأردُنّ حُبَيْش بن دُلَجة القَيْني، وعلى أهل فلسطين رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ([3])، وشَرِيك الكنانيّ، وعلى أهل قِنَّسْرين طَرِيف بن الحَسْحاس الهلالي، وعليهم جميعاً مسلم بن عُقْبة المُرّي([4])، ثم دعا يزيدٌ مسلمَ بن عقبة، وقال له: " إذا ظهرتَ عليهم، فإن كان قُتل من بني أمية أحدٌ فجرّد السيف، واقتل المقبل والمدبر، وأجهِز على الجريح، وانهبها ثلاثاً، وانظر إلى علي بن الحسين فاكْفُفْ عنه واستوصِ به خيراً، وأدْنِ مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه "([5])، وقد روى خليفة بن خياط أنه لما ولّى يزيدٌ مسلماً وهو يتشكى، قال له: " إن حدث بك حدثٌ، فاستعمل حصين بن نمير"([6])، دون أن يسرد خليفة روايات تتضمن طبيعة الأوامر التي وجهها إلى قائد جيشه مسلم بن عقبة.

ويروي خليفة رواية ذُكر فيها أن أهل المدينة تعمدوا أن يفسدوا آبار المياه التي تقع في طريق جيش أهل الشام إلى المدينة، وهو ما تسبب في إلحاق الأذى الكثير بجيش أهل الشام، الذي وصل المدينة دون أن يستقي بدلو واحد من الماء([7])

ثم سار مسلم بن عقبة بجيوشه إلى المدينة، فلما دنا منها، أخذ بنصيحة عبد الملك بن مروان، ونزل شرقي المدينة في الحرة([8])، وتهيأ الفريقان للقتال، وكان أهل المدينة قد حفروا خندقاً بينهم وبين مسلم بن عقبة، وقاموا بتقسيم جيشهم إلى أربعة أرباع، وعلى كل ربع أمير، وكان ربع الأنصار الذي فيه عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع أعظم الأرباع([9])، وكان على ربع الموالي

---

(1) ابن كثير، البداية، ج11، ص615.

(2) البلاذري، أنساب، ج5، ص340. الطبري، تاريخ، ج5، ص483. فلهوزن، تاريخ، ص152. علي، تاريخ، ص180. العش، الدولة، ص175.

(3) تولى جند فلسطين ليزيد بن معاوية، وكان في مرج راهط مع مروان بن الحكم، وكان عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه، توفي سنة أربعٍ وثمانين بالأردن " وقد وهِم مُسْلم، وقال: له صحبة، وإنما الصحبة لأبيه ". الذهبي، سير، ج4، ص251– 252. ابن كثير، البداية، ج12، ص357.

(4) ابن كثير، البداية، ج11، ص616.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص13. الذهبي، تاريخ، ج5، ص25. ابن كثير، البداية، ج11، ص617.

(6) تاريخ، ص238. يُنْظر: البلاذري، أنساب، ج5، ص340. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص13. ابن كثير، البداية، ج11، ص617.

(7) تاريخ، ص238.

(8) ابن كثير، البداية، ج11، ص618– 619.

(9) المصدر نفسه، ج11، ص619.

يزيد بن هُرْمُز ([1])، وبينما أهل المدينة يستبسلون في قتال أهل الشام، إذ بالناس يسمعون تكبيراً من ورائهم، وكان سببه أن " بني حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة، فانهزم الناس "([2])، الذين رفضوا من قبل إمهال مسلم بن عقبة لهم ثلاثة أيام قبل بدء القتال([3])

ويصور خليفة بن خياط الموقف فيروي رواية تفيد بخروج أهل المدينة " بجموع كثيرة وبهيئة لم ير مثلها، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم "([4])، ما أوجب على مسلم بن عقبة أن يضع سريره بين الصفين، آمراً مقاتليه بالاستبسال في المعركة([5])، وتشير الرواية التي نقلها خليفة أن سبب الهزيمة التي لحقت بأهل المدينة هو خيانة بني حارثة الذين أدخلوا قوات الشاميين من خلف أهل المدينة([6])، في لحظةٍ كان فيها عبد الله بن حنظلة يستند إلى بعض أبنائه يغط في النوم، فنبهه ابنه، فلما رأى ما صنع بنو حارثة بأهل المدينة، قدّم ابنه الأكبر حتى قُتل، وظل يقدم أبناءه واحداً تلو الآخر، حتى قُتلوا جميعاً، وكان هو آخرهم استشهاداً([7])، ويروي خليفة بما يؤكد أن مسلم بن عقبة دخل المدينة، وأنه " دعا الناس إلى البيعة على أنهم خَوَل([8]) ليزيد بن معاوية، يحكم في أهليهم ودمائهم وأموالهم ما شاء "([9])

واللافت للانتباه أن خليفة بن خياط قد روى رواية تومئ إلى الوحشية التي عامل فيها مسلمُ بن عقبة عبدَ الله بن زمعة، وكان من الأصدقاء الحميمين ليزيد بن معاوية، فقال له: " بايع على أنك خَوَل لأمير المؤمنين، يحكم في دمك وأهلك ومالك، قال: أبايعك على أني ابن عم أمير المؤمنين، يحكم في دمي وأهلي ومالي، فقال: اضربوا عنقه، فوثب مروان فضمه إليه، وقال: يبايعك على ما أحببت، قال: والله لا أقيلها إياه أبداً، وقال: إن تنحى، وإلا فاقتلوهما جميعاً، فتركه مروان، فضربت عنق ابن زمعة "([10])، ثم جاءوا إليه بيزيد بن عبد الله بن زمعة، فقال له: بايع،

---

(1) البلاذري، أنساب، ج5، ص342.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص460.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص484.

(4) تاريخ، ص238.

(5) المصدر نفسه، ص238.

(6) المصدر نفسه، ص238.

(7) المصدر نفسه، ص238.

(8) خَوَل الرجل: حشمه، ومفرده: خائل، وقد يكون الخَوَل واحداً، وهو اسم يقع على العبد والأمة، والخَوَل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء وهو مما جاء شاذاً عن القياس. ابن منظور، لسان، ج11، ص224- 225.

(9) تاريخ، ص238- 239.

(10) المصدر نفسه، ص239.

فقال: أبايع على كتاب الله وسنة نبيه، فأمر بقتله([1])، بينما كان المشهد الثاني يتعلق بالرواية التي ذكرها خليفة بشأن لجوء الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري إلى غار في جبل، فلحق به رجل من أهل الشام، فلما وقف على باب الغار، قال: " اخرج إليَّ، قال: لا! وإن تدخل عليَّ أقتلك، فدخل الشامي، فوضع أبو سعيد الخدري السيف وقال: بوء بإثمي وإثمك، وكن من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين، فقال أبو سعيد الخدري: أنت!، قال: نعم! قال: فاستغفر لي، قال: غفر الله لك "([2])، ثم ختم خليفة بن خياط بذكر أسماء القتلى الذين لقوا حتفهم في وقعة الحرة([3])، يقول ابن عبد ربه: " كان جميع من قُتِل يوم الحرةِ من قريش والأنصار ثلثمائة رجل وستة رجال، ومن الموالي وغيرهم أضعاف هؤلاء "([4])، ووافقه على ذلك الذهبي([5])، وابن العماد([6])، أما ابن جرير الطبري فقد قال: " ولما فرغ مسلم بن عُقْبة من قتال أهل المدينة، وإنهاب جندهِ أموالهم ثلاثاً، شَخَص بمن معه من الجند متوجهاً إلى مكة "([7])، ووافقه على ذلك ابن حَبَّان الذي أكّد وقوع هذا النهب والاستباحة، فيقول: " فسار بهم مسلم حتى نزل المدينة، فقاتلهم فهزمهم، واستباح المدينة ثلاثاً نهباً وقتلاً "([8])

أما ابن كثير فقد شدد على مصداقية حدوث الواقعة، بل ويلقي باللائمة على يزيد نفسه، فيقول: " وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير، فإنه وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه، فعاقبه الله بنقيض قصده، فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر "([9])، بينما ألفينا ابن حجر العسقلاني يشير إلى واقعة استباحة المدينة ثلاثة أيام نهباً وقتلاً، فيقول: " وقُتِل منهم خلق كثير من الصحابة وأبنائهم، ومن أكابر التابعين وفضلائهم، واستباحها ثلاثة أيام نهباً وقتلاً، ثم

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص239.

(2) المصدر نفسه، ص239. البلاذري، أنساب، ج5، ص345. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص138- 139. الطبري، تاريخ، ج5، ص491. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص15. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص459.

(3) تاريخ، ص240- 250.

(4) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص139.

(5) حيث يقول: " فقُتِل من أولاد المهاجرين والأنصار ثلاث مئة وست أنفس ". العبر، ج1، ص50.

(6) حيث يقول: " فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ثلثمائة وستة أنفس ". شذرات، ج1، ص283.

(7) تاريخ، ج5، ص496. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص16.

(8) مشاهير، ص26.

(9) البداية، ج11، ص627.

بايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد، ومن امتنع قتله "[1]، وفي موضع آخر يقول: " قلت: يوم الحرة قتل فيه من الأنصار من لا يحصى عدده، ونهبت المدينة الشريفة، وبذل فيها السيف ثلاثة أيام، وكان ذلك في أيام يزيد بن معاوية "[2]، وما يعزز هذه النظرة قيام خليفة بن خياط – وعلى غير عادته – باستخدام لفظة " لا رحمه الله ولعنه "[3] بحق مسلم بن عقبة، ما يفيد بأنه قد اطلع على الأهوال التي ارتكبها مسلم بن عقبة بحق أهل المدينة، فضلاً عن أنه يستنكرها أشد استنكار، على الرغم من أن يوليوس فلهوزن قد شكك في الروايات التي تتحدث عن استباحة مسلم بن عقبة للمدينة، والسماح لنهبها من قبل جنوده، حيث يقول قاصداً مسلم بن عقبة: " بل إن من المشكوك فيه أن يكون بعد انتصاره قد أنهب المدينة للجند ثلاثة أيام "[4]

---

(1) لسان، ج8، ص506.

(2) فتح، ج3، ص211.

(3) تاريخ، ص254.

(4) تاريخ، ص157.

حرق الكعبة:

بعد أن أنْهى مسلم بن عقبة مهمته القتالية في المدينة، استخلف عليها رَوْح بن زِنْباع والياً عليها([1])، ثم توجه بمن معه من الجيوش صوب مكة المكرمة، فلما نزل في منطقة يقال لها المشلَّل([2])، وقيل: ثنية هَرْشى([3]) ألمَّت به وعكة صحية، وذلك في سنة أربع وستين، ولما شعر بدنو أجله، بعث إلى رؤوس الأجناد، وقال لهم:

" إن أمير المؤمنين عهد إليّ إن حدث بي حدث الموت، أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني، والله لو كان الأمر إليّ ما فعلت، ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت "([4])، ولقد اهتم خليفة بالحدث المتعلق بوفاة مسلم بن عقبة، فقال في أحداث سنة أربع وستين: " فيها مات مسلم بن عقبة المري "([5])، كما حاول خليفة أن يسلط الضوء على لحظات انتقال السلطة من مسلم بن عقبة إلى الحصين بن نمير، فبعد إشارته إلى أن مسلم بن عقبة " عرف أن الموت قد نزل به، دعا حصين بن نمير الكندي "([6])، روى أنه قال له:

" قد دعوتك فما أدري أستخلفك على الجيش، أو أقدمك فاضرب عنقك؟! قال: أصلحك الله! سهمك فارم بي حيث شئت، قال: إنك أعرابي جلف جاف، وإن هذا الحي من قريش لم يمكنهم أحد قط من أذنيه إلا غلبوه على رأيه، فسر بهذا الجيش، فإذا لقيت القوم، فإياك أن تمكنهم من أذنيك، لا يكونن إلا الوِقاف([7])، ثم الثِّقاف([8])، ثم الانصراف "([9])

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص496. ابن كثير، البداية، ج11، ص633. سالم، تاريخ، ص388.

(2) المُشَلَّل: هو جبل يهبط منه إلى منطقة قديد من جهة البحر. الحموي، معجم، ج5، ص136.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص496. ابن كثير، البداية، ج11، ص633. وثنية هَرْشى: هي هضبة على طريق المدينة إلى مكة، بالقرب من الجحفة، من وقف عليها رأى البحر. الحموي، معجم، ج5، ص397- 398.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص496- 497. ابن كثير، البداية، ج11، ص633.

(5) تاريخ، ص254.

(6) المصدر نفسه، ص254.

(7) الوقاف: أي الموافقة في الحرب. ابن منظور، لسان، ج9، ص339.

(8) الثِّقاف: ما تُقَوَّم به الرماح، والمقصود هنا:أن يسوّي عوج أهل المدينة، والنِّقاف: المناجزة بالسيوف. ابن منظور، لسان، ج9، ص20، 339.

(9) تاريخ، ص254- 255.

وكان يزيد بن معاوية قد أرسل النعمان بن بشير([1]) وهمام بن قبيصة النميري إلى عبد الله ابن الزبير يعرضان عليه بيعة يزيد فأبى([2])، فخرج الحصين بن نمير بالجيش بعد وفاة مسلم بن عقبة ناحية مكة، حيث يقيم ابن الزبير مع أنصاره([3])، وانضم إلى ابن الزبير جماعات من الناس كانت قد قدمت من المدينة، وكذلك فعل الخارجي نَجْدة بن عامر، حيث جاء مع ثلة من أهل اليمامة، وذلك " نصرةً للبيت، وذبّاً عنه إذ تعوذ به "([4])، كما وقف بجانبه المختار بن أبي عبيد الثقفي، ثم تركه، واستقر في العراق([5])، ولما وصل جيشُ أهل الشام مكةَ المكرمة، استعرت المبارزات والمعارك بين الجانبين، حتى انقضى بقية المحرم وصفر كله([6])، فلما مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، رمى أهل الشام البيت بالمنجانيق([7])، وحاصروا ابن الزبير أربعاً وستين يوماً([8])، حتى جاءهم نبأ موت يزيد([9])، وبعيداً عن كل هذه التفاصيل، يلاحَظ أن خليفة بن خياط قد انتقل بعد أن ذكر وصية مسلم بن عقبة إلى نائبه الحصين بن نمير، إلى الحديث عن مسير الحصين من المدينة إلى مكة، فقال: " فمضى حصين بن نمير بجيشه ذلك، فلم يزل جيشه محاصراً لأهل مكة حتى هلك يزيد "([10])، ثم أشار إلى أن عبد الله بن الزبير قد علم بموت يزيد بن معاوية قبل أهل الشام، حيث نادى عليهم: " علام تقاتلون وقد مات صاحبكم؟! قالوا: نقاتل لخليفته، قال: فقد هلك خليفته الذي استخلف، قالوا: نقاتل لمن استخلف بعده، قال: إنه لم يعهد إلى أحد، قال حصين: إن يكن ما تقول حقاً، فما أسرع الخبر "([11])، ولم يصدق

---

(1) أول مولود ولد للأنصار بالمدينة بعد الهجرة، وذلك في سنة ثنتين للهجرة، حيث حنّكه النبي صلى الله عليه وسلم، وبشرها بأنه سيعيش حميداً، ويقتل شهيداً، ويدخل الجنة، وهو أخ لعبد الله بن حنظلة لأمه عَمْرة بنت رَواحة، أخت عبد الله بن رواحة، وهو الذي رد آل الرسول إلى المدينة بعد موقعة كربلاء، قتل في أول سنة أربع وستين. ابن سعد، الطبقات، ج8، ص176. ابن أبي خيثمة، التاريخ، ج1، ص388. ابن خياط، الطبقات، ص94. ابن كثير، البداية، ج11، ص616، 678- 679.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص252.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص497.

(4) البلاذري، أنساب، ج5، ص373. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص57. ابن كثير، البداية، ج11، ص634. خماش، الشام، ص158.

(5) البلاذري، أنساب، ج5، ص373.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص463- 464. ابن كثير، البداية، ج11، ص634.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص464. ابن كثير، البداية، ج11، ص634.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص498. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص58.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص498.

(10) تاريخ، ص255.

(11) المصدر نفسه، ص255.

الشاميون هذا القول، وبقوا على مقاتلتهم للزبير، حتى وفد عليهم ثابت بن قيس بن المنقَّع، وأخبرهم بالأمر([1])، وقيل: إن الحصار استمر بعد موت يزيد أربعين ليلةً([2])، وكان ممن قتل أثناء هذا الحصار: المنذر بن الزبير بن العوام، والزبير بن المنذر، وأبو بكر بن المنذر بن الزبير، والزبير بن المنذر، والزبير بن المقداد بن الأسود بن العوام، وعامر بن عروة بن الزبير، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وزيد بن عبد الرحمن بن عوف، والمِسْوَر بن مخرمة([3])، بينما اكتفى خليفة بن خياط بالقول: " وفي الحصار قُتل المسور بن مخرمة، ومات مصعب بن عبد الرحمن بن عوف "([4])

أما فيما يتعلق بحرق الكعبة، فلقد جاء في الصحيح ما يشير إلى وقوع هذه الواقعة، حيث قال مسلم في صحيحه: " حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ، حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ، يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّئَهُمْ أَوْ يُحَرِّبَهُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ "([5])

ويبدو للباحث أن الآراء قد تشاجرت بشأن السبب الذي كان يكمن وراء حريق الكعبة، فقد روى خليفة بن خياط ما يفيد أن رجلاً من أهل الشام هو الذي تسبب في الحريق، حيث جاء فيها: " اتخذ ابن الزبير المسجد حصناً، فكانت فيه الفساطيط والخيام، فحرق رجل من أهل الشام باب بني جمح، ففشى الحريق حتى أخذ في باب الكعبة فاحترقت "([6])، فأخذ ابن الزبير يقول: " يا رب يا رب، لو علمت أن هذا كائن، يا رب يا رب، قد رقَّت حشوة الكعبة، وضعف بناؤها، حتى إن الطير لتقع عليها، فتتناثر حجارتها "([7])، ولم يروِ خليفة أي رواية تفيد أن غير أهل الشام هم الذين تسببوا في اندلاع الحريق في الكعبة، بل العكس هو الصحيح، فَتَحْتَ عنوان حصار الكعبة، قال خليفة دون أن يروي عن أحد: " ونصب حصين المجانيق على الكعبة وحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين "([8])، وكان قبل ذلك قد أورد هذا الخبر بصيغة المبني للمجهول، حيث جاء فيها:

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص23. ابن كثير، البداية، ج11، ص636.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص501. ابن كثير، البداية، ج11، ص635.

(3) البلاذري، أنساب، ج5، ص371.

(4) تاريخ، ص255.

(5) ج2، ص970.

(6) تاريخ، ص252.

(7) المصدر نفسه، ص252.

(8) المصدر نفسه، ص255.

" وحُرقت الكعبة يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الأول، سنة أربع وستين "([1])، على الرغم من أنه قد جاء في تاريخ خليفة، في سياق الحديث عن أحداث سنة أربع وستين، قوله: " وفيها أُحرقت الكعبة يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر "([2])

أما ابن قتيبة فقد تحدث عن حريق الكعبة بصيغة المبني للمجهول أيضاً، دون أن يذكر سبب ذلك، أو الجهة التي تسببت في حدوثه([3])، في حين أن البلاذري روى رواية تشير إلى أن سبب احتراقها ينحصر في أن رجلاً من أصحاب ابن الزبير يقال له مسلم، أخذ ناراً في ليفةٍ على رأس رمح في يوم ريح، فطارت شررة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها([4])، وأخرى تفيد بأن جُرَذاً جرَّ فتيلة فيها نار، فسقطت في متاع بعض من حول الكعبة فاحترقت، وهاجت ريح حملت الشرر إلى الأستار([5])، أما الطبري فقد روى أن أهل مكة كانوا يوقدون النار حول الكعبة، فحملت الريح شرارة إلى ثياب الكعبة، الأمر الذي أفضى إلى ذلك الحريق([6])، كما روى الطبري عن عروة بن أُذَيْنة أنه قدم إلى مكة بصحبة أمه، في اليوم الذي احترقت فيه الكعبة، فرأى النار قد خلصت إليها، وأن النار تسببت في تجريد الكعبة من الحرير الذي يحيط بها، وأن أجزاء عديدة من بنائها قد تصدع بشكل كبير، فسأل عروة بن أذينة: " ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير، قالوا: هذا احترقت بسببه، أخذ قبساً في رأس رمح له، فطيّرت الريح به، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود "([7])، بيد أن ابن مسكويه روى أن بني أمية " نصبوا المجانيق على البيت، ورموه بالحجارة والنار "([8])، ثم يسرد رواية أخرى، فيقول: " وقد قيل: إنما احترقت، لأن أصحاب ابن الزبير كانوا يوقدون حولها، فطارت إليها شررة ليلة ريح، فاحترقت "([9])

أما ابن الأثير فيرى أن أهل الشام " رموا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار "([10])، وإن كان ابن الأثير قد روى وجهة نظر أخرى، فقال: " وقيل: إن الكعبة احترقت من نار كان يوقدها

---

(1) تاريخ، ص254.

(2) المصدر نفسه، ص253. من الملاحَظ أن خليفة روى ثلاثة روايات متعارضة في تاريخ حدوث حريق الكعبة، الأمر الذي يومئ إلى وجود ضعف في الروايات المذكورة، وذلك بالنظر إلى التعارض الحاصل فيهن.

(3) المعارف، ص351.

(4) البلاذري، أنساب، ج5، ص369.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص369.

(6) تاريخ، ج5، ص498.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص498- 499.

(8) تجارب، ج2، ص57.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص57.

(10) الكامل، ج3، ص464. الخربوطلي، تاريخ، ص160.

أصحاب عبد الله حول الكعبة، وأقبلت شرارة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت "([1])، لكنه يستطرد فيقول:

" والأول أصح، لأن البخاري قد ذكر في صحيحه أن ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة، يحرضهم على أهل الشام "([2])، أما يوسف المزي، فقد قال في سياق حديثه عن حصين بن نمير: " وكان على الجيش الذين قاتلوا عبد الله بن الزبير بمكة، ويقال: إنه أحرق الكعبة، والله أعلم "([3])، أما الذهبي، فيقول في معرض حديثه عن عبد الله بن الزبير: " فحاصره أصحاب يزيد، ونصبوا المنجنيق على الكعبة، ورموها بالنار، واحترق فيها مما احترق قرنا كبش إسماعيل "([4])

أما القرماني، فيرى أن الكعبة احترقت من شرارة صدرت عن المنجنيق الذي نصبه الأمويون على جبل أبي قُبَيْس([5])، فاحترقت الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى به إسماعيل([6])، لكن عمر أبو النصر يرى بأن سبب الحريق يكمن في أن بني أمية " رموا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار "([7])، في حين يرجح ضياء الدين الريس أن أحد أنصار ابن الزبير كان وراء اشتعال النار في الكعبة، فيقول: " وقد اختلفوا في السبب الذي أدى إلى هذا الحادث، ولكن الأرجح أنه حدث بسبب أن رجلاً من أصحاب ابن الزبير أخذ قبساً في رأس رمح – وكانوا يوقدون حول الكعبة – فطيرت الريح شرارة منه، فوقعت على أستار الكعبة، فأحرقتها، وأحرقت خشب البيت "([8])، ويخالف علي حسني الخربوطلي هذه النظرة، فيقول:

" ونحن نميل إلى الرأي القائل أن قذف الكعبة بأحجار المنجنيق قد نتج عنه اشتعال النيران بالكعبة "([9])، ووافقه على ذلك السيد عبد العزيز سالم الذي جزم بأن الأمويين رموا الكعبة بالنار والنفط والكتان([10])، ويبرّئ يوسف العش ساحةَ الأمويين من تهمة حرق الكعبة، حيث يقول: " وكان أنْ نصب أهل الشام المجانيق، وأخذوا يضربون بها الكعبة، فتصدع بعض بنيانها، وحدث

---

(1) الكامل، ج3، ص464.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص464.

(3) تهذيب، ج6، ص548.

(4) العبر، ج1، ص51.

(5) جبل يشرف على الصفا، وكان يسمَّى في الجاهلية الأمين، وسمي أبو قبيس، لأن أول من قام للبناء فيه رجل يقال له أبو قبيس. البكري، المسالك، ج1، ص312- 313.

(6) أخبار، ج2، ص12.

(7) عبد الملك، ص77.

(8) عبد الملك، ص22.

(9) تاريخ، ص161.

(10) تاريخ، ص388.

أن رجلاً من أصحاب ابن الزبير أشعل فتيلاً من النار، فوقع ذلك الفتيل على ستر من أستار الكعبة فحرقه، وأحدث ذلك الحريق، واتُّهم به أهل الشام "([1])، وتابعه في ذلك حمدي شاهين، الذي يرى أن الروايات تكاثفت على طريق تبرئة بني أمية من " تهمة حرق الكعبة "([2])، ويومئ إلى احتمال أن يكون ابن الزبير استغل هذه الواقعة " لإحراج خصومه من الأمويين، واتهامهم بها "([3])

ولما مات يزيد، واستتبت الأمور لما فيه صالح ابن الزبير، أخذ عبد الله بن الزبير يستعد لبناء الكعبة، سيما وأن حيطانها قد مالت من أثر حجارة المنجنيق([4])، بيد أن ابن الزبير تركها على حالها، وهو إنما " يشنع بذلك على أهل الشام "([5])، حتى أنه انتظر قدوم الحجيج إلى بلد الله الحرام بغرض " أَنْ يُجَرِّئَهُمْ أَوْ يُحَرِّبَهُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ "([6])، وما إن انتهى موسم الحج، حتى شرع ابن الزبير في هدم البناء " حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الأَرْضَ "([7])، بعد أن استدعى لهذه المهمة بنّائين من الفرس والروم([8])، وأدخل في الكعبة " نحواً من سبعة أذرع من الحِجْر "([9])، وحدث هذا كله في سنة أربع وستين، كما ذكر خليفة بن خياط([10])، وقيل: خمس وستين([11])، و" ظلت الكعبة كما بناها ابن الزبير عشر سنوات "([12])، فلما دخل الحجاج مكة بعد قتل ابن الزبير، هدم ما بناه ابن الزبير، وجعلها على ما هي عليه الآن([13])، وذلك بعد أن سدّ الباب الغربي، ورفع باب الكعبة إلى ما كان عليه الحال في الجاهلية([14])

---

(1) الدولة، ص177.

(2) الدولة، ص350.

(3) المرجع نفسه، ص350.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص30. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص24.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص24. المقريزي، الذهب، ص55.

(6) مسلم، صحيح، ج2، ص970.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص970. الطبري، تاريخ، ج5، ص582. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص30.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص23.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص261.

(10) المصدر نفسه، ص261. الذهبي، تاريخ، ج5، ص39- 40.

(11) الدينوري، الأخبار، ص424. الخضري، الدولة، ص313.

(12) أبو النصر، عبد الملك، ص137.

(13) المقريزي، الذهب، ص55.

(14) أبو النصر، عبد الملك، ص137- 138.

مؤتمر الجابِية([1]):

بعد عودة جيش أهل الشام بقيادة الحصين بن نمير من مكة إلى الشام، بايع الناسُ عبدَ الله ابن الزبير، فولّى المدينةَ عبيدةَ بن الزبير، وعبدَ الرحمن بن جَحْدَم الفِهْري مصر، ثم عمد إلى إخراج الأُمويين وعلى رأسهم مروان إلى الشام، وما إن وصل الحصين بن نمير بالجيش الشامي إلى الشام، حتى أخبر مروان بن الحكم بالأوضاع من خلفه، وأنه دعا ابن الزبير إلى البيعة فرفض، ثم قال للأمويين: " نراكم في اختلاط شديد، فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم، فتكون فتنة عمياء صماء "([2])، وكان معاوية بن يزيد بن معاوية قد أمر فنودي بأهل الشام: الصلاة جامعة! فقام في الناس خطيباً، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

" أما بعد! فإني قد نظرتُ في أمركم فضعفت عنه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه، حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم "([3])، ثم دخل بيته ولم يخرج إلى الناس، حتى مات([4])، وقال بعض الناس: مات مسموماً([5])، وقيل: مطعوناً([6])، وهو ما اختاره خليفة ابن خياط، حينما تحدث عن أن المرض كان السبب في الوفاة([7])، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وقيل: عشرين سنة، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكانت مدة خلافته قريباً من شهر ونصف، ويقال: أربعين يوماً([8])

وكان عبيد الله بن زياد، قد أخذ البيعة من أهل البصرة، فكان " يأمر بالأمر فلا ينفذ، ويرى الرأي فيرد عليه رأيه "([9])، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي، فأجاره، ومكث عبيد الله بن زياد تسعين يوماً بعد موت يزيد([10])، ثم انطلق إلى الشام، وكان مروان بن الحكم يرى ضرورة التوجه

---

(1) الجابية: قرية من أعمال دمشق، وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية، والجابية لغةً: هو الحوض الذي يُجْبى فيه الماء للإبل. الحموي، معجم، ج2، ص91- 92.

([2]) الطبري، تاريخ، ج5، ص530.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص530- 531.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص531.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص531.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص531.

(7) تاريخ، ص255.

(8) المصدر نفسه، ص255.

(9) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص25.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص525.

إلى مكة، والمسارعة إلى البيعة لابن الزبير، فلما قدم عبيد الله بن زياد من العراق – وكان على علمٍ بما ينوي مروان بن الحكم فعله – توجه إليه، وقال له:
" استحييتُ لك مما تريد، أنت كبير قريش وسيدها، تصنع ما تصنعه "([1])، فقال له مروان: " ما فات شيءٌ بعدُ "([2])، فقام مروان من مجلسه وقام معه بنو أمية ومواليهم، فسار بهم جميعاً حتى دخلوا دمشق، فوجد فيها الضحاك بن قيس قد بايعه الدمشقيون على " أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع أمر أمة محمد "([3])

ثار زُفَر بن الحارث الكلابيّ بقِنَّسرين، وبايع عبد الله بن الزبير، كما بايع الصحابي بحمص لابن الزبير، أما حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي([4]) فكان لا يهوى إلا بني أمية، فقد دعا رَوْح بن زِنْباع، وقال له: " إني مستخلفك على فلسطين "([5])، وتوجه حسان ابن مالك إلى الأردن، فثار ناتل بن قيس على روح بن زنباع، وأخرجه من فلسطين، ثم بايع عبدَ الله بن الزبير، وانقسم الناس إلى فريقين: الفريق الأول وعليه حسان بن مالك بالأردن " يهوى هَوَى بني أمية "([6])، وفريق عليهم الضحاك بن قيس الفهري بدمشق " يهوى هَوَى عبد الله بن الزبير "([7])

وكتب حسان بن مالك كتاباً إلى الضحاك بن قيس " يعظِّم فيه حق بني أمية، ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده، وصنيعهم إليه، ويدعوه إلى طاعتهم، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه، ويذكر أنه منافق، قد خلع خليفتين "([8])، لكن دون أن يحقق هذا الكتاب جدواه([9])، واجتمع الناس بالجابية، بعد أن خلا الشام ستة أشهر من إمام، وتشاوروا في أمورهم،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص530. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص65. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص27. ابن كثير، البداية، ج11، ص669.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص530. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص65. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص27. ابن كثير، البداية، ج11، ص669. الدهاس، مروان، ص68.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص530. ابن كثير، البداية، ج11، ص668.

(4) وهو من أمراء معاوية في صفين، وسيد أهل فلسطين، وعامل معاوية بن أبي سفيان عليها، ثم ليزيد ابن معاوية من بعده. الطبري، تاريخ، ج5، ص531. الذهبي، سير، ج3، ص537.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص531.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص531.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص531.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص532. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص66.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص532– 533.

وصلى حسان بن مالك أربعين يوماً([1])، ونزل الضحاك بن قيس بمَرْج راهط([2])، و" أظهر البيعة لابن الزبير، وخلع بني أمية، وبايعه على ذلك جُلّ أهل دمشق "([3])، وكانت ميول الناس ومشاربهم في الجابية متباينة، فهوى مالك بن هبيرة السكوني مع بني يزيد ابن معاوية: خالد وعبد الله، وأما الحصين بن نمير فكان هواه مع مروان بن الحكم([4])، وفي الأخير اجتمع الناس على " البيعة لمروان، ثم لخالد بن يزيد([5]) من بعده، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد، على أن إمارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص، وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية "([6])، وذلك في سنة أربع وستين([7])

ويلاحظ أن خليفة لم يولِ مؤتمر الجابية اهتماماً كبيراً، حيث أنه اكتفى بالإشارة إلى النقاط التالية فحسب:

- أن الناس بايعوا مروان بن الحكم في النصف من ذي القعدة سنة أربع وستين.
- أن أهل الشام بايعوا عبد الله بن الزبير باستثناء أهل الجابية، ومن كان من بني أمية، ومواليهم، وكذلك ابن زياد.
- أن من حضر مؤتمر الجابية قد بايعوا مروان بن الحكم، ومن بعده لخالد بن يزيد بن معاوية([8])

---

(1) الصفدي، تحفة، ج1، ص108. ابن كثير، البداية، ج11، ص670. الريس، النظريات، ص202. العش، الدولة، ص189. الريس، عبد الملك، ص47- 48.

(2) مرج راهط: مكان يقع بنواحي دمشق، وتحديداً في غوطة دمشق، وهو من أشهر المروج، الحموي، معجم، ج5، ص100- 101، ج3، ص21.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص535.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص536. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص66. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص479.

(5) يقول الدكتور علي عبد الله الدفاع: " إن خالد بن يزيد بن معاوية، كان بإمكانه أن يتولى الحكم، ولكن بطريقة العنف التي يمكن أن تقود إلى تفكك الدولة الإسلامية، فبحكمته ترك الحكم، وانصرف إلى طلب العلم، حيث خلد اسمه بين من أسس العلوم التطبيقية في العالم العربي والإسلامي، ويعده كثير من المؤرخين من عباقرة العالم الإسلامي، بل من الذين وضعوا النظريات الهامة، والإضافات المبتكرة في حقلي الطب والكيمياء ". حكيم، ص160.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص537.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص534.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص259.

ولما علم مروان بأمر الضحاك في مرج راهط، جعل على ميمنته " عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد "([1])، وكان في ستة آلاف من الرجال([2])، وقيل: ثلاثة عشر ألفاً([3])، وهو العدد الذي اختاره خليفة بن خياط([4])، وجعل الضحاك على ميمنته زياد ابن عمرو بن معاوية العُقَيْلي، وعلى ميسرته رجل آخر([5])، وقيل إن الذي كان على ميسرته زكريا بن شمر الهلالي([6])، وكان الضحاك في ثلاثين ألفاً([7])، وروى خليفة بن خياط ما يفيد بأنهم كانوا في ستين ألفاً([8])، وكان يزيد ابن أبي النمس الغساني غائباً عن مؤتمر الجابية، حيث كان مختبئاً في دمشق، ولما علم بنزول مروان بن الحكم مرج راهط، أخرج عامل الضحاك من دمشق، وسيطر على خزائنها وبيت مالها، وبايع مروان، و" أمده بالأموال والرجال والسلاح، فكان أول فتح فُتح على بني أمية "([9])

وتقاتل الفريقان في مرج راهط قتالاً استمر – حسب رواية خليفة بن خياط – عشرين يوماً، وذلك في سنة أربع وستين([10])، وقيل: في سنة خمس وستين([11])، واستبسل الضحاك ورفاقه في القتال، ويروي خليفة حواراً دار بين ابن زياد مروان، قال فيه ابن زياد: " إن الضحاك في فرسان قيس، ولن ننال منهم ما نريد إلا بمكيدة، فسلهم الموادعة، واكفف عن القتال، وأعدّ الخيل، فإذا كفوا فارمهم بها "([12])، ويتابع خليفة في سرد الحدث، حيث أنه " مشت بينهم السفراء، فكفَّ الضحاك عن القتال، فشد عليهم مروان في الخيل، ففزعوا إلى رايتهم من غير تعبئة "([13])، وهكذا

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص537.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص539.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج7، ص45. الصفدي، تحفة، ج1، ص110. ابن كثير، البداية، ج11، ص675.

(4) تاريخ، ص259.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص537.

(6) ابن كثير، البداية، ج11، ص675.

(7) المصدر نفسه، ج11، ص675.

(8) تاريخ، ص259.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص537. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص480. بيضون، تاريخ، ص170. فلهوزن، تاريخ، ص170. علي، تاريخ، ص234،185. الدهاس، مروان، ص80.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص259. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481. الصفدي، تحفة، ج1، ص111. شاهين، الدولة، ص345.

(11) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481. المزي، تهذيب، ج29، ص417. ابن كثير، البداية، ج11، ص672. محمد، تاريخ، ص211.

(12) ابن خياط، تاريخ، ص259– 260.

(13) المصدر نفسه، ص260.

كانت الغلبة في نهاية الأمر إلى مروان بن الحكم، وقُتل الضحاك بن قيس([1])، فلما بلغ خبر الهزيمة إلى النعمان بن بشير وهو على حِمص، خرج في الليل هارباً، وبرفقته زوجته نائلة بنت عمارة الكلبية وولده، وذلك بعد أن تمَرْوَن أهل حِمْص([2])، إلا أن عمرو بن الخَلِيّ([3]) أدركه فقتله(4)، ثم حزّ رأسه، وجاء بها إلى مروان(5)، فلما رآه مروان بكى على نفسه، وقال: " أبعدما كبرتُ وضعفتُ، صرتُ إلى أنْ أقتل الناس بالسيوف على الملك "([6])، أما زُفَر بن الحارث، فهرب من قِنَّسرين، ولحق بقَرْقِيسيا([7])، وعليها عِياض الجُرَشي([8]) من أيام يزيد بن معاوية، فمنعه عياضٌ من دخولها، فلما دخلها زفر بن الحارث، أخرج عياضاً منها، وتحصن بها([9])، أما ناتل بن قيس والي فلسطين، فولى هارباً إلى مكة حيث يقيم عبد الله بن الزبير، وذلك كله بعد أن استقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم([10])

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص537. ابن كثير، البداية، ج11، ص675.

(2) ابن كثير، البداية، ج11، ص681.

(3) وقيل: عمرو بن الجلي الكلاعي. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص539. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص67. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481. ابن كثير، البداية، ج11، ص679.

(5) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص67.

(6) ابن كثير، البداية، ج11، ص676.

(7) قَرْقِيسياء: بلدة تقع على مصب الخابور في الفرات، وهي في " مثلث بين الخابور والفرات "، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري، في سنة تسع عشرة. الحموي، معجم، ج4، ص328- 329.

(8) وقيل: عياض الحرسي. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص539- 540. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص540. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص481. ابن كثير، البداية، ج11، ص676.

الفصل الثالث

نظرة خليفة لحركات المعارضة في خلافة بني أمية

عاصرت الدولةَ الأموية العديدُ من حركات المعارضة داخل المجتمع الإسلامي، والتي لجأت في غالبها إلى اتخاذ القوة شعاراً لها ضد الحكومة المركزية في بلاد الشام، حتى أن بعضها بلغ من القوة إلى الحد الذي كاد أن يمكّنها من النجاح في الإطاحة بالحكم الأموي، ويمكن القول أن حركات المعارضة تلك، لم تكن من داخل البيت الأموي بل من خارجه، باستثناء التمرد الذي قاده عمرو بن سعيد بن العاص ضد عبد الملك بن مروان، ولقد بدا واضحاً من خلال استعراض خليفة لهذه الحركات أنه لم يصدر عنه ما يفيد بأنه تعاطف في عموم أمره مع أصحاب هذه الدعوات، فضلاً عن أنه لم يغفل عن ذكر ما تسببت به من فتن وأهوال، ومع ذلك، فقد أبدى خليفة قدراً عالياً من الموضوعية والحيدة أثناء تطرقه إلى تفاصيل تلكم الأحداث، وعليه يمكن إيجاز الحديث بشأن هذه الحركات على النحو التالي:

الخوارج:

ظهرت حركة الخوارج إبان العقود الأولى التي أعقبت وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وذلك في زَحْمة الصراع المحموم بين القوى السياسية آنذاك، وهم تحديداً تلكم الشريحة من الناس التي خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في معركة صِفِّين([1])، واعتبر علي المغربي أن الخوارج إنما هم" حزب سياسي ديني، قام في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فهموه، وهم لا يعدون أنفسهم خارجين عن الدين، بل خارجين من أجل الدين، ومن أجل إقامة شرع الله "([2])

ولقد أُطلق على الخوارج العديد من الألقاب والأسماء، فسموا بالخوارج لأنهم خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب، وإن كان بعض أنصار مذهبهم يزعم بأن اسم الخوارج مشتق من قوله تعالى:{ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ }([3])، وسموا حرورية لأنهم لم يرجعوا إلى الكوفة برفقة علي بن أبي طالب، ونزلوا بمنطقة حروراء، وسموا الشُّراة، لأنهم باعوا أنفسهم لله، وقالوا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة، مصداقاً لقوله

---

(1) معروف، قراءة، ص18. صِفِّين: موضع يقع على شاطئ الفرات بالقرب من الرقة، وذلك من الجانب الغربي الواقع بين الرقة وبالس، ودارت فيه معركة تاريخية بين الإمام علي بن أبي طالب في مائة وعشرين ألفاً، ومعاوية بن أبي سفيان في تسعين ألفاً، وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابياً من أهل بدر، بينما بلغت مدة الإقامة بصفين مائة يوم وعشرة أيام، جرت فيهن تسعون وقعة. الحموي، معجم، ج3، ص414- 415.

(2) الفرق، ص169.

(3) النساء، آية: 100.

تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ }([1])، وسموا محكِّمة، لأنهم أنكروا حكم الحكمين، عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وقالوا: لا حكم إلا لله([2])

وتجتمع آراء الخوارج على أمور، وتختلف على أخرى، لكن ما يجمع الخوارج هو " إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وصوّب الحكمين أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر "([3])، فضلاً عن " إكفار كل ذي ذنب ومعصية "([4])، عدا النَّجَدات من الخوارج فإنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة([5])، ولقد افترقت الخوارج إلى نحو عشرين فرقة، من أبرزها:

- **المحكِّمة:** وهم الذين يمنعون التحكيم ممن انحازوا إلى حروراء بعد رجوع علي بن أبي طالب من صفين إلى الكوفة، أما بشأن عددهم حينذاك، فقد روى خليفة بن خياط عن أبي عبيدة روايةً تفيد أن أهل حروراء لما خرجوا وعليهم شبث بن ربعي كانوا في عشرين ألفاً، وأن علياً حاجّهم فرجعوا([6])
- **الأزارقة:** وهم أتباع نافع بن الأزرق، ولم يكن لهم فرقة " أكثر عدداً، ولا أشد منهم شوكة "([7])، حيث خرجوا بفارس وكَرْمان([8]) أيام عبد الله بن الزبير([9])
- **النجدات:** وهم أتباع نَجْدة بن عامر الحنفي، وكان السبب في ظهورهم، أن جماعة منهم خالفوا نافع بن الأزرق فيما ذهب إليه من آراء ومعتقدات، فذهبوا إلى اليمامة، حيث قابلوا هناك نجدة بن عامر، وبايعوه، بعد أن أكفروا من قال بإمامة نافع([10])
- **الصُّفْرية:** وهم أتباع زياد بن الأصفر، وجملة أقوالهم شبيهة بقول نافع بن الأزرق، إذ إنهم يؤمنون أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أنهم لا يوافقون الأزارقة في قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، وكان عمران بن حطان من أمرائهم([11])

---

(1) البقرة، آية: 207.

(2) أمين، فجر، ص257. المغربي، الفرق، ص169- 170. الغصن، الخوارج، ص124- 131.

(3) البغدادي، الفرق، ص73.

(4) المصدر نفسه، ص81.

(5) المصدر نفسه، ص73.

(6) تاريخ، ص192.

(7) البغدادي، الفرق، ص82- 83.

(8) كَرْمان: ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى كثيرة، تقع فارس إلى الجهة الغربية منها، وخراسان شمالاً، ومُكْران شرقاً، وبحر فارس جنوباً، وتُشبَّه كرمان بمدينة البصرة في كثرة التمور والخيرات. الحموي، معجم، ج4، ص454- 456.

(9) القلقشندي، صبح، ج13، ص224.

(10) البغدادي، الفرق، ص87.

(11) المصدر نفسه، ص90- 91.

- **العجاردة:** وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد، الذي كان من أنصار عطية بن الأسود الحنفي، وانقسمت هذه الفرقة إلى عشر فرق، وكانوا لا يرون أموال مخالفيهم فيئاً، إلا بعد أن يُقْتَل صاحبه([1])، وزعم القلقشندي أنهم " ينكرون كون سورة يوسف من القرآن، ويقولون: إنما هي قصة من القصص "([2])
- **الإباضِيّة:** وهم أتباع عبد الله بن إباض، الذي يؤمن بأن كفار هذه الأمة من مخالفيهم بريئون من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا بمؤمنين ولا بمشركين، لكنهم كفار([3])، ولم يستحلوا كل أموالهم، إنما استحلوا الخيل والسلاح، " فأما الذهب والفضة، فإنهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة "([4])

ولقد اهتم خليفة بن خياط بذكر أهم المحطات التاريخية التي مرت بها حركة الخوارج، فضلاً عن أنه استعرض عمليات الخروج التي قاموا بها على السلطة الحاكمة سنة بسنة، وذلك منذ خلافة علي بن أبي طالب، ولغاية آخر خلفاء الأمويين:

تناول خليفة بن خياط بالحديث معركة النهروان، وجهود علي بن أبي طالب في كسر شوكتهم والقضاء على أخطارهم([5])، ففي سنة تسع وثلاثين أشار إلى خروج أبي مريم بالقرب من الفرات، فما كان من الإمام علي بن أبي طالب إلا أن أرسل إليه يحيى بن هانئ، ثم سار علي بنفسه إلى أبي مريم فقتله([6])

وفي سنة إحدى وأربعين خرج عبد الله بن أبي الحوساء بالنخيلة، فبعث إليه معاويةُ بن أبي سفيان خالدَ بن عرفطة العذري في جيش من أهل الكوفة، فقتل ابن أبي الحوساء في نفس السنة([7])، ثم خرج حوثرة بن ذراع بعد مقتل ابن أبي الحوساء، فسرّح إليه معاويةُ عبدَ الله بن عوف بن أحمر فقتله([8])، وفي نفس السنة خرج سهم بن غالب ومعه الخطيم الباهلي واسمه زياد بن مالك بالقرب من جسر البصرة، فقتل الصحابي عبادة بن قرص الليثي، وسعد مولى قدامة ابن مظعون، فخرج إليهما عبدُ الله بن عامر فقاتلهما، ثم استأمن سهمٌ والخطيم فأمَّنهما([9])

---

(1) البغدادي، الفرق، ص93- 94. ابن حزم، الفصل، ج5، ص54.

(2) القلقشندي، صبح، ج13، ص225.

(3) البغدادي، الفرق، ص103.

(4) المصدر نفسه، ص103.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص197.

(6) المصدر نفسه، ص198.

(7) المصدر نفسه، ص203- 204.

(8) المصدر نفسه، ص204.

(9) المصدر نفسه، ص204.

وفي سنة تسع وأربعين خرج شبيب بن بجرة الأشجعي، إبان ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة، فأرسل إليه كثير بن شهاب الحارثي، فقتله بأذربيجان([1])، وفي السنة ذاتها خرج الخطيم الباهلي بالبصرة، فقتله زياد بن أبيه([2])

وفي سنة ثلاث وخمسين، أي في إمارة زياد بن أبيه على العراق، خرج قريب وزحّاف في سبعين رجلاً، فهاجموا رجلاً من بني ضبيعة يقال له: رؤبة بن المخبل فقتلوه، ودخلوا مسجد بني قُطَيعة([3]) فقتلوا أكثر من فيه، وكذا فعلوا بمن شهد مسجد المعاول([4])، حتى إذا وصلوا إلى رحبة بني علي، حتى خرج إليهم بنو علي فرموهم في النبال حتى أفنوهم([5])، وكان زياد بن أبيه قد بعث إلى بني علي قبل ذلك، فقال لهم: " لا عطيَّة لكم عندي إن نجوا "([6])، ولقد اشتد زياد بن أبيه بعد هذه الواقعة على الحرورية، حتى أمر سمرة بن جندب بقتلهم([7])

وفي ولاية عبيد الله بن زياد على العراق خرج مرداس بن أدية في أربعين رجلاً، فلم يقتل أحداً، ولم يقطع طريقاً، ولم ينهب مالاً، حتى بعث إليهم عبيدُ الله بن زياد جيشاً فقتلهم على شاطئ مَيْسان([8]) أجمعين([9])

وفي سنة أربع وستين خرج نجدة بن عامر باليمامة، وخرج نافع بن الأزرق بالبصرة، وذلك بعد وفاة يزيد بن معاوية، ورجوع جيش الحصين بن نمير عن حصار ابن الزبير، وقفوله إلى بلاد الشام([10])، وفي سنة ست وستين " حجَّ نجدة بن عامر، فوقف ابن الحنفية بأصحابه، ووقف نجدة بأصحابه، ووقف ابن الزبير بجماعة الناس "([11])، وفي سنة سبعين قتل أبو فديك نجدةَ بن عامر([12])، وأما ابن الأزرق الذي كان في خمسمائة من أنصاره، فقد قُتل في صراعه المسلح مع

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص209.

(2) المصدر نفسه، ص209.

(3) بنو قطيعة: بطن من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهم من العدنانية، ومنهم الصحابي الجليل حُذَيْفة بن اليمان. القلقشندي، نهاية، ص313، 359.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص219– 220. المعاول: بطن من الأزد. ابن سعد، الطبقات، ج9، ص252.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص220.

(6) المصدر نفسه، ص222.

(7) المصدر نفسه، ص222.

(8) مَيْسان: بلدة عظيمة مشهورة بكثرة قراها ونخلها، وتقع بين البصرة ومدينة واسط، وفيها قبر عزير النبي عليه السلام. الحموي، معجم، ج5، ص242– 243.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص256.

(10) المصدر نفسه، ص253.

(11) المصدر نفسه، ص263.

(12) المصدر نفسه، ص267.

ابن عبيس، فرأست الخوارج ابن الماحوز، وغلبوا على الأهواز وفارس([1])، وفي سنة ثمان وسبعين تمكن الحجاج من أن يبعث سفيان بن الأبرد الكلبي فقتل قَطَري بن الفجاءة الخارجي([2])

وفي سنة خمس وسبعين خرج داود بن النعمان وكان من أهل البحرين، حتى وصل منطقة يقال لها: مَوْقُوع([3])، فأخرج إليه والي البصرة الحكمُ بن أيوب الثقفي عبادَ بن حصين فقتله([4])

وفي سنة ست وسبعين خرج صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد، فوجه إليه محمدُ بن مروان بن الحكم عديَّ بن عدي بن عميرة الكندي، فكانت الهزيمة على جيش عدي، ثم أرسل محمدُ ابن مروان خالدَ بن عبد الله السلمي، واقتتلوا قتالاً شديداً، ما اضطر صالح لأن ينحاز إلى العراق، ثم توجه إليه الأشعث بن عميرة والتقوا بجُوخا([5])، ثم مات صالح في سنة ست وسبعين([6])، وخلفه شبيب بن يزيد الذي دخل الكوفة، وتبعته أمه غزالة التي دخلت مسجد الكوفة وقرأت وِرْدَها فيه، وصعدت المنبر، ثم خرج شبيب من الكوفة، فأرسل الحجاج إليه زائدة ابن قدامة الثقفي، فقُتل زائدة، ثم وجه إليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فلم يقاتله، ثم وجه إليه عثمان بن قطن الحارثي، فانهزم هو وأصحابه شر هزيمة([7])

وفي سنة سبع وسبعين وجه الحجاجُ عتّابَ بن ورقاء الرياحي لملاقاة شبيب، إلا أن الهزيمة لحقت بعتّاب، ثم أرسل الحجاجُ إليه الحارثَ بن معاوية بن أبي زرعة الثقفي، فقُتل الحارث وأصحابه، وفي أعقاب ذلك تقدم شبيب صوب الفرات، فنزل السَّبَخة([8])، وبنى فيها مسجداً، والحجاج مستتكف عن الخروج إليه طوال ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع أرسل الحجاجُ أبا الورد مولى بني نصر، فقتله شبيبٌ، ثم وجه إليه طهمان مولى عثمان، فقتله شبيبٌ، فما كان من خيار أمام الحجاج سوى أن يخرج بنفسه لشبيب، فاقتتلا قتالاً شديداً، حتى أخرجه الحجاج عن مسجده، وقتل أمه غزالة، ثم لحق حبيب بن عبد الرحمن في ثلاثة آلاف رجل كان الحجاج قد جهزهم له، وتقابلا في الأَنْبار، ثم أتى شبيب الأهواز، وبها محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقتله شبيبٌ، ثم توجه إلى كرمان، فأقام فيها نحواًُ من شهرين، ثم رجع إلى الأهواز، فأرسل الحجاجُ إليه حبيب بن

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص256– 257.

(2) المصدر نفسه، ص276.

(3) مَوْقُوع: ماء بناحية البصرة. الحموي، معجم، ج5، ص226.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص272.

(5) جُوخا: اسم نهر تقع عليه كورة واسعة في بغداد، وهي بين خانقين وخوزستان. الحموي، معجم، ج2، ص179.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص274.

(7) المصدر نفسه، ص274– 275.

(8) السَّبَخة: موضع مشهور بمدينة البصرة. الحموي، معجم، ج3، ص183.

عبد الرحمن وسفيان بن الأبرد، فلقيا شبيباً على جسر دُجَيْل([1])، واشتبك الفريقان، ولم يحجز بينهما إلى قدوم الليل، وفي غداة اليوم التالي للمعركة، خرج شبيب فلما صار على الجسر قُطع الجسر، وغرق شبيب([2])

وفي سنة تسع وسبعين، خرج الريان النكري بالبحرين، وكان عليها محمد بن صعصعة الكلابي، فهرب الوالي إلى الحجاج([3])، وفي سنة ثمانين أرسل الحجاجُ إلى الريان النكري يزيدَ بن أبي كبشة، وكان مع الريان امرأة يقال لها جيداء، فقاتلهما يزيد بن أبي كبشة حتى قتلهما، وقتل عامة من معه من الأصحاب([4])، ثم ولى الحجاج على البحرين في سنة ثمانين قطنَ ابن زياد بن الربيع الحارثي، ، فخرج عليه داود بن عامر بن الحارث، فما كان من قطن إلا أن قتل داود بن عامر الخارجي([5])

وفي سنة خمس عشرة ومائة خرج الحارث بن شريح، فاستولى على الجُوزجان([6]) ومَرْو([7])، فبعث هشامُ بن عبد الملك عاصمَ بن عبد الله بن يزيد الهلالي، واقتتل الفريقان، ثم تصالحا، على أن يقيم الحارث بن شريح ببَلْخ([8])، ثم يبعث رسولاً إلى هشام بن عبد الملك، ويقوم عاصم بنفس الأمر، فيبعث رسولاً إلى هشام بن عبد الملك، ثم جرى عزل عاصم بن عبد الله، وتعيين أسد بن عبد الله والياً على خُراسان، فما كان من الحارث بن شريح إلا أن قطع نهر بلخ،

---

(1) دُجَيْل: هو اسم نهر في موضعين اثنين، أحدهما مخرجه من أعلى بغداد، وعلى هذا النهر دارت المعركة بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، أما المقصود هنا فهو نهر بالأهواز، ومعناه بالفارسية (دجلة الصغيرة)، ومخرجه من أصبهان، ويصب في بحر فارس قرب عبّادان. الحموي، معجم، ج2، ص443.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص275- 276.

(3) المصدر نفسه، ص278.

(4) المصدر نفسه، ص279، 297.

(5) المصدر نفسه، ص279.

(6) الجُوزجان: بلدة عظيمة من بلاد خراسان، فتحها المسلمون سنة ثلاث وثلاثين، وتقع بين مدينتين في خراسان هما مَرو الروْذ وبلْخ، ومن مدنها: الأنبار وفارياب، وبها قُتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. الحموي، معجم، ج2، ص182- 183.

(7) مَرْو: تتكون هذه الكورة من مدينة صغيرة هي مَرْو الرُّوذ: والروذ معناها بالفارسية النهر، ويصبح معناها مدينة المرو التي تقع على النهر، وتقع بالقرب من المرو الأخرى واسمها: مرو الشاهِجان، وهي المدينة الثانية، وتسمَّى مرو العظمى، والتي تعتبر من أشهر مدن خراسان، ومعناها بالفارسية: نفس السلطان، وذلك لجلالتها وهيبتها عندهم. الحموي، معجم، ج5، ص112- 116.

(8) بَلْخ: بلدة مشهورة بخراسان، وهي من " أجلّ مدن خراسان، وأذْكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة "، وكانت غلتها تُحْمَل إلى جميع خراسان وإلى خوارزم. الحموي، معجم، ج1، ص479- 480.

فقابله أسد بن عبد الله في جيش فهزمه، ولحق الحارث بن شريح بالترك، وأخذ الوالي الجديد بعض أصحاب الحارث بن شريح، فقتل بعضهم، وقطع أيدي البعض الآخر، وكذلك أرجلهم([1])

وفي سنة ست عشرة ومائة خرج بطَنْجَة([2]) عبد الأعلى بن حديج مولى موسى بن نصير، وكان من الخوارج الصُفْرية، فأرسل والي أفريقية عبيدةُ بن الحبحاب عمرو بن عبد الله العبسي، فقتل عمرو وهُزم أصحابه([3])، وفي سنة اثنتين وعشرين ومائة يذكر خليفة بن خياط خروج عبد الأعلى بن حديج للمرة الثانية، ويذكر تفاصيل مشابهة لما حدث في سنة ست عشرة ومائة([4])، مع إضافة أن عبد الأعلى قتل أصحاب عمرو بن عبد الله العبسي وسبى نساءهم([5])، وأن ميسرة الحقير بعث قائداً فقتل عبد الأعلى بن حديج في سنة اثنتين وعشرين ومائة([6])

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائة خرج ميسرة الحقير بالقَيْرَوَان([7])، فوجه إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب جيشاً إلى ميسرة وأصحابه فهزمهم، ثم أغار ميسرة على عسكر إسماعيل ابن عبيد الله، فقتله، وبقي ميسرة في عداء مع الأمويين في بلاد المغرب، حتى مات في سنة أربع وعشرين ومائة([8])

وفي سنة ست وعشرين ومائة، خرج سعيد بن بحدل بالجزيرة، ثم قطع دجلة إلى قَرْدَى([9])، حتى استقر به الحال في مرج الموصل([10])، وكان مع سعيد بن بحدل خمس مائة رجل، فرحل إلى

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص346.

(2) طَنْجة: بلدة تقع على ساحل بحر المغرب العربي، وبينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد، أي مرحلة واحدة، والتي تقدَّر بحوالي 44.520 كيلو متر. الحموي، معجم، ج4، ص43. محمد، المكاييل، ص56.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص347.

(4) المصدر نفسه، ص352- 353.

(5) المصدر نفسه، ص353.

(6) المصدر نفسه، ص353.

(7) القيروان: كلمة معربة، معناها بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة بإفريقية، بناها عقبة بن نافع بعيداً عن البحر، وعمَّرها بالناس، حتى أصبحت مهيأة لاستقبال الناس سنة خمس وخمسون. الحموي، معجم، ج4، ص420- 421. واصف، معجم، ص97.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص354.

(9) قَرْدَى: قرية صغيرة، تقع في شرقي دجلة الجزيرة، بالقرب من جبل الجُوديّ الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام. الحموي، معجم، ج4، ص322.

(10) مَرْج الموصل: يقع في الموصل، ويعرف أيضاً بمرج أبي عبيدة، وهو موضع منخفض يشبه الغور، ويزخر بالمروج والقرى، وتكثر فيه القلاع. الحموي، معجم، ج5، ص101.

شَـهْرَزُور ([1])، وقابل فـي طريقـه شـيبان بـن عبـد العزيـز اليشكري، فقبـل شـيبان أن يتبـع سـعيداً فـي خروجـه، وذلـك علـى خلفيـة أن سـعيداً خـرج قبلـه([2])، وفـي سـنة سـبع وعشرين ومائـة مـات سـعيد بـن بحدل الخارجي، واستخلف عليهم الضحاك بن قيس([3])، ثم نزل الضحاك بن قيس دير الثعالب([4]) في ثلاثة آلاف من الرجال، واشتبك في معارك مع أهل الشام، حتى دخلت قواته الكوفة، ثم توجه إلى واسِط، بعد أن استخلف على الكوفة ملحان([5])، ثم اتجه في سنة ثمان وعشرين ومائة صوب الموصل، فقتل عاملها واستولى عليها، الأمر الذي دفع مروان بن محمد لأن يرسل ابنه عبد الله والي الجزيرة، آمراً إياه بالذهاب إلى نَصِيبين([6])، فما كان من الضحاك ابن قيس إلا التوجه إلى هناك ومحاصرته حوالي شهرين، دون أن يحقق شيئاً من هذا الحصار ([7])، وعظم أمر الضحاك بن قيس بعد أن اجتمع إليه ملوك أهل الشام الهاربين من الأمويين، ما حدا مروان بن محمد بالتوجه إلى نصيبين، وعلى ميمنته ابنه عبد الله، وعلى ميسرته اسحق بن مسلم، ولما تقارب العسكران اقتتلا قتالاً شديداً أسفر في اليوم الأول من القتال عن مقتل ستة آلاف، أكثرهم من أنصار الضحاك، فضلاً عن مقتل ثمان مائة امرأة من الشراة، وكان الضحاك بن قيس من بين القتلى([8])، وفي اليوم التالي استعر القتال بين الطرفين حتى حمل الخوارج على قلب مروان فانكشف، وتفرق قلب مروان من حوله في كل اتجاه([9])، حتى جلس بعض الخوارج على سرير مروان، دون أن يعلم كلٌ من ابنه عبد الله واسحق بن مسلم بالأمر، فلحق مولى لمروان اسمه غزوان بمروان بن محمد وأقنعه بالرجوع إلى المعسكر، وبالفعل تحسن الوضع القتالي لصالح الأمويين، ما دفع القائد الجديد

---

(1) شَـهْرَزُور: بلدة واسعة تقع في الجبال بين إربل وهمذان، وسكانها من الأكراد، وأهلها أصحاب بطش وشدة، ولطالما خالفوا الخلفاء والأمراء. الحموي، معجم، ج3، ص375– 376.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص371– 372.

(3) المصدر نفسه، ص375– 376.

(4) دير الثعالب: دير مشهور، يبعد قرابة الميلين من بغداد، ويقع بالقرب من قرية الحارثية. الحموي، معجم، ج2، ص502– 503.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص377.

(6) نَصِيبين: من بلاد الجزيرة، تقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، مشهورة بكثرة البساتين والعقارب. الحموي، معجم، ج5، ص288– 289.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص378.

(8) المصدر نفسه، ص379.

(9) المصدر نفسه، ص379.

للخوارج ويدعى شيبان للرجوع حتى نزل منطقة الزابين([1]) من أرض الموصل، فطارده مروان ولحق به، وقاتله طيلة عشرة أشهر، حتى وجد شيبان اليشكري أن لا مناص من الخروج من خندقه، فخرج وأخذ يتنقل من بلد لآخر، حتى وصل إلى عُمان، فقتل فيها سنة تسع وعشرين ومائة([2])

وفي سنة ثمان وعشرين ومائة، خرج بسطام بن ليث الثعلبي بأَذْرَبيجان، فقتل عامل مروان، وسار إليه يحيى بن أبي الحر في جيش من أهل الموصل فهزمهم بسطام، ثم أصاب جماعة من أهل الشام في قردى، ثم توجه إلى نصيبين، ثم أتى إرْمينِيَة وأذربيجان، فسار إليه عبد الملك بن زيد في ستة آلاف، فهزمهم أيضاً، ثم مرَّ بشهرزور وعاملها دار بن قيس، فتحصن دارٌ منه، فتركها بسطام له، ثم توجه إلى العراق، فهزم عزيز بن أبي المتوكل، حتى انتهى به المطاف إلى الدخول في صراعات مسلحة مع أنصار الضحاك بن قيس فقتلوه وعامة أصحابه([3])

وفي سنة تسع وعشرين ومائة، خرج طالب الحق عبد الله بن يحيى الأعور بحَضْرَمَوْت([4])، وكان والي حضرموت آنذاك إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، فأخرجه طالب الحق منها بدون قتال، ولما اجتمعت الإباضية حول طالب الحق بايعوه، فتوجه إلى صنعاء في ألفي رجل من الخوارج وعليها القاسم بن عمر في حوالي ثلاثين ألفاً، وتقابل الفريقان، وانهزم القاسم، ودخل طالب الحق صنعاء، وأخذ ما بها من خزائن وأموال فتقوى بها([5])

وفي سنة تسع وعشرين ومائة، خرجت الإباضية بالمغرب، فقام عبد الرحمن بن حبيب الفهري بقتل زعيمهم سعد بن مسعود وصلبه، ثم خرج من بعد مقتله الإباضي عبد الجبار بن معن، فلقيهم يزيد بن صفوان المعافري، واقتتلا حتى قتل الأميران، وهُزم أصحاب ابن حبيب([6])، وفي نفس السنة خرج الكرماني على مروان بن محمد، فسار إلى مَرْو الرُّوذ، فوجه نصرُ بن سيار سلمَ بن أحوز المازني فقاتله حتى هزمه، بيد أن الكرماني أعاد عليهم الكرة فهزمهم، ثم تصالحا، حتى قدم عليهما نصر بن سيار نفسه، فاقتتلوا ستة أشهر، ثم تصالح والي خراسان مع الكرماني، وبينما

---

(1) الزّابان: يتكون من الزاب الأعلى الذي يقع بين الموصل وإربل، ومنبعه من بلاد مشتكهر، ويفصل بين أذربيجان وبابغيش، والزاب الأسفل الذي ينبع من جبال السّلق التي تقع بين شهرزور وأذربيجان، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة، كما يوجد زابان آخران بين بغداد وواسط. الحموي، معجم، ج3، ص123- 124.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص380، 387.

(3) المصدر نفسه، ص381- 382.

(4) حَضْرَمَوْت: ناحية واسعة تقع بالقرب من البحر، في شرقي مدينة عدن اليمنية، تبعد عن صنعاء اثنان وسبعون فرسخاً. الحموي، معجم، ج2، ص269- 271.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص384- 385.

(6) المصدر نفسه، ص389.

هم كذلك إذ بالحارث بن سريج يخرج في بني حنظلة الذين حملوا على الكرماني فقتلوه([1])، فلحق من تبقى من جيشه بشيبان بن مسلمة الحروري الذي سيطر على سَرْخَس([2]) وطُوس([3]) وأَبْرَشَهْر([4]) ومعه ثلاثون ألفاً من الخوارج، لكن خوارج البصرة انشقوا عنه، واتهموه بأنه " ركن إلى الدنيا، وتعصَّب "([5])

كما وخرج عليه مشكان مولى لبني سليم في خمسة آلاف رجل، بالإضافة إلى مفارقة عبد الله بن السمط له في ألفين من الرجال([6])، والتقت قوات شيبان وابن الكرماني مع قوات نصر بن سيار في قرية يقال لها قار([7])، فاقتتلوا قتالاً ضارياً، أدى إلى انهزام الخوارج، الذين لم يجدوا بُدَّاً من التحصن في الخنادق حوالي سنة ونصف، إلى حين تحقيق المصالحة بين الطرفين في سنة ثلاثين ومائة([8])، فلما ظهر أبو مسلم الخراساني([9]) حرَّض ابنَ الكرماني على قتال نصر بن سيار، واقتتلوا يومهم وليلتهم، حتى كتب نصر بن سيار إلى أبي مسلم، وقال له: " إني معك، وأنا أحق بك من ابن الكرماني، وأنا أبايعك "([10])، فلما تواعدا على اللقاء هرب نصر بن سيار مع من تبقى

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص388.

(2) سَرْخَس: مدينة قديمة من نواحي خراسان، وتقع وسط الطريق بين نيسابور ومَرْو، وتكثر فيها المراعي. الحموي، معجم، ج3، ص208- 209.

(3) طُوس: مدينة بخراسان، بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، ومن أهم مدنها: الطابران ونوقان، فتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفان، وبها قبر علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد، وبها ولد أبو حامد الغزالي(ت: 505هـ/1111م). الحموي، معجم، ج4، ص49- 50. واصف، معجم، ص79.

(4) أَبْرَشَهْر: مدينة نيسابور من نواحي خراسان، وهي " مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء "، وهي كثيرة الفواكه والخيرات، . الحموي، معجم، ج1، ص65- 66؛ ج5، ص331- 333.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص388.

(6) المصدر نفسه، ص388.

(7) قارٌ: قرية بمدينة الري. الحموي، معجم، ج4، ص293- 295.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص389- 390.

(9) هو عبد الرحمن بن مسلم، ولد عام مائة، وهو صاحب دعوة بني العباس، عُرف بين أصحابه بـ " أمين آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم "، عدّه البعض " من أكبر الملوك في الإسلام "، وكان " ذا هيبة، وصرامة، وإقدام، وتسرع "، وهو " هازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية "، قتله الخليفة= =العباسي الثاني أبو جعفر المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة. ابن قتيبة، المعارف، ص420. البلاذري، أنساب، ج4، ص267- 275. الذهبي، العبر، ج1، ص143؛ سير، ج6، ص48. ابن كثير، البداية، ج13، ص313- 316، ص319- 320. ابن العماد، شذرات، ج2، ص132- 133. عمر، التاريخ، ص77.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص390.

من أصحابه([1])، فلحق به أبو مسلم إلى سرخس التي عليها شيبان الحروري، فقاتل أبا مسلم الخراساني، لكن المعركة انتهت بمقتل شيبان([2])

وفي سنة ثلاثين ومائة، خرج سليمان بن ذراق المرهبي وكان صُفْرياً، فخرج إليه ابن حبيب، بيد أن سليمان الخارجي انسحب من الموقف من غير قتال([3])

وزيادةً على قيام خليفة باستعراض ثورات الخوارج سابقة الذكر على الخلافة الأموية، فإنه يمكن للمتتبع أن يتلمس بعض الإشارات التي صدرت عن خليفة في هذا الصدد، والتي من أهمها:

1) حرص خليفة على إبراز النهايات التي آلت إليها حركات الخوارج، حيث انتهت معظمها – إن لم يكن جميعها – بمقتل القائمين عليها.
2) أورد خليفة في رواياته معلومات تفيد أن الخوارج كانوا لا يتورعون عن ارتكاب المخالفات الجسيمة سيما تلك التي تمس بحرمة الدماء، وتجلى ذلك عبر سرد القرائن التالية:
   - أفاد خليفة إبان حديثه عن خروج سَهْم بن غالب والخطيم الباهلي، بأن سَهْماً قَتَل في سنة إحدى وأربعين عُبادةَ ابن قرص الليثي، وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قتل سعداً مولى الصحابي قدامة بن مظعون([4])
   - أشار خليفة في أحداث سنة ثلاث وخمسين إلى خروج قريب وزحّاف بسبعين رجلاً، وأنهم دخلوا مسجد بني قُطَيْعة ومسجد المعاول، فقتلوا أكثر من فيهما([5])
3) تطرق خليفة في الروايات التي ساقها إلى الدور النسائي في حركة الخوارج، ومشاركتهن في الحروب، وهو أمر نادر الحدوث في المجتمعات الإسلامية، حيث رصد الباحث ثلاثة مواطن ساق فيها خليفة مرويات تُظْهر إسهامات المرأة في المجهود الحربي للخوارج، وبرز ذلك في إيراده لمقتل غزالة في سنة سبع وسبعين([6])، ومقتل جيداء في

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص390.

(2) المصدر نفسه، ص390.

(3) المصدر نفسه، ص395.

(4) المصدر نفسه، ص204.

(5) المصدر نفسه، ص219– 220.

(6) المصدر نفسه، ص275– 276.

سنة ثمانين([1])، ومقتل ثمان مائة من نساء الخوارج في معارك الضحاك بن قيس مع قوات مروان بن محمد، وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة([2])

خروج الحسين بن علي:

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، لم يكن أمام ابنه يزيد من مهمة أعظم من أخذ البيعة ممن امتنعوا عنها في حياة أبيه، فأرسل – وفق رواية خليفة بن خياط – إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان رزيقاً مولاه، مخبراً إياه بموت معاوية، وآمراً الوليدَ بأن " يبعث إلى هؤلاء الرهط، فيأمرهم بالبيعة له "([3])، دون أن يشير إلى نصِّ الكتاب، كما فعل ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون وغيرهم، من أولئك الذين أوردوا نص الكتاب الذي جاء فيه:

" أما بعد، فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام "([4])، بيد أن الرواية التي ساقها خليفة قد اهتمت بتفاصيل دخول رزيق إلى الوليد بن عتبة، فيقول رزيق: " فقدمت المدينة ليلاً، فقلت للحاجب: استأذن لي، فقال: قد دخل، ولا سبيل إليه، فقلت: إني قد جئته بأمر، فدخل فأخبره، فأذن له، وهو على سريره، فلما قرأ كتابَ يزيد بوفاة معاوية واستخلافه، جزع لموت معاوية جزعاً شديداً، فجعل يقوم على رجليه، ويرمي بنفسه على فراشه "([5])

ثم يروي خليفة روايةً تشير إلى جوانب أخرى ذات بال، حيث ذكر أن الوليد كان قد بعث إلى مروان " فجاء وعليه قميص أبيض، وملاءة موردة، فنعى له معاوية، وأخبره أن يزيد كتب إليه أن يبعث إلى هؤلاء الرهط، فيدعوهم إلى البيعة ليزيد "([6]) فقال له مروان: " ابعث إلى هؤلاء الرهط الساعة، فادعهم إلى البيعة، فإن بايعوا، وإلا فاضرب أعناقهم "([7])، وهي نفس المشورة التي جاءت

---

(1) المصدر نفسه، ص279.

(2) المصدر نفسه، ص379.

(3) تاريخ، ص232.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص338. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص322– 323. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص377. ابن كثير، البداية، ج11، ص467. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص25. العش، الدولة، ص166.

(5) تاريخ، ص232.

(6) المصدر نفسه، ص232.

(7) المصدر نفسه، ص232.

في كتب بعض المؤرخين([1])، ثم تطرق خليفة إلى ذكر تعليق والي المدينة على نصيحة مروان بن الحكم، والتي مفادها:

" سبحان الله! أقتل الحسين بن علي، وابن الزبير؟!"([2])، فقال مروان: " هو ما أقول لك "([3])، ثم يسرد خليفة رواية أخرى تؤكد على جدية ما ذهب إليه مروان، حيث جاء على لسان مروان: " ابعث الساعة إلى الحسين وابن الزبير، فإن بايعا، وإلا فاضرب أعناقهما "([4])، ثم ذكر خليفة أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل تلك الأحداث([5])، بيد أن خليفة لم يذكر اسم الفتى الذي أرسله والي المدينة بهدف الإتيان بالحسين بن علي وابن الزبير، في حين ذكر الطبري أن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وكان غلاماً حدثاً هو من أرسله والي المدينة([6])، وفي حين يروي الطبري أن ابن الزبير هرب إلى مكة، دون أن يقابل والي المدينة([7])، فإن رواية خليفة بن خياط تؤكد حدوث لقاء بين الوالي وابن الزبير، حيث جاء فيها: " فأتاه ابن الزبير، فنعى له معاوية، وترحّم عليه، وجزاه خيراً، فقال له: بايع، قال: ما هذه ساعة مبايعة، ولا مثلي يبايعك هاهنا، فترقى المنبر فأبايعك، ويبايعك الناس علانية غير سر "([8])، فوثب مروان، فقال للوالي: " اضرب عنقه، فإنه صاحب فتنة وشر "([9])، فقال له ابن الزبير: " إنك لهتَّاك يا بن الزرقاء "([10])، واستبَّا([11])، فقال الوليد: " أخرجوهما عني "([12])

ولقد جاء في رواية خليفة أن الحسين جاء " على تلك الحال، فلم يُكَلَّم في شيء، حتى رجعا جميعاً "([13])، بينما ألفينا ابن جرير الطبري وهو يروي رواية مفادها أن الحسين جمع مواليه

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص339. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص323. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص377. ابن كثير، البداية، ج11، ص467. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص25.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص232.

(3) المصدر نفسه، ص232.

(4) المصدر نفسه، ص232.

(5) المصدر نفسه، ص232.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص339.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص340– 341.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص232.

(9) المصدر نفسه، ص233.

(10) المصدر نفسه، ص233. والزرقاء: الخمر، والزُّرْق: بمعنى عِطاش أو عميان. ولم يقع الباحث على معنى أقرب إلى هذا لما قصده الحسين بن علي. ابن منظور، لسان، ج10، ص139.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص233.

(12) المصدر نفسه، ص233.

(13) المصدر نفسه، ص233.

وأهل بيته، قبل أن يتوجه لمقابلة الوليد بن عتبة في قصر الإمارة، فلما دخل الحسين عليهما، وأبلغاه بموت معاوية، دعاه الوليد إلى البيعة، فقال الحسين:

"أما ما سألتني من البيعة، فإن مثلي لا يُعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية "([1])، فقبل الوليد منه ذلك، بيد أن مروان قاطعه معترضاً، وقال له: " والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه "([2])، فوثب الحسين وقال لمروان: " يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت "([3])، ثم خرج الحسين وعاد وأصحابه إلى منزله([4])، كما أن المزي قد ساق ما يفيد حدوث اللقاء فيما بين الحسين ووالي المدينة، إذ ذكر بأن " الوليد أغلظ للحسين، فشتمه الحسين، وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه، فقال الوليد: إن هِجْنا بأبي عبد الله إلا أسداً "([5])

ثم رجع مروان – كما جاء في رواية لخليفة – إلى الوليد، فقال له: " والله! لا تراه بعد مقامك إلا حيث يسوءك، فأرسل العيون في أثره "([6])، ثم يروي خليفة بعض تفاصيل الخطة التي أعدها ابن الزبير مع ابنه حمزة للهرب من المدينة إلى مكة، وهو الهدف الذي تحقق دون أن يلحظ ذلك عيونُ الوالي([7])

ثم ذكر خليفة أن الحسين قد خرج من ليلته، فالتقيا بمكة([8])، وكان ابن عباس قد نهاه عن الخروج فأبى([9])، وكذلك فعل كلٌ من عمر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، دون أن يستجيب الحسين لنصيحتهما([10])، ولم يسرد خليفة فيما يتعلق بتحريض ابن الزبير للحسين على الخروج إلى الكوفة سوى قوله للحسين:

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص339– 340.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص340.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص340.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص340.

(5) تهذيب، ج6، ص415.

(6) تاريخ، ص233.

(7) المصدر نفسه، ص233.

(8) المصدر نفسه، ص233.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص383.

(10) المصدر نفسه، ج5، ص382، 387.

" ما يمنعك من شيعتك، وشيعة أبيك، فوالله لو أن لي مثلهم لذهبت إليهم "([1])، دون أن يورد خليفة طبيعة رد الحسين على هذا المقترح([2])، ويذكر خليفة أن يزيد بعث عمرو بن سعيد والياً على المدينة بدلاً عن الوليد بن عتبة، وذلك " تخوفاً لضعف الوليد "([3])، فلما وصل عمرو بن سعيد صعد المنبر، ثم ذكر ابن الزبير، وقال:

" تعوذ بمكة، فوالله لنغزونَّه، ثم والله لئن دخل مكة لنحرقها عليه، على رغم أنف من رغم "([4])، وكان عبد الملك بن مروان جالساً تحت منبر عمرو بن سعيد، فوضع " إصبعه على أنفه، ثم قال: اللهم فإن أنفي يرغم أن يغزى بيتك الحرام "([5])

وفي أثناء مقام الحسين بمكة جاء إليه أهل الكوفة، وكان عليها آنذاك النعمان بن بشير الأنصاري، وكان مما ذكروه للحسين: " إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فاقدم علينا "([6])، فأرسل الحسين إلى ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقال له: " سِرْ إلى الكوفة، فانظر ما كتبوا به إليَّ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم "([7])، وخرج مسلم حتى إذا جاء الكوفة، نزل عند مسلم بن عَوْسجة الأسدي([8])، وقيل في غيرها([9])، فلما علم أهل الكوفة بأمره بايعه اثنا عشر ألفاً، ورأى يزيد أن واليها النعمان بن بشير كان متهاوناً في التصدي لمسلم بن عقيل، فاستشار سَرْجون، فقال له: " أكنت قابلاً من معاوية لو كان حياً ؟"([10])، قال يزيد: نعم، فقال سرجون: " فاقبل مني، فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فولِّها إياه "([11])، ففعل يزيد، رغم أنه كان يهم بعزل عبيد الله بن زياد عن البصرة قبل هذه الأحداث، فترضاه، وأنه عينه والياً على الكوفة أيضاً، وكتب إليه: " أن يطلب مسلم بن عقيل، فيقتله إن وجده "([12])

---

(1) تاريخ، ص233.

(2) المصدر نفسه، ص233.

(3) المصدر نفسه، ص233.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص233.

(5) المصدر نفسه، ص233.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص347. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص24.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص347. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص24.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص347. ابن كثير، البداية، ج11، ص480.

(9) قيل: نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص386. ابن كثير، البداية، ج11، ص480.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص348. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص24- 25. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص387. ابن كثير، البداية، ج11، ص481.

(11) الطبري، تاريخ، ج5، ص348. ابن كثير، البداية، ج11، ص481.

(12) الطبري، تاريخ، ج5، ص348.

وأقبل عبيد الله متلثماً إلى الكوفة برفقة وجهاء البصرة، ودعا بمولى له يقال له: مَعْقِل، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم، وطلب منه أن يأتيه بخبر مسلم بن عقيل، وظل هذا المولى يتلطف الأخبار حتى دخل على مسلم وأعطاه المال وبايعه، فكان أول داخل على مسلم بن عقيل، وآخر خارج([1])، ثم يرجع إلى عبيد الله بن زياد فيخبره الخبر(2)، وتحول مسلم بعد مجيء عبيد بن زياد من الدار التي كان يقيم فيها إلى بيت هانئ بن عروة، وكتب وهو فيها كتاباً إلى الحسين يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بلزوم القدوم إلى الكوفة، وكان ذلك قبل استشهاده بسبعٍ وعشرين ليلة([3])، ولما نما أمر مسلم بن عقيل إلى عبيد الله بن زياد بعث عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث في سبعين فارساً كلهم من قيس، وهاجموا البيت الذي يقيم فيه مسلم بن عقيل، وذلك بعد أن خذله أهل الكوفة، حتى أعطاه محمد بن الأشعث الأمان، وحُمل على بغلة، وانتزعوا سيفه من عنقه، فقال مسلم بن عقيل: " هذا أول الغدر "([4])، ثم بعث عبيد الله بن زياد برأسَيْ مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة إلى يزيد بن معاوية([5])، وكان مسلم قبل مقتله قد أرسل إلى الحسين بقوله: " ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذب رأي "([6])، وهو التوصيف الذي أقرّ به الحسين نفسه فيما بعد، حيث أشار إلى أن شيعة العراق قد خذلوه([7])، ولقد اكتفى خليفة في أحداث سنة ستين، الحديث عن لمحات سريعة فيما يتعلق بالدور الذي قام به مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وكان كل ما ساقه بهذا الشأن قوله:

" بعث الحسين بن علي بن أبي طالب ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة ليبايعوه، فبايعه ناس كثير، فجمع يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد العراق، فخرج بأهل العراق، فقتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة المرادي "([8])

---

(1) المصدر نفسه، ج5، ص364.

(2) الدينوري، الأخبار، ص347- 348. الطبري، تاريخ، ج5، ص348. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص25- 26. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص389. ابن كثير، البداية، ج11، ص482.

(3) ابن كثير، البداية، ج11، ص512.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص373- 374. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص326. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص395- 396. ابن كثير، البداية، ج11، ص487.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص398.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص374- 375. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص33. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص396.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص398-399.

(8) تاريخ، ص231.

ثم خرج الحسين من مكة يوم التروية، وكان يوم الثلاثاء، أي قبل يوم عرفة بيوم[1]، ولم يتطرق خليفة بن خياط في أحداث سنة ستين، للمساعي التي بُذلت من قبل الصحابة لثني الحسين عن مسيره إلى الكوفة، وإنما اكتفى أثناء تأريخه لأحداث سنة ستين، بقوله:

" وفيها خرج الحسين بن علي من مكة يريد الكوفة "[2]، لكنه تحدث عن مشهد واحد، جرى ذكر تفاصيله على لسان الفرزدق، حيث يقول:

" خرجت أريد الحج، فلما كنت بذات عِرْق[3]، رأيت قباباً مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: للحسين بن علي، فعدلت إليه، فقلت: يابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أعجلك عن الحج؟ قال: كتب إليَّ هؤلاء القوم – يعني أهل الكوفة – يذكرون ما هم فيه، ثم سألني: كيف تركت الناس وراءك؟ فقلت: فداك أبي وأمي، تركتُ القلوبَ معك، والسيوف مع بني أمية، والنصر في السماء "[4]، ويروي بعض المؤرخين أن الحسين حينما سأله الفرزدق " ما أعجلك عن الحج؟ "[5] قال له الحسين: " لو لمْ أعجل لأُخذت "[6]، ثم توجه الحسين ناحية كَرْبَلاء[7]، وعسكر فيها، وكان عبيد الله بن زياد قد أرسل كتاباً إلى الحر بن يزيد يأمره أنْ ينزل الحسين بالعراء " في غير حصن وعلى غير ماء "[8]، ثم قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص وشمر بن ذي الجوشن إلى كربلاء في أربعة آلاف مقاتل[9]، فنادى عمر بن سعد بالناس: " يا خيل الله اركبي وأبشري "[10]، ثم زحف نحو

---

(1) ابن كثير، البداية، ج11، ص494. صقر، خلافة، ص28.

(2) تاريخ، ص231.

(3) ذات عِرْق: هو ميقات أهل العراق، ويبعد عن مسجد رسول الله بميلين ونصف. البكري، المسالك، ج1، ص294.

(4) تاريخ، ص231. ينظر: البلاذري، أنساب، ج3، ص376. الدينوري، الأخبار، ص363. الطبري، تاريخ، ج5، ص386. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص36– 37. الصفدي، الوافي، ج12، ص263. ابن كثير، البداية، ج11، ص510. العقاد، أبو الشهداء، ص43. الأبياري، ميلاد، ص111.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص386. ابن كثير، البداية، ج11، ص510– 511.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص386. ابن كثير، البداية، ج11، ص510– 511.

(7) كَرْبلاء: موضع يقع في طرف البرّيّة عند الكوفة، وعلى أرضها جرت المعركة بين الحسين والأمويين، والتي أُعتبرت أنها كانت " من أشنع الوقائع في الإسلام " الحموي، معجم، ج4، ص445. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص216.

(8) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص42. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص411.

(9) كان هذا الجيش في أهبة الاستعداد للذهاب مع والي الري الجديد عمر بن سعد بن أبي وقاص، وقيل: لقتال الديلم الذين استولوا على ثغر دستبي بأرض همذان، فلما خرج الحسين إلى الكوفة، خرجوا لملاقاته، قبل أن يقاتلوا الديلم. الدينوري، الأخبار، ص373. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص43.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص416.

معسكر الحسين بعد صلاة العصر، فقال له الحر: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم! والله لو سألكم هذا الترك والدَّيْلَم([1]) ما حلَّ لكم أن تردوه، فأبوا إلا على حكم ابن زياد([2])، ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين([3])، فما كان من عمر بن سعد إلا أنْ شمّر عن ساعده، ورمى بسهمٍ قال: " اشهدوا أني أول من رمى القوم "([4])

وكثرت المبارزة بين الفريقين، ثم استعر القتال بينهما، وقتل في هذه الجولة مسلم بن عوسجة، وهو أول من استشهد من أصحاب الحسين([5])، ثم أخذ جيش عمر بن سعد يرمون خيول أصحاب الحسين حتى عقروها جميعها، فأصبح كل أصحاب الحسين رَجَّالة([6])، وصلى الحسين بأصحابه صلاة الخوف، وحمي وطيس المعركة، حتى وصلوا للحسين، فدافع عنه أصحابه دفاعاً مستميتاً، فُقتل زهير بن القين أمام الحسين، وقتل دونه نافع بن هلال الجملي، الذي كان ينشد في قتاله، فيقول: أنا الجملي، أنا على دين علي([7])

وتهيب جيش عمر بن سعد الإقدام على قتل الحسين، كما واستبسل في المعركة رجال الحسين استبسالاً منقطع النظير حتى فني معظمهم([8])، ثم هجموا على الحسين من كل جانب، فضربه زُرْعة بن شريك بالسيف على كفه اليسرى وعلى عاتقه، ثم حمل عليه سنان بن أنس فطعنه بالرمح، ونزل سنان بن أنس فذبحه واحتز رأسه، ودفعه إلى خَوَليّ بن يزيد([9])، ثم نادى عمر بن سعد: من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه، فانتدب عشرة، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضّوا ظهره وصدره "([10])، واستشهد من أصحاب الحسين اثنان وسبعون رجلاً، ودفن أهلُ الغاضرية من

---

(1) الدَّيْلَم: مدينة تقع بين طبرستان وأذربيجان على بحر قزوين، وقاعدتها مدينة " رشْت "، وهي الآن تسمَّى إقليم جيلان بإيران. واصف، معجم، ص55.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص392.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص392. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص421.

(4) ابن كثير، البداية، ج11، ص537.

(5) المصدر نفسه، ج11، ص540.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص339. ابن كثير، البداية، ج11، ص541.

(7) ابن كثير، البداية، ج11، ص543- 544.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص453. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص51. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص340. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص432.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص453. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص341. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص432.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص454- 455. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص341. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص433. ابن الأثير، أسد، ج2، ص28.

بني أسد الحسين وأصحابه بعد مقتلهم بيوم(1)، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً(2)

ومن الملاحظ أن خليفة بن خياط لم يتطرق في الروايات التي ساقها في أحداث سنة إحدى وستين إلى تفاصيل عملية مقتل الحسين وأخوته وأصحابه، مع أن " تفصيل قصة قتله تمزق الأكباد، وتذيب الأجساد "(3)، ولعلّ الإيجاز الذي اعتمده خليفة في تاريخه كان الدافع وراء ذلك.

ولقد أنهى خليفة حديثه في الوقائع التي حدثت في سنة ستين بتحريض عبد الله بن الزبير للحسين بالتوجه إلى الكوفة، وعزل يزيد لوالي المدينة الوليد بن عتبة واستبداله بعمرو بن سعيد(4)، ثم انتقل بشكل مفاجئ للحديث في مطلع سنة إحدى وستين عن مقتل الحسين، فتحت عنوان سنة إحدى وستين، أدرج بشكل مباشر عنواناً فرعياً وهو (مقتل الحسين وأصحابه)، ومما يلفت الانتباه أن خليفة لم يهتم بذكر تفاصيل المقتلة التي جرت بحق الحسين بن علي وشيعته، إنما أخذ يعدد أسماء القتلى، ومن تبقى من الهاشميين وغير الهاشميين، علاوةً على تسمية أمهات القتلى من معسكر الحسين بن علي، حيث ذكر أنه كان من بين القتلى جعفر بن علي بن أبي طالب، وأمه أم البنين بنت حزام، وكذلك عثمان بن علي بن أبي طالب، وأمه أم البنين أيضاً، والعباس بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن أبي طالب، وأمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس، وعلي بن الحسين بن علي، وأمه ليلى أو لبني بنت أبي مرة، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وأمه الرباب بنت امرئ القيس، وأبو بكر بن علي بن أبي طالب، والقاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن جعفر، وأمه الخوصاء بنت خصف، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأمه فتاة تدعى حلبة، وعبد الرحمن بن مسلم، وأمه فتاة، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب(5)

كما يلاحظ أن خليفة لم يشر إلى الناجين من المعركة، حيث استُصْغر كل من الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمر(6) بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فلم يقتلا(7)، فضلاً عن أنه لم يبق سواهما من الهاشميين إلا الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص455. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص433.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص455. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص434. ابن كثير، البداية، ج11، ص552.

(3) المناوي، فيض، ج1، ص205.

(4) تاريخ، ص233.

(5) تاريخ، ص234. ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص468- 469. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص340. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص442- 443. ابن كثير، البداية، ج11، ص551-552.

(6) وقيل: عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص443.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص469.

طالب([1])، أما من غير الهاشميين، فلم يبق سوى الضحاك بن عبد الله المشرقي الذي أعطى حسيناً عهداً بأن يبقى يقاتل معه طالما كان القتال معه نافعاً، فإن آل الأمر إلى غير ذلك فهو في حلٍ من الانصراف([2])، فضلاً عن عقبة من سمعان([3])، والمرقّع بن ثمامة الأسدي([4])

وكان عمر بن سعد قد مكث يومه ذلك والغد في أرض المعركة، ثم أمر حميد بن بكير ليؤذن في الناس بالرحيل، صوب الكوفة، وحمل معه كل من تبقى على قيد الحياة من الجانبين([5])، وروى الطبري فقال: " وقطف رؤوس الباقين، فسُرّح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد "([6])، وروى آخرون أن روايات تفيد بأن عدد الرؤوس لم يتجاوز السبعين رأساً([7])، فلما وصلوا يزيد بن معاوية، أمر الصحابي النعمان بن بشير، بأن يجهز موكبهم، وأن يرسل معهم رجلاً أميناً وصالحاً ليسير بهم إلى المدينة، ثم أمر النسوة ومعهن علي بن الحسين في دار أُعدت لهن، فلما دخلن دار يزيد لم تبقَ من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين([8])، وسألهن يزيد " عمّا أُخذ منهنّ فأضعفه لهن "([9])، وكان مقتل الحسين بكربلاء من أرض العراق في يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين([10])، وله من العمر ثمانٍ وخمسون سنة أو نحوها([11])

والواضح أن خليفة بن خياط وقبل أن ينهي سرد الوقائع التي دارت رحاها في سنة إحدى وستين، قد أورد روايتين فقط تتضمنان تذكيراً أو إشادة بالقتلى من معسكر الحسين، أما الأولى، فقول الحسن البصري:

---

(1) شمس الدين، أنصار، ص64.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص418- 419.

(3) حيث همَّ عمر بن سعد بقتله، فقال له عقبة بن سمعان: أنا عبدٌ مملوك، فخلى سبيله. الطبري، تاريخ، ج5، ص454.

(4) نثر المرقع بن ثمامة نبله، وجثا على ركبتيه، وبقي يقاتل حتى جاءه نفر من قومه، فقالوا له: أنت آمن، اخرج إلينا، فخرج إليهم. الطبري، تاريخ، ج5، ص454.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص455.

(6) تاريخ، ج5، ص456. وكان الدينوري قد ذكر أن عدد الرؤوس بلغ اثنان وسبعون رأساً. الأخبار، ص383.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص468. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص341. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص442.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص462. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص440.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص439.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص231.

(11) ابن كثير، البداية، ج11، ص569.

" أُصيب مع الحسين ستة عشر رجلاً من أهل بيته ما على وجه الأرض يومئذ أهل بيت لهم شبيهون "([1])، أما الثانية فقد جاءت على لسان محمد بن الحنفية، قال فيها:

" قتل مع الحسين بن علي سبعة عشر رجلاً كلهم قد ارتكض في بطن فاطمة "([2])، ثم روى خليفة روايةً تورد أسماء الذين تولوا قتل الحسين، وهما: شمر بن ذي الجوشن، وأمير الجيش عمر بن سعد بن مالك([3])، ولقد كرر خليفة بن خياط ذكر السنة التي قتل فيها الحسين أكثر من مرة، فبعد عنوان فرعي هو (خروج الحسين إلى العراق)، قال: " وقتل الحسين بن علي لعشر خلون من المحرم، سنة إحدى وستين "([4])، ثم وفي مطلع حديثه عن أحداث سنة إحدى وستين، وتحت عنوان فرعي هو (مقتل الحسين وأصحابه) قال: " فيها قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه، يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم، يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين"([5])، ثم وقبل اختتام الحديث عن أحداث سنة إحدى وستين، جاء أنه " وفي سنة إحدى وستين قتل الحسين بن علي وأصحابه رضي الله عنهم "([6])، ثم رواية أخرى تليها مباشرة، جاء فيها: " ثم نزع عمرو عن المدينة، وأمر الوليد بن عتبة، فحج بالناس سنة إحدى وستين، وقتل الحسين بن علي لعشر خلون من المحرم "([7])

واللافت للنظر أن خليفة بن خياط لم يروِ روايات تتحدث فيها عن مدى تحمل يزيد مسئولية هذا الحدث الجسيم، كما لم يذكر ردود الأفعال لدى يزيد حيال عبيد الله بن زياد، بخلاف ما فعله ابن تيمية الذي أقرّ بأن يزيد لم يظهر إنكاراً لمقتل الحسين، فقال متحدثاً عن يزيد بن معاوية:

" وروى عنه أنه لعن ابن زياد على قتله، وقال: كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، لكنه مع هذا لم يظهر منه إنكار قتله، والانتصار له، والأخذ بثأره كان هو الواجب عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب، مضافاً إلى أمور أخرى "(8)، كما أن ابن كثير قد نحا هذا النحو، فقال:

---

(1) تاريخ، ص235.
(2) المصدر نفسه، ص235.
(3) المصدر نفسه، ص235.
(4) المصدر نفسه، ص231.
(5) المصدر نفسه، ص234.
(6) المصدر نفسه، ص235.
(7) المصدر نفسه، ص235.
(8) مجموع، ج3، ص411.

" وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك، وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك، ولا عاقبه، ولا أرسل يعيب عليه ذلك "([1])، وتابعه في هذا التقييم أبو الأعلى المودودي([2])

كما أن خليفة بن خياط لم يورد رواية واحدة تفيد أن الحسين قد أقدم على أمرٍ غير مستساغ من الناحية الشرعية، وهو الموقف الذي اتخذه القاضي ابن العربي(ت: 543هـ/1148م) ضد الحسين بن علي، حينما قال متحدثاً عن خروجه:

" وما خرج إليه أحدٌ إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذّر من الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (إنه ستكون هنّات وهنّات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان) "([3])، ووافقه الدكتور محمد الطيب النجار من جهة أن الحسين " يشترك في تحمل التبعة في هذا المصير المحزن، الذي انتهى إليه أمره "([4])، إلا أن الحافظ النور الهيثمي قد نحى منحى آخر، ذكره الإمام السخاوي بقوله:

" وقد كان الحافظ الزاهد النور الهيثمي يبالغ في الغض من الولوي ولي الدين بن خلدون قاضي المالكية، لكونه أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي رضي الله عنهما في تاريخه، وقال: قتل بسيف جده، قال شيخنا: ولما نطق شيخنا يعني الهيثمي بهذه الكلمة، أردفها بلعن ابن خلدون وسبه، وهو يبكي "([5])، وتابعه كلٌ من الشوكاني([6])، والألوسي([7])،

---

(1) ابن كثير، البداية، ج11، ص578.

(2) الخلافة، ص118- 119.

(3) العواصم، ص232.

(4) تاريخ، ص138.

(5) الإعلان، ص120. يرى الباحث أن النور الهيثمي قد وقع هنا في وهم، لأن ابن خلدون كان مجرد ناقل لكلمة ابن العربي ليس أكثر من ذلك ولا أقل، حيث يقول ابن خلدون: " وقد غَلِطَ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا، فقال في كتابه الذي سمَّاه بالعواصم والقواصم ما معناه: إن الحسين قُتل بشرع جده، وهو غَلَطٌ حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء ". مقدمة، ص271.

(6) قال الشوكاني: "ولقد أفرط بعض أهل العلم كالكرامية، ومن وافقهم في الجمود على أحاديث الباب، حتى حكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه، باغ على الخمير، السكير، الهاتك لحرم الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية، لعنهم الله، فيالله العجب من مقالات تقشعر منها الجلود، ويتصدع من سماعها كل جلمود ". نيل، ج7، ص362.

(7) قال الألوسي: " وأبو بكر بن العربي المالكي، عليه من الله تعالى ما يستحق أعظم الفرية، فزعم أن الحسين قتل بسيف جده صلى الله تعالى عليه وسلم، وله من الجهلة موافقون على ذلك { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً } ". روح، ج26، ص73.

والمناوي([1])، ولقد كان لمقتل الحسين دور أساس في نشوء حركة التوابين في أواخر سنة إحدى وستين([2])، حيث أخذ الشيعة يتلاومون على تخاذلهم عن نصرة الإمام الحسين بعد أن وعدوه بالنصرة فلم ينصروه، ورأوا أنهم قد " جنوا جناية لا يكفّرها إلا الطلب بدمه "([3])، وقالوا: " ما لنا توبة مما فعلنا، إلا أنْ نقتل أنفسنا في الطلب بدمه "([4])، وفي شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، خرج سليمان بن صرد في أصحابه إلى النُخَيْلة([5]) فأقام فيها، وكان جيشه يسمَّى بـ " جيش التوابين "([6])، وكان تعداده أربعة آلاف فقط([7])، بينما وصفه خليفة بن خياط بأنه " أمير التوابين "([8])

ولما علم سليمان أن طلائع قوات أهل الشام اقتربت من منزلهم، أرسل إليهم المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس، وما إن اقتربت قوات المسيب من سرية يقودها شرحبيل بن ذي الكلاع، حتى اقتتلوا، ونالوا من شُرَحْبيل بن ذي الكلاع وهزموه وغنموا منه غنائم كثيرة، فلما علم عبيد الله بن زياد بالأمر، أرسل الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً([9])، فخرج إليهم سليمان بن صرد في كامل عتاده ورجاله، وكذلك فعل حصينُ بن نمير([10])، واقتتلوا قتالاً لم يُسْمَع به من قبل، وهُزم أهل الشام، ولم يتوقف في اليوم الأول حتى حجز الليل بينهما([11])، وفي اليوم التالي تجدد القتال بين الطرفين، بعد أن أمدَّ عبيدُ الله بن زياد الحصينَ بن نمير بابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف، وبقي القتال على ما هو عليه من شدةٍ وبأس، وتم وقف القتال بينهما يسيراً، حتى وافاهم أدهم بن

---

(1) قال المناوي: " وقد غلب على ابن العربي الغض من أهل البيت، حتى قال: قتله بسيف جده ". فيض، ج1، ص205.

(2) البلاذري، أنساب، ج6، ص366. الطبري، تاريخ، ج5، ص558. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص29. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص488. ابن كثير، البداية، ج11، ص684.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص 29.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص46. المزي، تهذيب، ج11، ص456.

(5) النُخَيْلة: موضع قرب الكوفة، نزله علي بن أبي طالب لما قتل أهل الأنبار عامله عليها، وفيها قُتل الخارجي عبد الله بن أبي الحوساء بعد عام الجماعة بقليل. الحموي، معجم، ج5، ص278- 279.

(6) الذهبي، سير، ج3، ص395. ابن كثير، البداية، ج11، ص702، 703، ج12، ص56. ابن العماد، شذرات، ج1، ص290. الكبي، موسوعة، ج2، ص88.

(7) البلاذري، أنساب، ج6، ص368. الطبري، تاريخ، ج5، ص584. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص3.

(8) الطبقات، ص107. المزي، تهذيب، ج11، ص456. ابن كثير، البداية، ج11، ص703.

(9) البلاذري، أنساب، ج6، ص370. الطبري، تاريخ، ج5، ص596- 598. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص81. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص36. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص7.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص598. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص7.

(11) البلاذري، أنساب، ج6، ص370- 371. الطبري، تاريخ، ج5، ص598.

محرز الباهلي في عشرة آلاف من الرجال، ما تسبب في إلحاق الهزيمة بسليمان بن صرد وأنصاره([1])

والغريب في الأمر أن خليفة بن خياط لم يتطرق إلى حركة التوابين بأي ذكر ذي بال، كما لم يشر إلى بواعثها وتداعياتها أو حتى تفاصيل أحداثها، وإن كل ما أورده بهذا الشأن في أحداث خمس وستين ينحصر في إشارته إلى قيام مروان بن الحكم بتوجيه عبيد الله بن زياد إلى العراق في ستين ألفاً من الرجال([2])، ثم أنه – وفي أحداث سنة خمس وستين – قال:" وفيها قتل سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وعبد الله التيمي من تيم اللاّت بن ثعلبة "([3])

خروج المختار بن أبي عبيد الثقفي:

كان المختار بن أبي عبيد الثقفي مسجوناً أثناء أحداث عين الوردة في الكوفة، فلما قُتل سليمان بن صرد فرّ من بقي من أصحابه إلى الكوفة، فراسل المختارُ من سجنه هؤلاء الأصحاب، فأثنى على مواقفهم، وأخذ يُمنّيهم النصر على أعدائهم، وأبلغهم بأنه مأمور من محمد ابن علي المعروف بابن الحنفية بطلب الثأر([4])، فقال له من راسلهم: " إننا بحيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا "([5])، ففرح المختار كثيراً بهذا الموقف، وقال لهم: " إني أخرج في أيامي هذه "([6])، وكان المختار قد تمكن من أن يبعث برسالة مع غلام له يُدْعى زِرْبياً إلى زوج أخته صفية عبد الله بن عمر، يطلب منه مساعدته على الخروج من السجن([7])، ففعل ابن عمر ما طُلب منه([8])، وجرى إطلاق سراحه، ثم توجه إلى بيته فنزل فيه([9])،

ولما استقر المقام بالمختار في داره، أخذ الشيعة يترددون إلى بيته، حتى اتفقوا على القبول بزعامته، فلما أحس عبد الله بن الزبير بأن نفوذ المختار في تزايد مستمر، عمد إلى عزل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وعيَّن عبد الله بن مطيع والياً على الكوفة([10])، وجرى تعيين

---

(1) البلاذري، أنساب، ج6، ص371. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص81- 82. ابن كثير، البداية، ج11، ص700.

(2) تاريخ، ص262.

(3) المصدر نفسه، ص262.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص27.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص27.

(6) المصدر نفسه، ج4، ص27.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص8. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص27.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص8. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص88. ابن كثير، البداية، ج12، ص6.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص9.

(10) المصدر نفسه، ج6، ص9. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص89.

إياس ين مضارب على شرطة الكوفة([1])، الذي سرعان ما علم بتحركات المختار كافة، فذهب إلى والي الكوفة عبد الله بن مطيع، فطلب منه القيام بوضع المختار في السجن([2])، واستجاب ابن مطيع لهذه النصيحة، دون أن يتمكن من فعل ذلك([3])

بدأ المختار يستعد لإعلان ثورته على عبد الله بن الزبير، فعبأ رجاله، وتهيأ للوثوب على الكوفة([4])، وأرسل عبد الله بن مطيع شبث بن ربعي مع ثلاثة آلاف إلى المختار، كما وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط([5])، واقتتل الناس، وقتل خزيمةُ بن نصر العبسي راشدَ بن إياس([6])، وهُزمت قوات راشد، وتقاتلا قتالاً عنيفاً حتى كُتبت الغلبة لأنصار المختار على رجال والي الكوفة([7])، ثم خرج عبد الله بن مطيع من القصر، واستقر به المطاف إلى دار أبي موسى الأشعري([8])، وبايع الناسُ المختار([9])، وكان ذلك في سنة ستٍ وستين([10])

واللافت للنظر أن خليفة بن خياط لم يتطرق بالتفاصيل المصاحبة لهيمنة المختار على الكوفة، إلا من خلال فقرة واحدة ذكرها في أحداث سنة ست وستين، حيث قال: " فيها غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة، فقتل بجَبَّانة السبع([11]) رفاعة بن شداد، وحبيب ابن صهبان، وعبد الله بن سعد بن قيس "([12])

ولقد حرص المختار على قتل كل الذين شاركوا في قتل الحسين، حيث أمر أتباع بتسميتهم وملاحقتهم، ثم بقتلهم من بعد ذلك([13])، كما وقتل – وفق رواية خليفة–عمرَ بن سعد بن أبي وقاص وابنَه حفص، وبعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد وظَبيان بن عمارة إلى ابن الحنفية([14])

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص10.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص11.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص11– 12. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص89.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص23.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص23.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص27.

(7) المصدر نفسه، ج6، ص27.

(8) المصدر نفسه، ج6، ص31– 32.

(9) المصدر نفسه، ج6، ص32. سالم، تاريخ، ص383. الريس، عبد الملك، ص152.

(10) ابن كثير، البداية، ج12، ص5. الذهبي، العبر، ج1، ص54.

(11) جَبَّانة السبع: ناحية بالكوفة، والجبانة في الأصل الصحراء، لكن أهل الكوفة يسمون المقبرة جبانة، وتوجد في الكوفة أكثر من جبانة، لكن جبانة السبع أو السبيع هي المقصودة هنا. الحموي، معجم، ج2، ص99–100.

(12) تاريخ، ص263.

(13) الطبري، تاريخ، ج6، ص57.

(14) الطبقات، ص243. ينظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص62.

ولم يذكر خليفة بن خياط في أولئك الذين قتلهم المختار انتقاماً لمقتل الحسين قبل معركة الخازر([1])، سوى عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص، حيث اكتفى – في معرض حديثه عن المختار في أحداث سنة ست وستين – بالقول: " وقَتَل عمرَ بن سعد بن أبي وقاص، وابنَه حفص بن عمر بن سعد "([2])، وطال القتل عبيد الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر([3]) في معركة الخازر([4])، ثم أخذ رأس عبيد الله، وجرى إحراق جثته بالنار([5])، وكان مقتله في عاشوراء من سنة سبع وستين([6])، وقُتل كلٌ من شرحبيل بن ذي الكلاع([7])، والحصين بن نمير في ذات الموقعة([8])، وأشار خليفة بن خياط إلى معركة الخازر في أحداث سنة ست وستين، واقتصرت إشارته على فقرةٍ جاء فيها: "وفيها قتل إبراهيم بن الأشتر ابنَ زياد بالخازر من أرض الموصل، وحصين بن نمير

---

(1) وهي معركة عظيمة وقعت بالموصل في سنة سبع وستين، بين قوات أهل الشام بقيادة عبيد الله بن زياد وحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع، وكانوا في أربعين ألفاً، وبين إبراهيم بن الأشتر الذي كان في ثمانية آلاف، وكان سببها أن عبيد الله بن زياد كان يقاتل زفر بن الحارث لمدة عام تقريباً، وظل يتابع قتاله حتى وصل الموصل، الواقعة تحت سيطرة المختار، فهرب عامل المختار على الموصل إلى تكريت، وهزم أهل الشام جيشاً للمختار مكون من ثلاثة آلاف من المقاتلين، واحتلوا على إثر ذلك مدينة الموصل، ما دفع المختار لأن يرسل إليهم جيشاً عظيماً بقيادة إبراهيم بن الأشتر، الذي تمكن من أن يهزم في هذه المعركة أهل الشام هزيمة نكراء، وقتل فيها زعماء جيشهم كعبيد الله بن زياد وحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع، ونصبت رؤوسهم في مكة والمدينة. الذهبي، العبر، ج1، ص54. ابن العماد، شذرات، ج1، ص292. الريس، عبد الملك، ص153- 154. أبو النصر، عبد الملك، ص97.

(2) تاريخ، ص263.

(3) وهو ابن مالك الأشتر صاحب الإمام علي بن أبي طالب، وكان " أحد الأبطال والأشراف كأبيه، وكان شيعياً فاضلاً، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد بن أبيه يوم وقعة الخازر "، وهو من أمراء مصعب بن الزبير، وقتل معه في سنة اثنتين وسبعين. الذهبي، سير، ج4، ص35.

(4) ابن العماد، شذرات، ج1، ص292. فياض، تاريخ، ص179.

(5) البلاذري، أنساب، ج6، ص426. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص126- 129. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص63. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص62. ابن كثير، البداية، ج12، ص45- 47. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص38. العش، الدولة، ص197. بروكلمان، تاريخ، ص133. سالم، تاريخ، ص384.

(6) ابن كثير، البداية، ج12، ص48، 67.

(7) البلاذري، أنساب، ج6، ص426. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص129. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص38. سالم، تاريخ، ص384.

(8) البلاذري، أنساب، ج6، ص426. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص63. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص62. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص38. سالم، تاريخ، ص384.

السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع في ناس من أهل الشام، وقُتل من أصحاب ابن الأشتر هبيرةُ بن يريم، الذي روى عنه أبو إسحاق السبيعي "([1])

وفي سنة سبع وستين خرج مصعب بن الزبير من مكة إلى الموصل، وعلم المختار بذلك، فجعل أحمر بن شميط على رأس جيش كثيف، وذهب إلى مصعب، وعسكر في المَذار([2])، ثم جاء مصعب حتى عسكر بالقرب منهم، وعمل الفريقان على تعبئة جيوشهما([3])، وأمر مصعبُ عبّادَ بن الحصين بقتال القوم، ودارت بينهما معركة شرسة لم تبقِ من جيش ابن شميط إلا قليلاً([4])، فلما علم المختار بأمر الهزيمة، قال: " ما من الموت بُدّ، وما من ميتة أموتها أحب إليَّ من مثل ميتة ابن شميط، حبَّذا مصارعُ الكرام "([5])، ولم يتحدث خليفة عن هذه المعركة سوى أنه أوردها في أحداث سنة سبع وستين، دون أن يذكر تفاصيلها أو الأحداث التي واكبتها، حيث قال: " وفيها وقعة المذار "([6])

ثم تجهز المختار في عشرين ألفاً([7]) لملاقاة مصعب بن الزبير، فلما تلاقى الجمعان في منطقة حروراء على مقربة من الكوفة، انكشف أصحاب المختار، سيما بعد قدوم عامل عبد الله بن الزبير في فارس المهلب بن أبي صُفْرة([8]) في الرجال والأموال([9])، فتراجع المختار ومن تبقى من رجاله إلى القصر([10])،

---

(1) تاريخ، ص263.

(2) المَذار: بلدة تقع في ميسان، بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان، وبينها وبين مدينة البصرة أربعة أيام، وكان عتبة بن غزوان قد افتتحها أيام عمر بن الخطاب. الحموي، معجم، ج5، ص88. وقَصَبة البلد: مدينته، وقيل: معظمه، والقَصَبَة: جوف الحصن يبنى فيه بناء هو أوسطه، وقصبة البلاد: مدينتها، والقَصَبة: القرية، وقَصَبة القرية: وسطها. ابن منظور، لسان، ج1، ص676- 677.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص95- 96.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص96- 97.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص98- 99. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص65. الذهبي، سير، ج3، ص543.

(6) تاريخ، ص264.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص115.

(8) هو ظالم بن سراق بن صبح، ويكنى أبا سعيد، وكان " سيداً، جليلاً، نبيلاً "، عمل لدى عبد الله بن الزبير، وأخباره كثيرة فيما يتعلق بالفتوحات، أو قتال الخوارج، وشارك في فتح سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان، وعمل لدى الأمويين بعد القضاء على الحركة الزبيرية، وورد خراسان والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان سنة تسع وسبعين للهجرة. ابن خلكان، وفيات، ج5، ص350- 359.

(9) الذهبي، سير، ج3، ص543. زعرور، أحمد، تاريخ، ص50. فياض، تاريخ، ص179.

(10) الطبري، تاريخ، ج6، ص101. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص136.

وقتل في هذه المعركة عبيد الله بن علي بن أبي طالب([1])، ومحمد بن الأشعث بن قيس ابن أخت أبي بكر الصديق، وكانا مع مصعب بن الزبير([2])، وبقي الحصار أربعة أشهر([3])، فلما طال أمد الحصار خرج المختار في تسعة عشر رجلاً فيهم السائب بن مالك الأشعري([4])، وقاتل المختار قتالاً ضارياً حتى قُتل([5])، وهو ابن سبع وستين سنة، وذلك في سنة سبع وستين([6])، وقيل: سنة تسع وستين([7])، واحتز رأسه أخوان من بني حنيفة، هما: طريف وطَرّاف، وجاءا بها إلى مصعب بن الزبير، فوهبهما ثلاثين ألف درهم([8])، وفيما يتعلق بمقتل المختار، فإن خليفة بن خياط تحدث في أحداث سنة سبع وستين عن هذا الأمر بكثير من الإيجاز، حيث قال: " وقُتِل المختار بن أبي عبيد، دخل عليه القصرَ طريفٌ وطرافٌ، أخوان من بني حنيفة، فقتلاه، وأتيا مصعباً برأسه، فأعطاهما ثلاثين ألفاً "([9])

ثم أمر مصعب بن الزبير بكف المختار " فقُطعت ثم سُمّرت بمسمار حديد إلى جنب المسجد، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف، فنظر إليها فقال: ما هذه؟ قالوا: كف المختار، فأمر بنزعها "([10]) وهكذا دان العراق لعبد الله بن الزبير، ولم يعترض طريق سلطانه على البلاد الإسلامية إلا سلطان عبد الملك بن مروان([11])

---

(1) البلاذري، أنساب، ج6، ص444. الطبري، تاريخ، ج6، ص104. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص137. ابن كثير، البداية، ج12، ص61. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص40. الذهبي، تاريخ، ج5، ص57. ابن العماد، شذرات، ج1، ص293. الذهبي، سير، ج4، ص134، ج3، ص543.

(2) ابن طاهر، البدء، ج6، ص22- 23. ابن العماد، شذرات، ج1، ص293.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص115. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص72. محمد، تاريخ، ص219.

(4) كان خليفة المختار على الكوفة إذا خرج إلى المدائن، وكان متزوجاً من عمرة بنت الصحابي أبي موسى الأشعري، فولدت له غلاماً سماه محمداً، وكان هذا الغلام مع أبيه في القصر، فلما قتل أبوه، وأخذ من في القصر، وجدوه صبياً فتركوه. الطبري، تاريخ، ج6، ص107.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص107. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص138- 139.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص116. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص68. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص72. الشكعة، إسلام، ص180. عيسى، الحزبية، ص190- 191.

(7) ابن قتيبة، المعارف، ص356. البلاذري، أنساب، ج6، ص444.

(8) الدينوري، الأخبار، ص448. الذهبي، سير، ج3، ص543.

(9) تاريخ، ص264.

(10) البلاذري، أنساب، ج6، ص444. الطبري، تاريخ، ج6، ص110. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص65- 66. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص69. ابن كثير، البداية، ج12، ص67. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص40. الذهبي، سير، ج3، ص544.

(11) أبو النصر، عبد الملك، ص109.

والأمر الذي لفت انتباه الباحث أن خليفة بن خياط لم يتطرق إلى مسألة لطالما ارتبط ذكرها بالحديث عن المختار، ألا وهي الإدعاء بنزول جبريل عليه، وهي القضية التي أشار إليها كثير من المؤرخين، أمثال ابن عبد ربه([1])، وابن قتيبة([2])، وابن الجوزي([3])، وابن كثير([4])، وابن العماد([5])، وكارل بروكلمان([6])، مع أن آخرين يميلون إلى أن المختار " كان له أعداء كثيرون في حياته، فهم يحملون عليه ويذمونه، ويتبع الناس في ذكر سيرته ما قال أعداؤه فيه، لكن دراسة تاريخ المختار وأعماله – على النحو الذي فعلنا – تبين تماماً صدق عقيدته، وقوة شخصيته، وسلامة هدفه، فهو كان مخلصاً لمبدئه الذي عاش ومات من أجله، وهو نصرة آل البيت والأخذ بثأرهم، وهو شخصية عربية مليئة بالحيوية، تثير الإعجاب "([7])، حتى ولو كان في صنيعه هذا ما يعتبره البعض أنه تهديد لـ " التركيب الاجتماعي لمجتمع الكوفة، وضرب في الصميم مصالح الكتلة المتنفذة "([8])، لكن الحقيقة الجلية أن المختار كان " يهتم اهتماماً صادقاً بالوضع الاجتماعي السيء للموالي، ويعمل على إصلاحه "([9])

---

(1) يقول ابن عبد ربه: " ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب، وإنما أراد أن يستأصل الناس، فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته، فادعى أن جبريل ينزل عليه، ويأتيه بالوحي من الله ". العقد، ج5، ص153.

(2) يقول ابن قتيبة: " وكان يزعم أن جبريل يأتيه ". المعارف، ص401.

(3) يقول ابن الجوزي: " وكان يقول: قام الآن عن هذه الوسادة جبريل، وعن الأخرى ميكائيل "، المنتظم، ج6، ص67.

(4) قال ابن كثير: " ثم زالت دولة المختار كأنْ لم تكن، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً، بل كان كاذباً وكاهناً، وكان يزعم أن الوحي ينزل عليه، على يد جبريل يأتي إليه". ابن كثير، البداية، ج12، ص68.

(5) قال ابن العماد: " والمختار بن أبي عبيد الثقفي كان مُتلوِّناً كذاباً، يدعو مرةً إلى محمد بن الحنفية، ومرةً لابن الزبير، حتى ادعى آخراً أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء " شذرات، ج1، ص293.

(6) قال كارل بروكلمان: " سارع المختار إلى انتهاج سبيل آخر: طفق يبشر بوحي من الملك جبريل على ما زعم ". تاريخ، ص132.

(7) الريس، عبد الملك، ص174- 175.

(8) عمر، التاريخ، ص48.

(9) دكسن، الخلافة، ص111.

حركة عبد الله بن الزبير:

تعرضت حركة عبد الله بن الزبير منذ نشأتها إلى ثلاثة أخطار خارجية، ظهر الخطر الأول في سنة ستين، أي في حياة يزيد بن معاوية، الذي عزل والي المدينة الوليد بن عتبة، وأرسل عمرو بن سعيد بن العاص والياً عليها([1])، فلما وصل الوالي الجديد المدينة صعد المنبر، فذكر ابن الزبير وتعوذه بمكة، فقال: " تعوذ بمكة، فوالله لنغزونَّه، ثم والله لئن دخل مكة لنحرقها عليه، على رغم أنف من رغم "([2])، ثم إنه عيَّن عمرو بن الزبير على رأس حملة عسكرية للقضاء على أخيه عبد الله بن الزبير المقيم بمكة، فوجه إليه عبدُ الله بن الزبير مصعبَ بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن صفوان لملاقاته، فانهزم جيش أهل الشام، وأُسر عمرو بن الزبير، فجلده أخوه عبدُ الله مائة جلدة، وسجنه حتى مات([3])

أما الخطر الثاني فتمثل في مقتل ابنه مصعب وخروج العراق من يده([4])، بينما كان الثالث متمثلاً في حصار الحجاج له في مكة، والإفضاء إلى وضعِ حدٍ نهائي لحركته، وهو ما سيشير إليه الباحث تفصيلاً في الصفحات القادمة.

على أثر رجوع الحصين بن نمير إلى بلاد الشام، وبعد أن جرى بناء الكعبة من جديد، تعززت مكانة عبد الله بن الزبير كثيراً، حتى دعا الناس إلى نفسه، فملك الحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام إلا الأردن([5])، وقد ذكر خليفة بن خياط توقيت أخذ ابن الزبير البيعة لنفسه، فقال:

" وفي سنة أربع وستين، دعا ابن الزبير إلى نفسه، وذلك بعد موت يزيد بن معاوية، فبويع في رجب لسبع خلون من سنة أربع وستين، ولم يكن يدعو إليها، ولا يُدعا لها حتى مات يزيد "([6])، وفي موضع آخر تطرق خليفة بن خياط لأمر البيعة، فقال: " وإنما كان ابن الزبير يدعو قبل ذلك إلى أن تكون شورى بين الأمة فلما كان بعد ثلاثة أشهر من وفاة يزيد بن معاوية دعا إلى بيعة نفسه فبويع له بالخلافة لتسع خلون من رجب سنة أربع وستين "([7])، وأنه بعد أخذ البيعة بعث على "صلاة الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وعلى الخراج إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله، وذلك في شهر رمضان سنة أربع وستين، وأقرَّ عبد الله بن الحارث على البصرة أربعين يوماً، ثم

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص233.

(2) المصدر نفسه، ص233.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج7، ص184- 185. الطبري، تاريخ، ج5، ص343- 347.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص267- 268.

(5) ابن طاهر، البدء، ج6، ص18.

(6) تاريخ، ص257.

(7) المصدر نفسه، ص258.

كتب إلى أنس بن مالك يصلي بالناس "([1])، ويروى أن عبد الله بن الزبير قد أعد الحطب ليحرق محمد بن الحنفية وأهل بيته بسبب امتناعه عن بيعته([2])، لكن خليفة بن خياط لم يذكر في دعوة عبد الله بن الزبير لابن الحنفية إلى بيعته في أحداث سنة خمس وستين سوى قوله: " وفيها دعا ابن الزبير محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية إلى بيعته، فأبى، فحبسه في شعب بني هاشم في عدة من أصحابه، منهم عامر بن واثلة أبو الطفيل([3])، وأوعدهم وعيداً شديداً، حتى بعث المختار أبا عبد الله الجدلي، فأخرجهم من الحصار "([4])

وفي سنة إحدى وسبعين أتم عبد الملك بن مروان استعداداته العسكرية لغزو العراق، وذلك بعد أن " صفت له الشام وأهلها "([5])، بالإضافة إلى مصر الذي استرجعها أبوه مروان بن الحكم من سيطرة الزبيريين قبل مماته بشهرين([6])، ولقد خطب عبد الملك في الناس يأمرهم بالتهيؤ لقتال والي العراق مصعب بن الزبير([7])، وخرج عبد الملك على رأس الجيش، حتى أقام في مَسْكِن، أما مصعب بن الزبير، فإنه سار إلى باجُمَيْرا([8])، ونزل فيها([9])

واقترب الجيشان من بعضهما البعض، حتى إذا كانا في دَيْر الجاثليق([10]) من مَسْكِن، حمل إبراهيم بن الأشتر على محمد بن مروان، فكشفه، فوجه عبدُ الملك بن مروان عبدَ الله بن يزيد ابن معاوية كقوة مساندة لمحمد بن مروان، فقتل إبراهيم بن الأشتر([11])، وما إن قتل ابن الأشتر حتى هُزم الزبيريون([12])، وعندها أمر مصعب ابنه عيسى بالفرار إلى مكة كي يخبر عمه عبدَ الله

---

(1) تاريخ، ص259.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص76- 77. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص60. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص53.

(3) وُلد عام أحد، وأدرك من حياة النبي ثمان سنين، وهو آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وفاة بالإجماع، وكان من أنصار علي بن أبي طالب شهد معه حروبه كلها. ابن أبي خيثمة، التاريخ، ج3، ص46- 47. البداية، ج12، ص672.

(4) تاريخ، ص262.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص156. الريس، عبد الملك، ص16.

(6) ابن كثير، البداية، ج11، ص703. الريس، عبد الملك، ص15، 128.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص156- 157.

(8) باجُمَيْرا: موضع دون تكريت، وهي من أرض الموصل. الحموي، معجم، ج1، ص314.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص157.

(10) دَيْر الجاثليق: دير قديم البناء، قرب بغداد، يقع في غربي دجلة، وبالقرب من دير الثعالب. الحموي، معجم، ج2، ص503.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص157- 158.

(12) المصدر نفسه، ج6، ص158.

بـن الزبيـر، فـرفض([1])، وقاتـل عيـسى بـين يـدي والـده حتـى قُتـل، أمـا مـصعب فقـد قُتـل مثخنـاً بالجراح([2])، وكان ذلك في سنة اثنتين وسبعين([3])

ولقد أشار خليفة بن خياط سريعاً إلى بعض الوقائع ذات الصلة بمعركة دير الجاثليق التي وقعت في سنة اثنتين وسبعين، على الرغم من أهميتها التاريخية، ويمكن أن نوجز ما قاله بشأنها في النقاط التالية:

1. أورد خليفة رواية تفيد بأنه " في سنة اثنتين وسبعين غزوة أمير المؤمنين الكوفة "([4])
2. ذكر خليفة مقتل مصعب بن الزبير في سنة اثنتين وسبعين، فقال: " وفيها قتل المصعب بن الزبير في مسكن "([5])، وفي موضع آخر قال: " فيها قتل مصعب بن الزبير "([6])
3. أشـار خليفـة إلـى وفيـات بعـض الأعيـان فـي ولايـة مـصعب بـن الزبيـر، وهمـا: البـراء ابن عازب، وعبد الله بن أبي حَدْرد([7])
4. أشار خليفة إلى أن مصعباً قُتل وهو " ابن أربعين سنة "([8])

وفي نفس السنة، وجه عبدُ الملك بن مروان الحجاجَ بن يوسف الثقفي إلى مكة، في ألفين من أهل الشام([9])، وقيل: في ثلاثة آلاف([10])، بهدف القضاء على حركة عبد الله بن الزبير، وقد كتب عبد الملك لأهل مكة بالأمان إن دخلوا في طاعته([11])، ويكتفي خليفة بن خياط في هذا الخصوص، وفي أحداث سنة اثنتين وسبعين، إلى الإشارة بتوجيه عبد الملك بن مروان الحجاج إلى ابن الزبير، فيقول: " وفيها وجّه عبد الملك الحجاجَ بن يوسف إلى أهل مكة لقتال ابن الزبير "([12])، وكان ابن الزبير يرسل طلائع من خيله، وكذلك يفعل الحجاج، فتقتتلا، وتكون الغلبة دوماً

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص158.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص159. الذهبي، العبر، ج1، ص59. فلهوزن، تاريخ، ص192.

(3) ابن خياط، الطبقات، ص241. الطبري، تاريخ، ج6، ص162. الذهبي، العبر، ج1، ص59.

(4) تاريخ، ص267.

(5) المصدر نفسه، ص268.

(6) المصدر نفسه، ص268.

(7) المصدر نفسه، ص268.

(8) المصدر نفسه، ص268.

(9) ابن سعد، الطبقات، ج7، ص225. الطبري، تاريخ، ج6، ص174. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص119. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص122. خماش، الشام، ص166.

(10) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص122. محمد، تاريخ، ص221. خماش، الشام، ص166.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص174. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص119.

(12) تاريخ، ص268.

لخيل الحجاج([1])، ولما طال بهم الأمد، كتب الحجاج إلى عبد الملك " يستأذنه في حصار ابن الزبير، ودخول الحرم عليه، ويخبره أن شوكته قد كَلَّت([2])، وتفرق عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يمده برجال "([3])، فأرسل عبد الملك إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف من الرجال([4])، وكانت العير تأتي من الشام إلى الحجاج، وهي محمّلة بالكعك والسَّويق([5]) والدقيق([6])، بينما دام الحصار على عبد الله بن الزبير ستة أشهر وسبع عشرة ليلة([7])، وقيل: ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة([8])، وقيل: ثمانية أشهر فقط([9])، حيث نصب الحجاج خمس مجانيق على البيت، وضربه بها([10])، ويؤكد خليفة بن خياط أثناء حديثه عن ما وقع في سنة اثنتين وسبعين من أحداثٍ واقعةَ نصب المنجنيق، فيقول: " وفيها كان أول وقعة بينهم في ذي القعدة، وفيها نصب الحجاج المنجنيق على الكعبة "([11])، واستمر الحصار حتى تفرق أصحاب ابن الزبير من حوله، وقيل أن حوالي عشرة آلاف رجل خرجوا من عند ابن الزبير، والتحقوا بالحجاج([12])، كان من بينهم: حمزة بن عبد الله بن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص174. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص161. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص119. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص122. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص72. الذهبي، تاريخ، ج5، ص312.

(2) وقيل: " ويخبره أن شوكته قد قلَّت ". ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص119.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص174- 175. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص161. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص72. الذهبي، تاريخ، ج5، ص312. الخربوطلي، تاريخ، ص164.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج7، ص226. الطبري، تاريخ، ج6، ص175. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص161- 162. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص119- 120. الخربوطلي، تاريخ، ص164.

(5) السَّويق: نوع من أنواع الطعام، يُتَّخَذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسُمّي بذلك لانسياقه في الحلق. ابن منظور، لسان، ج1، ص90. الرازي، مختار، ص135. أنيس وآخرون، المعجم، ج1، ص465.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص175. خماش، الشام، ص167.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج7، ص226. الطبري، تاريخ، ج6، ص187. الذهبي، تاريخ، ج5، ص312. الصفدي، تحفة، ج1، ص116. الصفدي، الوافي، ج17، ص92.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص187. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص124.

(9) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص162. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص72.

(10) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص162. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص124. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص122. الذهبي، تاريخ، ج5، ص310. سالم، تاريخ، ص399. علي، تاريخ، ص187. الخربوطلي، تاريخ، ص167. بروكلمان، تاريخ، ص134. زعرور، أحمد، تاريخ، ص53.

(11) تاريخ، ص269.

(12) الطبري، تاريخ، ج6، ص188. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص162. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص123. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص72. ابن كثير، البداية، ج12، ص179.

الزبير وأخيه خبيب، وذلك بعد أن أخذا الأمان لنفسيهما([1])، ثم إن ابن الزبير قد رُمي بآجُرّة أدْمَت وجهه، وسقط على الأرض([2])، وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين([3])، فلما علم أهل الشام بمقتله كبّروا([4])، وقتل معه عبد الله بن مطيع الذي كان والياً على الكوفة قبل غلبة المختار([5])، حيث أصابه حجر منجنيق فقتله([6])، ويُذْكَر أن الحجاج لما دخل مكة " بايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان "([7])

وما عاشت أسماء بنت أبي بكر([8]) بعد مقتل ابنها عبد الله إلا مائة يوم([9])، وقيل: ثلاثة أيام فقط([10])، بعد أن بلغت من العمر حين وفاتها مائة سنة([11])، وكان خليفة بن خياط قد ذكرها في وفيات سنة ثلاث وسبعين، دون أن يحدد الأيام التي ماتت فيها بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير([12])، ولم يدخل خليفة بن خياط في إيراد التفاصيل المتعلقة بمقتل عبد الله بن الزبير، وإنما اكتفى بذكر الفقرة التالية:

" فيها قُتل عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء، لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وقتل وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، ولد عام الهجرة "([13])، دون أن يتحدث عن واقعتَيْ ذهاب ابن الزبير إلى أمه، وحادثة صلبه بعد مقتله.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص188. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص162. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص125. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص123. شاهين، الدولة، ص346. بروكلمان، تاريخ، ص134.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص192. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص164. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص164. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص73. الذهبي، تاريخ، ج5، ص311.

(3) ابن خياط، الطبقات، ص13، 232. القضاعي، عيون، ص338. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص51.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص126. الصفدي، الوافي، ج17، ص94. ابن كثير، البداية، ج12، ص187.

(5) الذهبي، العبر، ج1، ص60.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص269.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص192- 193. ابن طاهر، البدء، ج6، ص26.

(8) أخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاةً، وهي أسن من عائشة ببضع عشرة سنة، وزوجها الزبير ابن العوام، لكنه طلقها في زمن عثمان. الذهبي، سير، ج2، ص287- 296، ج3، ص380.

(9) ابن كثير، البداية، ج12، ص213.

(10) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص140.

(11) ابن كثير، البداية، ج12، ص224.

(12) تاريخ، ص269.

(13) المصدر نفسه، ص269.

فتنة عمرو بن سعيد بن العاص:

أورد خليفة بن خياط بعض التفاصيل المتعلقة بتمرد عمرو بن سعيد وتحصنه بدمشق ومقتله، في أحداث سنة سبعين([1])، حيث أطلق لفظة " خَلَعَ " على حركة التمرد التي قام بها عمرو بن سعيد ضد عبد الملك بن مروان([2])، كما وأشار إلى أن عمرو بن سعيد بن العاص أخرج عبد الرحمن بن أم الحكم من دمشق، حيث كان خليفة عليها([3])، ثم أنه أورد أن عبد الملك بن مروان سار إلى عمرو بن سعيد وهو متحصن في دمشق وأنهما اصطلحا على " أن يكون عمرو الخليفة بعد عبد الملك، وعلى أن لعمرٍ مع كل عامل عاملاً "([4])، بالإضافة إلى أن دمشق قد فتحت أبوابها، بعد هذا الصلح، ودخلها عبد الملك([5])، ولم يغفل الإشارة إلى أن السبب في غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد هو النزاع على السلطة، حيث نقل خليفةُ كلمة عبد الملك لعمرو بن سعيد قبل مقتله: " لو أعلم أن تبقى وتصلح قرابتي لفديتك بدم النواظر([6])، ولكنه قلما اجتمع فحلان في إبل، إلا أخرج أحدهما صاحبه "([7])، ثم إنه استخدم عبارة " ثم غدر به فقتله "، قاصداً بذلك عبد الملك بن مروان([8])، وكأنَّ خليفة لم يعجبه هذا الصنيع من عبد الملك بن مروان حيال عمرو بن سعيد بعد أن أمّنه.

ويعتبر عمرو بن سعيد من رموز البيت الأموي، حيث كان أحد المرشحين لخلافة مروان بن الحكم في الخلافة، وذلك من بعد خالد بن يزيد بن معاوية([9])، ولقد وقف عمرو بن سعيد مع مروان بن الحكم في مسيرة نضاله، سيما ضد الضحاك بن قيس في مرج راهط، فلما مات مروان وجرت البيعة لابنه عبد الملك، سمع الخليفة الجديد بأن مصعب بن الزبير يسير بجيشه من العراق صوب الجزيرة، فخرج إليه في جيشه([10])، وقيل: كان متوجهاً إلى قرقيسياء، وفيها زفر بن

---

(1) تاريخ، ص266- 267.

(2) المصدر نفسه، ص266.

(3) المصدر نفسه، ص266.

(4) المصدر نفسه، ص266.

(5) المصدر نفسه، ص266.

(6) النَّاظر في المُقْلَة: السواد الأصغر في العين. الرازي، مختار، ص278.

(7) تاريخ، ص266.

(8) المصدر نفسه، ص266.

(9) الطبري، تاريخ، ج5، ص537.

(10) البلاذري، أنساب، ج6، ص58. الطبري، تاريخ، ج6، ص140.

الحارث([1])، فلما وصل بُطْنان حبيب([2])، قال عمرو بن سعيد لعبد الملك: " إنك تشخص إلى العراق، فقد كان أبوك أوعدني أن يوليني الأمر بعده، وعلى ذلك قمت بشأنه، وحاربت معه، فاجعل لي الأمر بعدك "([3])، فلم يرد عبد الملك بن مروان عليه بما يدخل السرور والطمأنينة على قلبه([4])، فترك عمرو بن سعيد عبدَ الملك بن مروان ليلاً، وعاد إلى دمشق، وعليها عبدُ الرحمن بن أم الحكم الثقفي، واصطحب معه حُمَيد بن حريث بن بحدل الكَلْبي، وزهير بن الأبرد الكلبي، فلما دخل عمرو دمشق، سيطر عليها، ووضع يده على خزائنها، بعد أن هرب منها عبد الرحمن([5])، فعمد عمرو بن سعيد إلى هدم داره([6])، ومال الناس إليه، حتى بايعه وجوه أهل دمشق، وذلك لسخائه وجوده([7])، وتهيأ عمرو بن سعيد للحصار، فأغلق أبواب المدينة، وجعل على شُرَطه عبد الله بن يزيد، وأعطى سكانها عطايا كثيرة، وهو الصنيع الذي اعتبره ضياء الدين الريس " مؤامرة لقلب الدولة "([8])، وجزم من ناحيته بأن عمرو بن سعيد إنما قصد من هذه الخطوة أن " يقلب الدولة، ويخلع عبد الملك، ويحل نفسه محله في الخلافة "([9])

فلما علم عبد الملك بهذه التطورات، ترك وجهته، وقفل راجعاً إلى دمشق حيث يعتصم عمرو بن سعيد([10])، فوجد عمرو بن سعيد قد انحاز إلى حصن رومي منيع بدمشق([11])، فضرب عليه حصاراً مدة ستة عشر يوماً([12])، ومكث يراسل عمرو بن سعيد ويمنّيه، حتى عرض عليه تولية بيت المال والديوان، وأن يجعل له ولاية العهد قبل عبد العزيز بن عبد الملك، وكتب عبد الملك في ذلك كتاباً([13])، فخرج عمرو بن سعيد من حصاره في خمسمائة رجل لا يفارقونه في

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص140. ابن كثير، البداية، ج12، ص114. أبو النصر، عبد الملك، ص103- 104. خماش، الشام، ص164. الريس، عبد الملك، ص202.

(2) بُطْنان حبيب: موضع بأرض الشام، كان عبد الملك بن مروان يشتو فيه أثناء حربه مع مصعب بن الزبير. الحموي، معجم، ج1، ص447- 448.

(3) البلاذري، أنساب، ج6، ص58. الطبري، تاريخ، ج6، ص140. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص89- 90.

(4) البلاذري، أنساب، ج6، ص60.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص140. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص86. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص41.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص86.

(7) البلاذري، أنساب، ج6، ص59.

(8) عبد الملك، ص202.

(9) المرجع نفسه، ص203.

(10) البلاذري، أنساب، ج6، ص59- 60، 66.

(11) ابن كثير، البداية، ج12، ص114.

(12) المصدر نفسه، ج12، ص115. الكبي، موسوعة، ج2، ص93. الريس، عبد الملك، ص203.

(13) البلاذري، أنساب، ج6، ص59.

سفر، ولا في حضر([1])، وبعد انقضاء اليوم الرابع من قدوم عبد الملك بن مروان إلى دمشق، دعا عمرو بن سعيد لزيارته([2])، فلما حضر قال عبد الملك بن مروان لأبي الزُعَيْزِعة: " لا أنصرفنّ من الصلاة إلا وقد كفيتنيه "([3])، فقتله أبو الزُعَيْزِعة قبل انصراف عبد الملك عن مجلسه([4])، وقيل: إن عبد الملك جلس على صدره فذبحه([5])، وكان التحصن بدمشق في سنة تسع وستين([6])، بينما كان مقتل عمرو بن سعيد في سنة سبعين([7])، وقيل: سنة تسعة وستين([8])

وما إن سمع أصحاب عمرو بن سعيد بمقتله، حتى وثبوا على بيت المال بدمشق فنهبوا كل ما فيه، فلم يتعرض لهم عبد الملك في شيء، حتى إذا استقام له الأمر استرجعه كله، ومائة ألف درهم زيادة([9])، وكان قتل عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد بمثابة " أول غَدْرة ظهرت في الإسلام "([10])، وأضحى عبد الملك بهذه الفعلة " أول من غدر في الإسلام "([11])، وإن كان ضياء الدين الريس يرى غير هذا، حيث اعتبر أن عمرو بن سعيد هو الذي غدر بعبد الملك، بل هو الذي بدأ بالغدر([12])، حيث يقول: " أليس هذا ما نسميه في الدول الحديثة بأنه التآمر لقلب نظام الحكم، أو الدولة، وإحداث الفتن ومحاولة القضاء على الدولة، وأليس هذا هو ما نقول عنه: إنه الخيانة العظمى، وجزاؤه – عادة – الإعدام، وهل كان يمكن أن يضحي بالدولة ومستقبلها من أجل تحقيق طموح شخصي، وإرضاء كبرياء فرد لا غاية له إلا أن يحصل على المجد لنفسه ؟!"([13])

---

(1) المصدر نفسه، ج6، ص66.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص86.

(3) البلاذري، أنساب، ج6، ص59.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص59– 60.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص145. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص88. الحسيني، مقاتل، ص208.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص92.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص140، 148. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص92.

(8) ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص43.

(9) البلاذري، أنساب، ج6، ص61.

(10) الصفدي، تحفة، ج1، ص124. علي، تاريخ، ص187.

(11) الصفدي، تحفة، ج1، ص122.

(12) عبد الملك، ص205.

(13) المرجع نفسه، ص205.

ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث:

تعرض المسلمون بقيادة والي سجستان([1]) عبيد الله بن أبي بكرة لهزيمة قاسية على يد رُتْبيل ملك الترك، وذلك في سنة تسع وسبعين([2])، وفي سنة ثمانين وقع اختيار الحجاج بن يوسف على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وذلك بهدف الولوج إلى بلاد رُتْبيل([3])، حيث اصطفى عشرين ألف رجل من الكوفيين، وعشرين ألفاً من البصريين([4])، وزودهم بالخيول والعتاد، وأخذ يستعرض الجيش بين الحين والآخر([5])، حتى أنفق على هذا الجيش ألفَيْ ألف درهم، هذا سوى أعطياتهم([6])، وكان هذا الجيش يُدعى " جيش الطواويس "([7])، وذلك لحسن زيهم وهيآتهم([8])، ولم تنته سنة ثمانين حتى وطأت أقدام المسلمين ثانيةً أرض سجستان، وسار بجنوده إلى رُتبيل حتى دخل بلاده، ما أثار الخوف والهلع في قلب رُتْبيل، الذي أخذ " يضم إليه جنده، ويدع له الأرض رُستاقاً رُستاقاً([9])، وحصناً حصناً "([10])، أما عبد الرحمن فلم يعبأ بهذه الإجراءات، حيث تمثلت سياسته في أنه " كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً، وبعث معه أعواناً "([11])، وبهذه السياسة سيطر عبد الرحمن على كثير من الأراضي التابعة لرتبيل، حتى " ملأ يديه من البقر والغنم والغنائم

---

(1) سِجِسْتان: ولاية خراسانية كبيرة، تقع إلى الجنوب من مدينة هراة، وقصبتها زَرَنج، وأرضها سبخة وسهلة، لا جبال فيها، ولا تسقط فيها الثلوج. وبين سجستان وكرمان مائة وثلاثون فرسخاً. الحموي، معجم، ج3، ص190-192.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص277. الطبري، تاريخ، ج6، ص322- 324.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص326.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص327. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص211. ابن كثير، البداية، ج12، ص297. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص60. أبو النصر، عبد الملك، ص206.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص327. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص211.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص329. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص60.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص329. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص194. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61. بروكلمان، تاريخ، ص145. عبد الفتاح، ضياع، ص21.

(8) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61.

(9) الرُّسْتاق: الصف من الناس، وقيل: البيوت المجتمعة، وجمعها رساتيق، ومن المعروف أن المملكة الساسانية جرى تقسيمها إلى أقسام إدارية كبيرة تُعْرَف بالرُّستاق، وكان هذا الرستاق يُقَسَّم إلى وحدات إدارية تسمَّى " سَتْرَبيّة "، وحاكمها اسمه " سَتْرَب "، وهو ما يوازي المحافظ في أيامنا هذه. ابن منظور، لسان، ج10، ص116. مؤنس، أطلس، ص32.

(10) الطبري، تاريخ، ج6، ص328. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص212.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص328- 329. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص212. ابن كثير، البداية، ج12، ص298. الخضري، الدولة، ص300. أبو النصر، عبد الملك، ص206.

العظيمة "([1])، حينها أمر جنده بالتوقف عن تنفيذ توغلات جديدة في أرض رتبيل([2])، وفي سنة إحدى وثمانين كتب الحجاج إلى عبد الرحمن بن الأشعث كتاباً يأمره فيه بالولوغ في أرض رتبيل([3])، ثم أرسل له كتاباً آخر([4])، ثم أردفهما بثالث جاء فيه: " فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس، فخله وما وُلِّيته "([5])، فدعا عبد الرحمن الناس، وخطب فيهم وحرّض الناس على الحجاج([6])، فبايع الناس عبد الرحمن بن الأشعث، وخلعوا الحجاجَ بن يوسف الثقفي، ولم يخلعوا عبدَ الملك بن مروان([7])، ولما وصل عبد الرحمن بلاد فارس خلعوا عبد الملك، وقالوا: " إنا إذا خلعنا الحجاج، فقد خلعنا عبد الملك "([8])، ولقد ذكر خليفة بن خياط أنه وفي سنة إحدى وثمانين خلع ابن الأشعث بسجستان، وأنه " أقبل يريد الحجاج "([9])، وقال:

" ثم ساروا وقد خلعوا الحجاج، ولا يذكرون خلع عبد الملك "([10])، وخليفةُ بهذا يؤكد أنهم إنْ كانوا خلعوا الحجاج، فإنهم لم يخلعوا عبد الملك بن مروان.

فلما بلغ الحجاج أن الناس بايعوا ابن الأشعث وأنهم خلعوه، كتب إلى عبد الملك بن مروان، يستنصره، ويسأله أن " يعجل بعثة الجنود إليه "([11])، بينما يورد خليفة بن خياط أن لأي بن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص329. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص212. الأمين، إطلالات، ص20.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص329. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص223. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص212. الخضري، الدولة، ص300. أبو النصر، عبد الملك، ص206- 207.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص334- 335. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص224. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص225. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص198. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61. الخضري، الدولة، ص300- 301. محمد، تاريخ، ص227. أبو النصر، عبد الملك، ص207. الأمين، إطلالات، ص21.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص335. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص224. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص225. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص198. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص335. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص224. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص225. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص198. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص335. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص224. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص225. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص198. فلهوزن، تاريخ، ص225.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص336. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص226. الذهبي، تاريخ، ج6، ص5.

(8) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص225. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61. الخضري، الدولة، ص301.

(9) تاريخ، ص280.

(10) المصدر نفسه، ص280.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص338. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص226. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص226. عطوان، ملامح، ص126. أبو النصر، عبد الملك، ص207- 208.

شقيق بن ثور السدوسي هو من أخبر الحجاج بأمر الخلع الذي أقدم عليه عبد الرحمن بن الأشعث([1])، وأن الحجاج – كما يروي خليفة – أرسله من فوره إلى عبد الملك بن مروان الذي أمره بـ " التشمير والجد حتى تأتيه الجنود "([2])، علماً بأن عبد الرحمن بن الأشعث كان قد صالح رُتْبيل على أنه " إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هُزم فأراده ألجأه عنده "([3])

وسار الحجاج بأهل الشام من البصرة حتى نزل في تُسْتَر، فلما انتهوا إلى دُجَيْل، هُزم مطهر بن حر في يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين هزيمة منكرة، وبلغت الهزيمة إلى الحجاج، فأمر الناس بالتوجه إلى البصرة([4])، ومضى الحجاج حتى دخل البصرة، وتبعه عبد الرحمن بن الأشعث([5])، ويروي خليفة بن خياط أن ابن الأشعث لما دخل البصرة في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين، انفض عنه معظم من كان معه من أهل البصرة([6])، فأخذ عبد الرحمن يذكرهم ببيعتهم له، ثم جلس متربعاً على المنبر، وأخذ " يتوعد الذين تخلفوا عنه توعداً شديداً "([7])، على الرغم مما رواه الطبري من أن أهل البصرة بايعوه على محاربة الحجاج، فضلاً عن خلع عبد الملك([8])، وفي سنة اثنتين وثمانين جرت بين قوات الطرفين معارك طاحنة في الزَّاوية([9])، والتي عُرفت فيما بعد – وكما يروي خليفة – بموقعة الزاوية([10])، وكانت الغلبة في بداياتها لأنصار ابن الأشعث، لولا أن سفيان بن الأبرد قد حمل على ميمنة عبد الرحمن بن الأشعث، فهزمها، فلما بلغ الحجاج هذه النصر خرّ ساجداً([11])، وقُتل الطفيل بن عامر بن واثلة وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث([12])، كما قُتِل عبد الرحمن بن عوسجة وكان – كما يقول خليفة – على ميمنة ابن

---

(1) تاريخ، ص281.

(2) المصدر نفسه، ص281.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص336. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص225. ابن كثير، البداية، ج12، ص307. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص339– 340. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص61.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص281.

(6) المصدر نفسه، ص281.

(7) المصدر نفسه، ص281.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص341.

(9) الزَّاوية: موضع بالقرب من البصرة، وهي المقصودة هنا، وهناك قرية بالموصل تحمل اسم الزاوية، وأخرى تقع بين واسط والبصرة تسمى أيضاً الزاوية، كما أن هناك موضعاً بالقرب من المدينة المنورة يحمل نفس الاسم. الحموي، معجم، ج3، ص128.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص281.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص342. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص231.

(12) الطبري، تاريخ، ج6، ص343. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص202.

الأشعث([1])، وروى خليفة أنه وبعد انتهاء هذه المعركة، كتب عبد الملك ابن مروان للحجاج " أن أدع الناس إلى البيعة، فمن أقرَّ بالكفر فخلِّ سبيله، إلا رجلاً نصب رايةً، أو شتم أمير المؤمنين "([2])، ثم توجه ابن الأشعث بعد الهزيمة إلى الكوفة، فلما وصلها استقبله أهلها([3])، ثم نزل بدير الجماجم، ومعه أهل الكوفة والبصرة والقراء من أهل المصرين، واتفق أمرهم جميعاً على قتال الحجاج من جديد، وكانوا في مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء، ومعهم مثل عددهم من مواليهم([4])، وقيل: إن جيش ابن الأشعث بلغ " ثلاثةٌ وثلاثين ألف فارس، ومائة وعشرين ألف راجل "([5])، والذي اعتبره ضياء الدين الريس بأنه " حركة تمرد وعصيان، من جيش العراق على رئيسه الأعلى وعلى الدولة، وأنه لا يمكن أن يسمح لجيش خرج لقتال العدو، أن يعود فيقاتل مواطنيه ودولته "([6])

نزل الحجاج بدير قُرَّة([7])، يستقبل المدد من حين لآخر من عبد الملك بن مروان، وتخندق الجيشان، ودار بينهما معارك شرسة، دون أن يحقق طرف أي نصر حاسم على الآخر([8])، وأخذ الطرفان يستعدان للمعركة الفاصلة(9)، ودخلت سنة ثلاث وثمانين والوضع في دير الجماجم على حاله([10])، ثم اشتبك الطرفان، وما إن قُتل أمير القراء جَبَلة بن زحْر، حتى ظهر الفشل في جيش ابن الأشعث([11])، وطالت المبارزة بينهما، واستمر القتال في دير الجماجم – وحسب رواية خليفة – إحدى وثمانون وقعة([12])، وقيل: كان فيها أربع وثمانون

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص282.

(2) المصدر نفسه، ص282.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص346.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص346. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص232. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص203.

(5) ابن العماد، شذرات، ج1، ص334. الكبي، موسوعة، ج2، ص103- 104.

(6) عبد الملك، ص273.

(7) دير قُرَّة: يقع هذا الدير بالقرب من دير الجماجم، ويبعد سبعة فراسخ عن الكوفة. وفيه نزل الحجاج عندما نزل ابن الأشعث في دير الجماجم. الحموي، معجم، ج2، ص503- 504، 526.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص347- 348. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص229. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص232. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص204. الذهبي، تاريخ، ج6، ص9- 10. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص62. عطوان، ملامح، ص127. أبو النصر، عبد الملك، ص210- 211. الأمين، إطلالات، ص28- 29.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص349. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص233. الذهبي، تاريخ، ج6، ص10. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص62.

(10) الطبري، تاريخ، ج6، ص357. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص245. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص210.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص358. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص211.

(12) تاريخ، ص282.

وقعة([1])، فكانت منها ثلاث وثمانون على الحجاج، وكانت الأخيرة له([2])، وقيل: مائة يوم([3])، وقيل: مائة يوم وثلاثة أيام([4])، بيد أن أهل العراق انهزموا، فنادى ابن الأشعث بالناس دون فائدة، ما دفعه للهروب والخروج من الكوفة([5])، ومكث الحجاج في الكوفة شهراً([6])، قتل فيه – كما يقول خليفة – الصحابي كميل بن زياد([7])، وقدم عبد الرحمن بن الأشعث إلى البصرة واستقر بها، ولما علم محمد بن سعد بن أبي وقاص أن الحجاج يريد المدائن، خرج منها، قاصداً البصرة حيث يقيم عبد الرحمن بن الأشعث([8])، أما ابن الأشعث فتوجه إلى مَسْكن وتخندق بها، واقتتلت طلائع قوات الحجاج معهم، خمس عشرة يوماً، كان الظفر فيها لقوات ابن الأشعث([9])، ثم حمل الحجاج على ابن الأشعث من كل جانب، فانهزم أهل الكوفة، وقُتل – وفق رواية خليفة – أبو البختري الطائي وعبد الرحمن ابن أبي ليلى([10])، فهرب عبد الرحمن مع فلوله المنهزمة ناحية سجستان، فلحق به عمارة بن تيم ومحمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي، فأدركا ابن الأشعث بالسوس([11])، وساند ابنَ الأشعث الأكرادُ مع من كان معه من الرجال، واقتتلا قتالاً شديداً([12])، ثم توجه ابن الأشعث إلى مدينة زَرَنْج([13])، ثم ذهب إلى بُسْت([14]) وعليها عامله عِياض بن هِمْيان، فأذن له بالدخول،

---

(1) الذهبي، تاريخ، ج6، ص8.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص8. ابن كثير، البداية، ج12، ص337. ابن العماد، شذرات، ج1، ص330.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص363. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص244. ابن العماد، شذرات، ج1، ص330. فياض، تاريخ، ص181. الأمين، إطلالات، ص38. زعرور، أحمد، تاريخ، ص59.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص212. خماش، الشام، ص176.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص363- 364.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص246. خماش، الشام، ص176.

(7) تاريخ، ص288.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص366. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص247. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص213.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص366.

(10) تاريخ، ص282.

(11) السُّوس: بلدة بخوزستان، فتحها أبو موسى الأشعري في أيام عمر بن الخطاب، وكانت السوس آخر ما فُتح من الأهواز، وقيل: إن أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتستر، وفيها قبر النبي دانيال عليه السلام، وهناك قرية تعرف بالسوس في المغرب، وأخرى في بلاد ما وراء النهر. الحموي، معجم، ج3، ص280- 281.

(12) الطبري، تاريخ، ج6، ص367- 368. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص214.

(13) زَرَنْج: مدينة كبيرة في سجستان، فسجستان اسم الكورة كلها، وزرنج قصبتها، وكان عاصم بن عدي قد فتحها في أيام عمر بن الخطاب. الحموي، معجم، ج3، ص138.

(14) بُسْت: مدينة عظيمة تقع بين سجستان وغزنين وهراة، وهي من أعمال كابل، كثيرة الأنهار والبساتين. الحموي، معجم، ج1، ص414- 419.

وانتظر حتى غفل عنه أصحابه، فأوثقه، حتى يتخذ له مكاناً عند الحجاج([1])، وجاء رُتْبيل بجنوده إلى بُسْت، وأحاط بالمدينة، وهدد والي المدينة بالقتل، إن لم يدفعوا إليه عبد الرحمن بن الأشعث سليماً معافى، فوافق الوالي شريطة أن يعطيه رتبيل الأمان على النفوس والأموال، فوافق رتبيل، وصالحهم على ذلك، وأمَّنهم([2])، وجرى إطلاق سراح ابن الأشعث، ثم دخل بلاد رتبيل، حيث أكرمه وعظَّمه([3])، وروى خليفة بن خياط أن محمد بن سعد بن أبي وقاص مثل أمام الحجاج، وقال له: " يا ظل الشيطان، أتيه الناس، رضيت أن تكون مؤذناً لعبد بني نصر يعني عمرو بن أبي الصلت "([4])، ثم أخذ " يضرب رأسه بعودٍ في يده، حتى أدماه، ثم أمر به فقتل "([5])

تتابعت كُتب الحجاج على رتبيل، تطلب منه وجوب تسليم ابن الأشعث إليه، وإلا " فوالذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل "([6])، واستجيب للأمر، حيث "بعث رتبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج "([7])، وذلك في سنة أربع وثمانين([8])، وقيل: في سنة خمسٍ وثمانين([9])، بيد أن خليفة بن خياط كان قد أورد مقتل عبد الرحمن بن الأشعث في أحداث سنة ثلاث وثمانين([10])، وذكر أن الحجاج أرسل عمارةَ بن تميم القيني إلى رُتبيل، وصالحه على أن يخلي بينه وبين ابن الأشعث، ووافق رتبيل، فأوثق ابن الأشعث وأهل بيته في الحديد، فلما كانوا بالرُخَّج([11]) ألقى ابن الأشعث بنفسه من فوق القصر، وحملت رأسه من بعد ذلك إلى الحجاج، ثم إلى عبد الملك ثم إلى عبد العزيز بمصر([12])، وبالقضاء على هذه الثورة "زال أمل العراق في أن يستعيد الخلافة، فقد تبين له أنه غير قادر على جند أهل الشام، وليس أمامه إلا الإذعان لحكمهم،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص369. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص247. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص214.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص369. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص214.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص369. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص214- 215.

(4) تاريخ، ص284- 285.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص217.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص389. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص245. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص259. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص226. الذهبي، تاريخ، ج6، ص22.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص390. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص226.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص393. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص260. الذهبي، تاريخ، ج6، ص20، 22.

(9) ابن كثير، البداية، ج12، ص359.

(10) تاريخ، ص288- 289.

(11) الرُخَّج: كورة من نواحي كابل. الحموي، معجم، ج3، ص38.

(12) تاريخ، ص288- 289.

وهكذا انتهى الصراع بين العراق والحجاز وبين الشام، انتهى بانتصار الشام انتصاراً تاماً، وثبَّتت الخلافة الأموية المروانية أقدامها، وزال خصومها، وذلك عام 83هـ"([1])

خروج يزيد بن المهلب:

بعد وفاة والي خراسان المهلب بن أبي صفرة بمرو في سنة اثنتين وثمانين([2])، عمد الحجاج إلى تولية ابنه يزيد على خراسان([3])، وفي سنة خمس وثمانين غادر يزيد خراسان([4])، حيث أمر الحجاج بحبس يزيد بن المهلب في سنة ست وثمانين، فضلاً عن قيامه بعزل أخيه حبيب بن المهلب عن كرمان، وإقصاء أخيه عبد الملك بن المهلب عن شُرْطته([5])

وفي سنة تسعين، خرج الحجاج إلى رُسْتَقُباذ([6]) لمقاتلة الأكراد الذي غلبوا على أرض فارس، فأخرج معه يزيد بن المهلب وأخوته المفضّل وعبد الملك، ووضع حولهم خندقاً، في خيمة قريبةٍ منه، واتخذ لهم حرساً من أهل الشام([7])، لكنهم تمكنوا من الفرار([8])، وجاء يزيد وإخوته إلى سليمان بن عبد الملك ونزلوا عنده، " فكانوا في مكان آمن "([9])، وعفا الوليد عنه، وأمّنه، وأعاده إلى سليمان، و" سعى إخوته في المال الذي عليه "([10])، وروى خليفة بن خياط ما يفيد بأن سليمان بن عبد الملك كان قد جمع العراق ليزيد بن المهلب، بينما ولّى الخراج لصالح بن عبد الرحمن، وذلك في سنة ست وتسعين([11])، بينما روى الطبري ما يشير إلى أن سليمان بن عبد الملك لما أصبح أميراً للمؤمنين، قام بتولية يزيد بن المهلب على حرب العراق والصلاة وخراجها([12])، وفي سنة سبع

---

(1) العش، الدولة، ص218– 219.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص288. الطبري، تاريخ، ج6، ص355.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص355.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص395– 396. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص278.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص426.

(6) رُسْتَقُباذ: بلدة تقع في بلاد فارس تتبع مدينة دَسْتوا، التي هي من نواحي الأهواز. الحموي، معجم،ج2، ص455، ج3، ص43.

(7) الطبري، تاريخ، ج6، ص448. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص256. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص291. ابن كثير، البداية، ج12، ص423– 424. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص81.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص448– 449. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص295. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص256– 257. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص292. ابن كثير، البداية، ج12، ص424.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص450. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص257. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص293.

(10) الطبري، تاريخ، ج6، ص452. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص293.

(11) تاريخ، ص313.

(12) تاريخ، ج6، ص523.

وتسعين عين يزيد بن المهلب على خراسان، وأمره أن يستخلف غيره على العراق قبل مسيره إلى خراسان، فاستخلف الجرّاح بن عبد الله على واسط، وعبد الله بن هلال على البصرة، وكلف أخاه مروان بن المهلب بمتابعه شئونه بالبصرة([1])،لكن خليفة بن خياط يشير إلى أن يزيد بن المهلب بعدما سار إلى خراسان، استخلف على العراق الجراح بن عبد الله الحكمي([2])، وفي نفس السنة غزا يزيد بن المهلب جُرْجان([3])، ثم غزا في السنة التي تليها طَبَرِستان([4])، فلما مات سليمان في سنة تسع وتسعين، بعد أن مكث في الحكم ثلاث سنين إلا أربعة أشهر([5])، خلفه عمر بن عبد العزيز، ولم تمض سنة تسع وتسعون إلا وكان عمر بن عبد العزيز قد عزل يزيد بن المهلب عن ولايته([6])، ثم بعث الجراح بن عبد الله، – وفق رواية خليفة بن خياط – وقال له: " ألا تغزوا، وتمسكوا بما في أيديكم "([7])

وفي سنة مائة أمر عمر بن عبد العزيز بحمل يزيد بن المهلب من العراق إلى مقر خلافته([8])، فنزل يزيد البصرة، حيث أمسك به والي البصرة، وأوثقه، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز مع رجل يقال له موسى بن الوجيه([9])، وعن كيفية اعتقال يزيد بن المهلب يقول خليفة بن خياط: " وقدم عدي بن أرطاة والياً من قبل عمر بن عبد العزيز على البصرة، فذهب يزيد يسلم عليه، فأوثقه في الحديد، وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فحبسه عمر حتى مات "([10])، ولما رفض يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً من المال " ألبسه جُبَّة من صوف، وحمله على جمل، ثم قال: سيروا به إلى دَهْلَك([11])، ثم أرجعه إلى السجن(12)، فمكث يزيد بن المهلب

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص526.

(2) تاريخ، ص317.

(3) المصدر نفسه، ص314.

(4) المصدر نفسه، ص315.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص546.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص554.

(7) تاريخ، ص320.

(8) الطبري، تاريخ، ج6، ص556.

(9) المصدر نفسه، ج6، ص556– 557.

(10) تاريخ، ص320.

(11) دَهْلَك: جزيرة تقع في بحر اليمن، تتصف بكونها ضيقة وحرجة وحارة، وكان بنو أمية " إذا سخطوا على أحد نَفَوْه إليها ". الحموي، معجم، ج2، ص492.

(12) الطبري، تاريخ، ج6، ص557– 558. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص308. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص300. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص95.

في سجن عمر بن عبد العزيز، حتى بلغه مرض الخليفة(1)، هرب من سجن الخليفة، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز كيما يعذره([2])، وكان ذلك في سنة إحدى ومائة([3])

وأقبل يزيد إلى البصرة، وأخذ يقطع للناس " قطع الذهب وقطع الفضة "([4]) ومال الناس إليه([5])، الأمر الذي جرّأه على مقاتلة قوات عدي بن أرطأة([6])، ثم جيء بعدي بن أرطأة إلى يزيد بعد أن سيطر على البصرة، فحبسه يزيدٌ، وأطلق سراح إخوته من سجنه([7])، ثم نادى بخلع يزيد بن عبد الملك([8])، ولم يتطرق خليفة بن خياط لهذا الأمر كثيراً، والمتعلق بسيطرة يزيد بن المهلب على البصرة، حيث قال: " وفي سنة إحدى ومائة، دخل يزيد بن المهلب البصرة ليلة البدر في شهر رمضان، فحاربه عدي بن أرطأة، وهو أمير البصرة "([9])

وفي سنة اثنتين ومائة، وجه يزيد بن عبد الملك العباسَ بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب، بهدف القضاء على ثورته([10])، فاستخلف يزيد بن المهلب ابنه معاوية على واسط، وخرج في مائة ألف وعشرين ألفاً([11])، وذلك لملاقاة مسلمة بن عبد الملك والعباس، ومرّ في طريقه بفم النيل([12])، ثم نزل في العَقْر([13])، وأقبل عليه مسلمة يسير بمحاذاة شاطىء الفرات، حتى نزل الأنبار، ثم مرّ بقرية يقال لها بيت فَارط([14])، ثم أقبل حتى نزل على

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص558.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص564. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص308. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص64. ابن خلكان، وفيات، ج6، ص301. ابن كثير، البداية، ج12، ص675. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص97.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص564.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص580. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص334. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص97.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص580.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص581- 582.

(7) المصدر نفسه، ج6، ص582- 583.

(8) المصدر نفسه، ج6، ص578.

(9) تاريخ، ص322.

(10) الطبري، تاريخ، ج6، ص590.

(11) المصدر نفسه، ج6، ص590. ابن كثير، البداية، ج12، ص725.

(12) النِّيل: بليدة في سواد الكوفة، يخترقها خليج كبير يتفرع من الفرات، كان الحجاج قد حفره. الحموي، معجم، ج5، ص334- 339.

(13) العَقْر: بلدة تقع قرب كربلاء وهي عَقْر بابل، قتل فيها يزيد بن المهلب، والعَقْر أيضاً: قرية بين تكريت والموصل. الحموي، معجم، ج4، ص136- 137. بروكلمان، تاريخ، ص151.

(14) فَارط: قرية صغيرة تقع إلى جانب الأنبار بمحاذاة شاطئ الفرات، وتبعد عن الأنبار فرسخ واحد. الحموي، معجم، ج1، ص521.

يزيد بن المهلب([1])، واقتتل الفريقان، وانهزم جيش يزيد بن المهلب، قبل أن يشتد القتال، وذلك بعد أن أحرق مسلمة الجسر من وراء جيش يزيد بن المهلب([2])، وأقبل يزيد بن المهلب على بِرْذَوْن أشهب([3])، نحو مسلمة، فلما دنا من مسلمة، سارع مسلمة إلى فرسه ليركبه، فمالت عليه خيول أهل الشام فقتلته، وأخاه محمداً وحبيباً([4])، وأرسلوا رأسه إلى يزيد بن عبد الملك([5])، وكان ذلك في سنة اثنتين ومائة([6])، ولقد روى خليفة بن خياط رواية عن عبد الله بن المغيرة عن أبيه، أنه قال: " شهدت دار الإمارة بواسط، يوم جاء قتل يزيد بن المهلب، ومعاوية بن يزيد قاعد، فأتي بعدي بن أرطاة وابنه محمد بن عدي، ومالك وعبد الملك ابني مسمع، والقاسم بن مسلم، وعبد الله ابن عمر النصري، فضرب أعناقهم "([7])، وبرغم كل هذه الأحداث المتزاحمة منذ سيطرة يزيد بن المهلب على البصرة وحتى مقتله، فإن خليفة بن خياط – وفي أحداث سنة اثنتين ومائة – اكتفى بالقول: " فيها قُتل يزيد بن المهلب يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة "([8])

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص590.

(2) ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص99. فياض، تاريخ، ص185. فلهوزن، تاريخ، ص308.

(3) البرذون: جمعها البراذين، والمراد: " الجفاة الخلقة من الخيل، وأكثر ما تجلب من بلاد الروم، ولها جَلَد على السير في الشعاب والجبال والوعر، بخلاف الخيل العربية "، ويرى ابن بطال أن اسم الخيل يشمل البرذون والهجين بخلاف البغال والحمير، والأشهب: هو البرذون الأبيض الذي خالطه سواد. ابن منظور، لسان، ج1، ص508. ابن حجر العسقلاني، فتح، ج6، ص79.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص597- 598. زعرور، أحمد، تاريخ، ص100.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص597.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص590.

(7) تاريخ، ص325- 326.

(8) المصدر نفسه، ص325.

الدعوة العباسية:

مرض أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفِيَّة في سنة تسع وتسعين بالحُمَيْمة([1])، فأعلم شيعته بالعراق وخراسان أن الأمر سيصير إلى ولد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فلما مات أبو هاشم، بايعت الشيعة محمداً([2])، حيث عمد محمد بن علي إلى سبعين رجلاً، فكتب إليهم كتاباً " ليكون لهم مثالاً، وسيرة يسيرون بها "([3])

ويرى البعض أن أمر الدعوة العباسية كان قد بدأ في سنة تسع وثمانين([4])، وكان محمد بن علي قد حمل على عاتقه مسئولية الدعوة إلى بني العباس([5])، وفي سنة ست وعشرين ومائة، نعى إبراهيم بن محمد بن علي إلى أنصاره أباه الإمام محمد، ودعاهم إلى بيعته([6])، أما في سنة تسع وعشرين ومائة، فقد وصل أبو مسلم مرْو في أول يوم من شهر رمضان، وأعطى كتاب الإمام إبراهيم إلى سليمان بن كثير، وكان فيه: " أن أظهر دعوتك، ولا تربّص، فقد آن ذلك "([7]) وكان توقيت الإعلان عن إظهار أمر الدعوة من الإمام إبراهيم مناسباً، حيث التنازع الداخلي فيما بين البيت الأموي الواحد قد وصل إلى أعلى مستوياته، واستنزاف القدرات العسكرية الأموية في مقارعة الخوارج، وأضحى أنصار بني أمية في خراسان غير قادرين على التصدي لأي أخطار داهمة([8])

لبس أبو مسلم الخراساني السواد، هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه، وكل من آمن بالدعوة العباسية من أهل سفيذنج([9])، وحضر الدعاة من أهل مرو إلى أبي مسلم، وجاءوا بكل من أجاب دعوتهم([10])

---

(1) الحُمَيْمة: قرية صغيرة من أعمال عمَّان، وتقع في جنوب الأردن. الحموي، معجم، ج2، ص307. زعرور، أحمد، تاريخ، ص107.

(2) ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص125.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص562. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص56. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص323.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص289.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص289. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص217.

(6) الطبري، تاريخ، ج7، ص294- 295.

(7) المصدر نفسه، ج7، ص355. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص550. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص270. ابن كثير، البداية، ج13، ص225.

(8) عطوان، الدعوة، ص327.

(9) الطبري، تاريخ، ج7، ص356. سفيذنج: حصن قديم في قرية من قرى خزاعة بخراسان، عمد أبو مسلم إلى تحصينه وترميمه وسد دروبه. الطبري، تاريخ، ج7، ص355. ابن الأثير، الكامل، ج5، ص29.

(10) الطبري، تاريخ، ج7، ص356.

وقويت شوكة أبي مسلم حتى أنه عندما كان يكتب إلى نصر بن سيار فإنه كان يبدأ بذكر اسمه في الكتاب، وكان قبل ذلك يبدأ بذكر الأمير نصر([1])، وبلغ الأمر حد الاقتتال بين الطرفين([2])، وكان ذلك بعد ثمانية عشر شهراً من ظهور أبي مسلم([3])، و" قتل من شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلاً، وأسر منهم ثمانية نفر "([4])، وكانت هذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بني مروان([5])، وتسارع الناس نتيجة هذه النجاحات إلى أبي مسلم، وكثرت الوفود إليه من مرو، دون أن يمنعهم نصر بن سيار، مع مباركة من الكرماني وشيبان اللذين كانا لا يكرهان دعوة أبي مسلم الخراساني، لأنه كان يدعو إلى خلع مروان بن محمد([6])

وقويت العلاقة بين أبي مسلم والكرماني، حتى أن الكرماني استعان مرة بأبي مسلم على نصر بن سيار([7])، ولما ضاقت سفيذنج بأنصار أبي مسلم ارتحل في سنة تسع وعشرين ومائة إلى الماخُوان([8])، وحفر بها خندقاً، وعسكر فيه([9])، وفي سنة ثلاثين ومائة تمكن أبو مسلم من السيطرة على مرو بمساعدة الكرماني، وهرب عامل خراسان نصر بن سيار من مرو([10])

في أعقاب ذلك، جاء قحطبة بن شبيب إلى أبي مسلم واجتمع به، وأخبره أنه قادم من عند الإمام إبراهيم، فجعله أبو مسلم على مقدمته، و" ضم إليه الجيوش، وجعل له العزل والاستعمال، وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة "([11])، ولما قَتل أبو مسلم شيبان الخارجي، وابني الكرماني، وقام بنفي نصر بن سيار عن مرو عاصمة خراسان، استطاع أن يسيطر على أرجاء واسعة من خراسان([12])

---

(1) الطبري، تاريخ، ج7، ص357. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص552. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص271.

(2) الطبري، تاريخ، ج7، ص359.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص271.

(4) الطبري، تاريخ، ج7، ص359.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص359. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص271. الكبي، موسوعة، ج2، ص150.

(6) الطبري، تاريخ، ج7، ص364. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص556. ابن كثير، البداية، ج13، ص228.

(7) الطبري، تاريخ، ج7، ص365.

(8) الماخُوان: قرية كبيرة من قرى مرو، وهي القرية التي خرج منها أبو مسلم الخراساني إلى الصحراء. الحموي، معجم، ج5، ص33.

(9) الطبري، تاريخ، ج7، ص377.

(10) المصدر نفسه، ج7، ص378- 379.

(11) المصدر نفسه، ج7، ص388.

(12) المصدر نفسه، ج7، ص389.

ويروى أن نصر بن سيار ارتحل من قومس إلى الرَّي، فأقام بها يومين، ثم مرض، ولما كان بساوه([1]) قريباً من همذان توفي عن خمس وثمانين سنة([2])، وترتب على ذلك أنْ " استولى أبو مسلم صاحب الدعوة على ممالك خُراسان، وهزم الجيوش، وأقبلت سعادة بني العباس، وولَّت الدنيا عن بني أمية "([3])

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة وصلت الصدامات العسكرية إلى درجة قيام أبي العباس السفاح بتكليف عمه بمطاردة مروان بن محمد، الذي أخذ يستحث جنده لملاقاة العباسيين دون جدوى([4])، وانهزم أهل الشام، وقطع الجسر، وكان عدد من قتل غرقاً من الأمويين أكثر من عدد من قتلوا في ساحة المعركة([5])

وكتب قائد العباسيين في المعركة عبد الله بن علي إلى أبي العباس بالفتح، وذلك بعد أن ترك مروان وراءه معسكراً يزخر بالسلاح والمال([6])، فانسحب مروان بن محمد إلى حَرَّان([7])، ثم مرّ بقنسرين وحمص([8])، ثم مرّ بدمشق والأردن وفلسطين ثم ذهب إلى مصر([9]) فتبعه العباسيون، حتى وجدوه مختبئاً في كنيسة، فاقتحموا عليهم منزلهم آخر الليل، فهرب الجند، ولم يتبق مع مروان إلا النفر اليسير، فقتلوه([10])

ولقد شرع خليفة بن خياط بالحديث عن الدعوة العباسية، وذلك حينما تطرق إلى ولادة علي بن عبد الله بن عباس في الليلة التي قُتل فيها علي بن أبي طالب سنة أربعين([11])، ثم تأتي الإشارة الثانية من خليفة حينما أشار إلى وفاة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية

---

(1) ساوه: بلدة تتوسط مدينتي الري وهمذان، وبينها وبين الري وهمذان ثلاثون فرسخاً، وتقع بالقرب من مدينة آوه، وهي قرية شيعية إمامية تبعد عن ساوه فرسخين، في حين أن سكان قرية ساوه من أتباع المذهب الشافعي. الحموي، معجم، ج3، ص179- 180.

(2) البداية، ج13، ص242.

(3) الذهبي، العبر، ج1، ص132.

(4) الطبري، تاريخ، ج7، ص434.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص434.

(6) المصدر نفسه، ج7، ص434.

(7) حَرَّان: بلدة عظيمة ومشهورة من جزيرة أقور، تبعد عن الرها مسيرة يوم، وتبعد عن الرقة يومان، وتقع على طريق الموصل والشام والروم، وكان عياض بن غنم قد فتحها في أيام عمر بن الخطاب. الحموي، معجم، ج2، ص235- 236.

(8) الطبري، تاريخ، ج7، ص437- 438.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص403- 404. الطبري، تاريخ، ج7، ص438.

(10) الطبري، تاريخ، ج7، ص441.

(11) تاريخ، ص199.

الذي لما أحس بأنه شرب سماً، عمد إلى اللقاء بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فعرّفه على حاله، وأخبره بأن الخلافة ستؤول إلى ذريته([1])، لكن خليفة ذكر وفاة أبي هاشم في أثناء استعراضه للوفيات التي حدثت في سنة ثمان وتسعين([2])، وفعل ذات الشيء حينما أورد وفيات سنة تسع وتسعين، فذكر أبا هاشم ممن ماتوا في هذه السنة([3])، بيد أنه أجمل القول في طبقاته حينما قال بأن أبا هاشم " توفي سنة ثمان أو تسع وتسعين "([4])

ولم يتطرق خليفة الإشارة إلى سر اختيار العباسيين لخراسان كيما تكون مهداً لدعوتهم، دون غيرها من البلاد، وذلك لأنها "كانت قاصية عن حاضرة الخلافة الأموية قُصُوّاً كبيراً، وكانت خالية من الأهواء الحزبية خلواً كثيراً، وكان لها تركيب بشري متميز، فإن معظم سكانها كانوا من العجم، وأقلهم كانوا من العرب، وكان للعجم مشكلات اجتماعية ومالية مزمنة متفاقمة، وكان للعرب مشكلات سياسية ومالية متأزمة مستفحلة "(5)، هذا فضلاً عن أن فكرة انتقال الخلافة من بيت النبي إلى بيت عمه العباس تتناغم مع قانون الوراثة للأسرات التي حكمت في بلاد فارس قبل ذلك، علاوة على ميل أهل خراسان إلى بيت النبوة، لأن الحسين بن علي تزوج منهم بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس([6])، ولذلك قدَّم العباسيون أهلَ خراسان على سكان الأقاليم الأخرى، و" رفعوهم فوقهم درجات، وكان دعاتهم يشيعون ذلك في أهل خراسان، ليستميلوهم به، ويحملوهم على الاستجابة للدعوة، والانتظام فيها، ويزيدوهم إيماناً بها، ويبعثوهم على تأييدها "([7])، ومن الجلي للمتتبع أن دعاة العباسيين كانوا قد استغلوا مشكلات خراسان الاجتماعية والمالية والسياسية، ووعدوا أهلها بحلها، واستطاعوا في بداية أمرهم استمالة الموالي والعجم، ثم في نهايته استمالوا ملاك الأراضي من أهل القبائل المختلفة، لأن الإصلاحات الضريبية التي أقدم عليها نصر بن سيار أضرت بهم إضراراً كبيراً([8])، وما ساعدهم أكثر استهانة الأمويين بأنصار الدعوة العباسية([9])

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص316. حسن، تاريخ، ج2، ص14. أحمد، دراسات، ص527.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص316.

(3) المصدر نفسه، ص320.

(4) الطبقات، ص239.

(5) عطوان، الدعوة، ص15- 16، 319.

(6) أحمد، دراسات، ص531- 532. حسن، تاريخ، ج2، ص15.

(7) عطوان، الدعوة، ص230.

(8) المرجع نفسه، ص320- 321.

(9) المرجع نفسه، ص263.

ثم وفي سنة أربع وعشرين ومائة ذكر خليفة بن خياط أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب قد مات في الشام([1])، وقيل: توفي في سنة خمس وعشرين ومائة([2])، دون أن يشير خليفة إلى أن محمداً كان قد أوصى " أن الأمر في ولده إبراهيم، فإن قُتل فابن الحارثية – يعني السفاح – "([3])، ودون أن يتطرق إلى أحوال الدعوة العباسية في عهده، حيث " لم يزل الأمر ينمى ويقوى ويتزايد إلى أن توفي في سنة أربع وعشرين ومائة "([4])

وفي سنة تسع وعشرين ومائة يسرد خليفة رواية عن أحد شيوخه، يذكر فيها أن مروان أمر واليه على العراق ابن هبيرة بأن يرسل إليه أحد المطلوبين له، فأرسل الوالي هذا الرجل إلى مروان الذي " حبسه بحرّان مع إبراهيم بن محمد بن علي "([5])، وهي رواية تدلل على أن إبراهيم لم يكن طليقاً في تلك الأثناء، وما يفيد أن إبراهيم قد أقدم على جملة من الفعاليات التي ألزمت مروان بن محمد بحبسه.

ولقد أقبل خليفة بن خياط على ذكر أبي مسلم الخراساني ولأول مرة في سياق حديثه عن حروب نصر بن سيار لحركة الخوارج التي يتزعمها في حينه شيبان والكرماني([6])، حيث أكد على أن أبا مسلم الخراساني قد ظهر شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة([7])، كما وروى خليفة أنه – وفي سنة ثلاثين ومائة – اصطلح نصر بن سيار والي خراسان وعلي بن الكرماني، واتفقا على قتال أبي مسلم " فإذا فرغوا نظروا في أمورهم "([8])، وأن أبا مسلم دسّ إلى ابن الكرماني أنه معه وصالحه، واجتمعا على حرب نصر بن سيار جميعاً، فهرب ابن سيار([9])، ولقد تضمنت الروايات التي ساقها خليفة بن خياط في سنة ثلاثين ومائة جهود أبي مسلم في التمكين في الأرض للدعوة العباسية، وكان من أبرز المعلومات التالي:

- أن أبا مسلم الخراساني وصل من القوة إلى الحد الذي وجد فيه نصر بن سيار نفسه ملزماً بمبايعته([10]).

---

(1) تاريخ، ص356.

(2) القضاعي، عيون، ص375.

(3) المصدر نفسه، ص375.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص289. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص217.

(5) تاريخ، ص384.

(6) المصدر نفسه، ص387.

(7) المصدر نفسه، ص387.

(8) المصدر نفسه، ص390.

(9) المصدر نفسه، ص390.

(10) المصدر نفسه، ص390.

- تمكن أبو مسلم من الوصول إلى أقصى مرو، حيث اعتقل أهل نصر بن سيار وأولاده الصغار ([1]).
- أرسل أبو مسلم قحطبة على رأس جيش إلى أهل طوس الذين بايعوا نصراً، حيث استطاع أن يلحق بقوات نصر بن سيار هزيمة كبيرة([2])

ولقد روى خليفة أن أبا مسلم أرسل في سنة إحدى وثلاثين ومائة قحطبة بن شبيب على رأس جيش إلى نَهَاوَنْد، وحاصر أهلها نحواً من أربعة أشهر ([3])، حيث تمكن من دخولها والسيطرة عليها، بعد أن أعطى الأمان لقاطنيها من أهل الشام([4])، لكن خليفة روى أن قحطبة عمد إلى قتل أهل خراسان الذين فروا مع نصر بن سيار، وقال: " إني لم أصالح على أهل خراسان، إنما صالحت على أهل الشام "([5])، وأضاف أن قحطبة أسر بني نصر بن سيار فقتلهم جميعاً([6])، فضلاً عن قيامه بقتل سعيد بن الحر بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب([7])

ويشير خليفة في رواياته أن نصر بن سيار كتب إلى مروان بن محمد وابن هبيرة يطلب منهما المدد، فلم يفعلا، فسار قحطبة إلى نصر، حتى نزل بالري، فمرض، ثم توجه إلى همذان فمات فيها، وأُجري الماء على قبره([8])، وبهذه يستبين لقارئها أنه يكمن فيها أحد الأسباب الرئيسة في سقوط الدولة الأموية، والمتمثلة إما في سوء التقدير عند ولاة الأمر في خطورة الدعوة العباسية، وإما أثر النزاعات الداخلية بين الولاة – التي استشرت بينهم البغضاء والحسد – وتسببت في ضياع أمجاد الأمويين، ولقد كان نصر بن سيار قد أوصى أبناءه وهو على فراش الموت، فقال لهم: " الحقوا بالشام، فإن تكن لبني مروان مدة كنتم معهم، وإن كان غير ذلك أصابكم ما أصابهم "([9])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص390.
(2) المصدر نفسه، ص390– 391.
(3) المصدر نفسه، ص397.
(4) المصدر نفسه، ص397. ينظر: الطبري، تاريخ، ج7، ص407– 408. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص287. بروكلمان، تاريخ، ص168.
(5) ابن خياط، تاريخ، ص397.
(6) المصدر نفسه، ص397.
(7) المصدر نفسه، ص397.
(8) المصدر نفسه، ص396.
(9) المصدر نفسه، ص396.

وقد ذكر خليفة بن خياط أن الحسن بن قحطبة خرج على مقدمة أبيه فنزل حُلْوان([1])، ثم لحق به أبوه فيما بعد، في حين تقدم ابن هبيرة فنزل جلولاء، أما قحطبة فنزل خانِقِين([2])، و" بين العسكرين أربعة فراسخ "([3]) وكانت طلائع الجيشين تلتقي بين الحين والآخر([4])، وذلك وفق رواية خليفة التي جزمت بأن هذا الحدث إنما كان في سنة إحدى وثلاثين ومائة([5])، ودخلت السنة التي تليها وحمل قحطبة على جيش يزيد بن عمر بن هبيرة، فهزمه، وولوا هاربين([6])، ووجد قحطبة مقتولاً، حيث أفادت الرواية التي أوردها خليفة إلى أنه قد أُصيب بـ" طعنة في وجهه، فوقع في الفرات فهلك "([7])، وأن أنصار العباسيين " ولَّوا عليهم الحسن بن قحطبة "([8])، وذلك بعد أن دفنوا أباه([9])، كما واستعملوا أبا سلمة الخلال على الكوفة([10])

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة، حاول خليفة بن خياط أن يركز في رواياته على دور أبي جعفر المنصور حينما أرسل خازمَ بن خزيمة فقتل ابن هبيرة، ورياح بن أبي عمارة، وعبيد الله بن الحبحاب الكاتب، وداود بن يزيد بن عمر بن هبيرة([11])، ثم استجلاء الجهود التي قام بها الحسن بن قحطبة إبان حروبه مع الأمويين، سيما حين أسر بشرَ بن عبد الملك بن بشر بن مروان وأبان

---

(1) المقصود بحُلوان هنا: حلوان العراق، وهي في كبر مساحتها تلي الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرّ من رأى، وتقع في آخر حدود سواد العراق قرب الجبل، ومشهورة بالتين والرمان، وهي غير حلوان التي هي من أعمال مصر. الحموي، معجم، ج2، ص290- 294.

(2) خانِقِين: بلدة من نواحي السواد بالعراق، تقع في طريق همذان من بغداد، وتبعد عن قصر شيرين ستة فراسخ، والسواد بالعراق: يراد به " رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب "، وسمي بالسواد لأن العرب إذا خرجوا من جزيرتهم الخالية من الزرع والشجر رأوا خضرة الزرع والشجر فيسمونه سواداً، ويمتد السواد طولاً من حديثة الموصل إلى عبادان، ومن العُذَيْب بالقادسية إلى حُلوان عرضاً. الحموي، معجم، ج2، ص340- 341؛ ج3، ص272- 275.

(3) تاريخ، ص398.

(4) المصدر نفسه، ص398.

(5) المصدر نفسه، ص398.

(6) المصدر نفسه، ص399- 400.

(7) المصدر نفسه، ص399.

(8) المصدر نفسه، ص400.

(9) المصدر نفسه، ص400.

(10) المصدر نفسه، ص400.

(11) المصدر نفسه، ص402.

بن عبد الملك، والحوثرة بن سهيل، ومحمد بن نباتة، حيث أنه قتلهم جميعاً([1])، وهو الأمر الذي لم يصنعه مع حارث بن قطن الهلالي، الذي اكتفى بسجنه([2])

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ذكر خليفة في رواياته التي أوردها في هذه السنة جملة من المعطيات المهمة، حيث ذكر أن مروان بن محمد استقر في منطقة الزابين دون الموصل في مائة ألف من فرسان الشام والجزيرة، وقيل: مائة ألف وخمسين ألفاً، كما أشار إلى أن أبا العباس السفاح قد بعث عمه عبد الله بن علي، فقاتل مروان وهزمه، فضلاً عن انتقال مروان ابن محمد بعد الهزيمة إلى الجزيرة، حيث أخذ بيوت المال والكنوز، ثم رحل إلى دمشق، كما اهتم خليفة بذكر مغادرة مروان دمشق وعليها زوج ابنته الوليد بن معاوية بن مروان، فتركه مروان فيها، حتى حاصره عبد الله بن علي أياماً، ثم فتحت المدينة، بعد أن قُتل الوليد بن معاوية، علاوةً على أن عبدَ الله بن علي كان قد أخذ حين دخوله دمشق كلاً من يزيد بن معاوية بن مروان وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأرسلهما إلى أبي العباس السفاح فصلبهم، كما نوّه خليفةُ إلى ما فعله عبد الله بن علي حينما أرسل أخاه صالحاً وراء مروان بعد أن دخل مصر، فعمد صالحٌ إلى تسريح جيش بقيادة عامر بن إسماعيل إلى مروان، حيث أدركه في " قرية من قرى مصر، يقال لها بوصير، فقُتل "([3])، ثم أنهى خليفة صورة الموقف حينما روى كيف جرى نصب رأس مروان في الكوفة، وأنه بتعليق رأس آخر خلفاء بني أمية " انقطع رجاء من كان من شيعة بني أمية "([4])

وعليه يمكن إجمال الأمر في النقاط التالية:

- لم يعطِ خليفة اهتماماً كبيراً في بدايات نشوء الدعوة العباسية، إما لندرة المادة التاريخية التي بحوزته، وهذا أمر بعيد الاحتمال، وإما لأن خليفة آثر في نفسه المرور سريعاً على بدايات الدعوة العباسية، للغموض الذي كان يكتنفها هي والقائمين عليها.
- إن اهتمام خليفة بن خياط في أمر الدعوة العباسية ابتدأ تقريباً مع ظهور أبي مسلم الخراساني.
- إن خليفة لم يظهر أثناء استعراضه للروايات التي تناولت جوانب تتعلق بالدعوة العباسية أنه منحاز إلى الأمويين، أو أنه يحب العباسيين، إنما بدا منه التجرد، فلا هو يرغب في ذم الأمويين، أو التشنيع عليهم، كما أنه استنكف عن النيل من العباسيين.

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص402.

(2) المصدر نفسه، ص402.

(3) المصدر نفسه، ص403- 404.

(4) المصدر نفسه، ص404.

- لم يُشر خليفة إلى أسباب وفاة كل من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، والإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.
- لقد تضمنت الروايات التي أفردها خليفة في تاريخه بشأن كفاءة أبي مسلم الخراساني الكثير مما يعتبره البعض بطولات وأمجاد، وما فعل خليفة ذلك إلا لنزاهته وحيدته، حيث ساق ما يفيد بأنه يمتلك شخصية مميزة في ساحات القتال، فضلاً عن براعته السياسية.
- أورد خليفة في رواياته ما يمكن أن يُفْهَم على أن العباسيين لا يقلون في الوحشية عن الأمويين، وتجلى ذلك في إقدام قحطبة على قتل جميع بني نصر بن سيار ([1])، علاوة على قتله لسعيد بن الحر بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب([2])، وقتلهم للوليد بن معاوية بن مروان([3])، وقيام أبي العباس السفاح بصلب يزيد بن معاوية بن مروان وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان([4])، وإصرارهم على نصب رأس آخر خلفاء بني أمية في الكوفة([5])

(1) ابن خياط، تاريخ، ص397.

(2) المصدر نفسه، ص397.

(3) المصدر نفسه، ص403.

(4) المصدر نفسه، ص403- 404.

(5) المصدر نفسه، ص404.

الفصل الرابع

رؤية خليفة حيال أبرز التنظيمات الإدارية والعسكرية في خلافة بني أمية

إن خليفة بن خياط من المؤرخين الذين يصعب على أهل الاختصاص التعرف على آرائهم الشخصية، فضلاً عن الأنْس يقيناً بميولهم واتجاهاتهم، وإن أكثر ما يمكن أن يُسْتَشَفَ من قراءة أفكاره خلال الإطلاع على تاريخه، لا يعدو أن يكون استدلالات تحمل وجهاً من الحقيقة، أو أكثر من وجه، وإن الذي يجعل من مهمة استجلاء رؤى خليفة حيال بعض التنظيمات الإدارية والعسكرية في الخلافة الأموية أمراً يتسم بالعسرة والمشقة، أن هذا المؤرخ يعتمد في كتابته للتاريخ على الروايات المسندة، وباعتماده السرد التاريخي على نظام الطريقة الحولية، فضلاً عن احتمالية أن يشكل الرأي العام ضغطاً على المؤرخ، وهذا من شأنه أن يفضي غالباً إلى تغييب شخصية المؤرخ إلى حدٍ ما، ومع ذلك فقد حرص الباحث على استبيان آراء خليفة في هذه الأمور قدر الاستطاعة، وهي كالتالي:

ولاية العهد:

وهي أن يعهد الخليفة في حياته إلى غيره – ممن يرى أنه قد حاز على الاشتراطات الواجب توفرها في الخليفة – بالخلافة بعده، فإذا مات الخليفة، انتقلت الخلافة بشكل تلقائي إلى المعهود إليه، كما حدث مع أبي بكر حينما عهد إلى عمر بن الخطاب([1])، وقيل إن ولاية العهد تتلخص في أن " يعهد المَلِك بالمُلْك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب "([2])

ويرى البعض أن لهذا النوع من العهود شرطين مهمين، هما: أن تكون شخصية المعهود إليه مالكة للشروط التي يتعين توفرها في الخليفة، كالعدالة والعلم وسلامة الحواس وسلامة الأعضاء، والكفاية من حسن تدبير وشجاعة ونجدة، والقرشية، وثانيهما: أن يقبل المعهود إليه العهد([3])

واللافت للانتباه أن بعض الخلفاء كانوا يرون لذلك ضرورة لازمة، وذلك لأن " الملك منصب شريف ملذوذ، يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية، والشهوات البدنية، والملاذ النفسانية، فيقع فيه التنافس غالباً، وقلّ أن يسلمه أحدٌ لصاحبه إلا إذا غلب عليه "([4])، وإن ولاية العهد تتناغم يقيناً مع مقتضى الملك القائم على " التغلب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية "([5])، وهو بخلاف الخلافة التي هي " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في

---

(1) القلقشندي، مآثر، ج1، ص48. الأنصاري، نظام، ص145.

(2) القلقشندي، مآثر، ج10، ص158.

(3) الماوردي، الأحكام، ص5- 6، 13. ابن خلدون، مقدمة، ص241. القلقشندي، مآثر، ج1، ص50.

(4) ابن خلدون، مقدمة، ص193.

(5) المصدر نفسه، ص237.

مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها "([1])، أما الملك فإن غاية أمره هو " حمل الكافة على مقتضى الغرَض والشهوة "([2])، كما أن أحكام الملوك في غالبها " جائزة عن الحق، مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم، لحمله إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته "([3])

يعتبر نظام ولاية العهد من الأمور التي أحدثها معاوية بن أبي سفيان في النظام السياسي الإسلامي، حيث أنه تحدث للعامة والخاصة أنه ما أقدم على ذلك إلا بهدف تجنيب الأمة ويلات الخلاف والفرقة، وسعى في حينه لأخذ البيعة لابنه يزيد من أهل الشام الذي وافقوه على رأيه، بيد أن أهل المدينة لم يستجيبوا لرغبته([4])

لقد حاول خليفة بن خياط حاول مراراً أن ينأى بنفسه عن ذكر الأحداث المتعلقة بولاية العهد، حيث درج المرور على بعض الأحداث المتعلقة بهذا الأمر وكأنها غير ذات بال، ولعل مردّ ذلك إلى أنه قد اعتمد الإيجاز في كتابته للتاريخ، فضلاً عن أنه يكتب تاريخه في غالب الأوقات حَوْلياً، وبطريقة الرواية المسندة، ومع ذلك فقد روى مروياتٍ تومئ إلى أنه يتمتع بموضوعيةٍ عاليةٍ في هذه الجزئية ذات الصلة بأخذ معاوية البيعة لابنه يزيد، حيث أنه ساق من الروايات التي تؤكد أن معاوية أكره الناس على بيعة يزيد، ولو شاء خليفةُ لما أورد هذه الروايات.

ففي أحداث سنة خمسين لم يذكر خليفةُ أكثر من أن معاوية بن أبي سفيان قد طلب من أهل الشام أن يبايعوا ابنه يزيد، فامتثلوا لأمره، وترك المؤرخ خليفةُ الأمرَ دون تعليق أو استدراك([5]) بيد أنه وفي أحداث سنة إحدى وخمسين ساق روايات، ملخصها:

- أن معاوية أخذ الناس بالبيعة لابنه يزيد.
- أن معاوية اجتمع بعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير، محاولاً إقناعهم بقبول البيعة ليزيد.
- أن معاوية صعد المنبر وادعى أمام الناس أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق بايعوا يزيد، مع أنهم لم يفعلوا.
- أن معاوية استخدم التهديد والوعيد في سبيل أخذ البيعة لابنه يزيد، حيث أنه أمر صاحب حرسه أن يقيم رجلين على رأس كلٍ واحد من المعارضين لبيعة يزيد وهم: ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر والحسين بن علي ، وأمر حراسه أن يضربا بالسيف كل من يقاطعه

---

(1) ابن خلدون، مقدمة، ص239.

(2) المصدر نفسه، ص238.

(3) المصدر نفسه، ص237.

(4) عطوان، نظام، ص80.

(5) تاريخ، ص211.

منهم أثناء وقوفه أمام الناس خطيباً([1])، بيد أن خليفة قد روى ما يفيد حرص معاوية على أن لا يسارع أحد إلى قريش بسوء، حيث أن معاوية لما سمع أهل الشام يقولون: " والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الناس، وإلا ضربنا أعناقهم "، قال لأهل الشام: " سبحان الله! ما أسرع الناس إلى قريش بالسوء، لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم "([2])، كما روى ما يفيد بأن ابن عمر قد قال لمعاوية حين اجتمع به: " إنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمرٍ، فإنما أنا رجل منهم "([3])، كما روى خليفة أن ابن عمر قال حين بويع يزيد بن معاوية: " إن كان خيراً رضينا، وإن كان بلاءً صبرنا "([4])، فضلاً عن إيراده لرواية تتضمن موقف أحد أصحاب رسول الله برغم أنه لم يشِر إلى اسمه، جاء فيها قوله: " والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إليّ من أن تفترق "([5])، كما أورد خليفة قول عبد الله بن عمرو إلى عبد الله بن الزبير: " تعلم أني وجدتُ في الكتاب أنك ستُعَنَّى وتعنّى، وتدعى الخليفة ولست بخليفة، وإني أجد الخليفة يزيد بن معاوية "([6])

وفي أحداث سنة ستين يورد تاريخ خليفة روايةً تؤكد إصرار معاوية على استخلاف ابنه يزيد([7])، وفي أحداث سنة أربع وستين أشار خليفة إلى أن الناس قد بايعوا مروان بن الحكم([8])، ثم خالد بن يزيد من بعده([9])، لكن خليفة ذكر أن مروان في أول سنة خمس وستين كان قد جدّد البيعة لنفسه، و" لابنه من بعده عبد الملك بن مروان، ثم عبد العزيز بن مروان "([10])، وترك خليفة هذا الموقف دون أن يبادر إلى التعليق أو الإشارة إلى مدى مخالفة هذا الإجراء لما جرى الاتفاق عليه في مؤتمر الجابية، وكأنه قصد عدم القيام بإلقاء اللائمة على هذا الصنيع الذي أقدم عليه مروان بن الحكم([11])، كما ويلاحظ أن خليفة قد أشار في أحداث سنة سبعين إلى خلع عمرو ابن

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص213- 218.

(2) المصدر نفسه، ص214.

(3) المصدر نفسه، ص214.

(4) المصدر نفسه، ص217.

(5) المصدر نفسه، ص217.

(6) المصدر نفسه، ص218.

(7) المصدر نفسه، ص229.

(8) المصدر نفسه، ص259.

(9) المصدر نفسه، ص259.

(10) المصدر نفسه، ص261.

(11) المصدر نفسه، ص261.

سعيد بن العاص لعبد الملك بن مروان، دون أن يهتم بذكر خلفية هذا الحدث وبواعثه من جهة عمرو بن سعيد([1])

وفي أحداث سنة أربع وثمانين ذكر خليفة أن عبد العزيز بن مروان قد مات([2])، وأن عبد الملك بن مروان قد بايع " لابنيه الوليد وسليمان " من بعده([3])، ثم تحدث عن ولاية الوليد بن عبد الملك في سنة ست وثمانين([4])، وكذلك ولاية سليمان بن عبد الملك([5])، علاوةً على انتقال الخلافة إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز ([6])، ويزيد بن عبد الملك من بعده([7])، ثم خلفه هشام ابن عبد الملك([8])، دون أن يبدي تعليقاً أو رأياً.

وفي أحداث ست وعشرين ومائة تطرق خليفة بن خياط إلى أن هذه السنة قد شهدت مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، حيث اكتفى بذكر بعض المشاهد التي أفضت في النهاية إلى مقتله([9])، ثم تحدث عن بيعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وعن موته أيضاً في نفس سنة ست وعشرين ومائة([10])، وفي سنة سبع وعشرين ومائة ذكر خليفة أن الناس قد بايعوا مروان بن محمد، وأنهم خلعوا إبراهيم بن الوليد في السنة ذاتها([11])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص266- 267.

(2) المصدر نفسه، ص289.

(3) المصدر نفسه، ص289.

(4) المصدر نفسه، ص299.

(5) المصدر نفسه، ص309.

(6) المصدر نفسه، ص317.

(7) المصدر نفسه، ص322.

(8) المصدر نفسه، ص332.

(9) المصدر نفسه، ص363- 365.

(10) المصدر نفسه، ص368- 369.

(11) المصدر نفسه، ص372- 374.

القضاء:

القضاء لغةً: الحكم، والجمع أقضية، وقضى بمعنى حكم، ومنه قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً }([1])، ويأتي بمعنى الفراغ، تقول: قضى حاجته وضربه، فقضى عليه، أي قتله، كأنه فرغ منه، وقضى نحبه: أي مات، وقضى دينه: أي أنهاه، وقد يكون بمعنى الصنع والتقدير، ومنه قوله تعالى: { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ }([2])، ويقال: استقضي فلان، أي صير قاضياً([3])

والقضاء اصطلاحاً هو: النظر في القضايا، وإثباتها أو نفيها، لإظهار أحكامها على مقتضياتها([4])، بينما عرَّفه جرجي زيدان بأنه " منصب الفصل بين الناس في الخصومات "([5])

ويعتبر القضاء من الوظائف المهمة، وذلك لأن هذا المنصب تنحصر مهمته الرئيسة في " الفصل بين الناس في الخصومات، حسماً للتداعي، وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة "([6])، وهو ما جعل القضاء من وظائف الخلافة، لأن القضاء يمثل "ميزان الادعاء، ونبراس العدل، وملاذ المظلوم، والسد المانع لأنواع المظالم والغصوب والتعديات"([7])

ولقد كان الخلفاء في الصدر الأول للإسلام يتابعون شئونه من تلقاء أنفسهم، وكانوا لا يفوضون غيرهم بأمره، بيد أن عمر بن الخطاب كان أول خليفة يجعل القضاء ومسئولياته إلى غيره من الناس، حيث " ولّى أبا الدرداء معه بالمدينة، وولى شريحاً بالبصرة، وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة "([8])، معتبراً أن القضاء " فريضة محكمة، وسنة متبعة "([9])، وحذر القضاة من " القلق والضجر والتأفف بالخصوم "([10])

ويرى ابن خلدون أن هذا التفويض إنما جاء على خلفية أن الخلفاء يقضون أوقاتاً غير يسيرة في السياسة العامة، كما أنهم ينشغلون في أمر الجهاد والفتوحات، فضلاً عن سد الثغور وحماية

---

(1) الإسراء، آية: 23.

(2) فصلت، آية: 12.

(3) الرازي، مختار، ص226.

(4) الحميضي، القضاء، ص40.

(5) تاريخ، ج1، ص235.

(6) ابن خلدون، مقدمة، ص275. زيدان، تاريخ، ج1، ص235.

(7) ابن منيع، القضاء، ص173.

(8) ابن خلدون، مقدمة، ص275. زيدان، تاريخ، ج1، ص235.

(9) ابن خلدون، مقدمة، ص275.

(10) المصدر نفسه، ص276.

الديار([1])، كما يؤكد ابن خلدون على أن غيرهم ليس بمقدوره القيام بهذه الأعباء، وذلك لعظمها وجلالة شأنها، فكان من الطبيعي أن يتركوا القضاء لغيرهم([2])

ويرى ابن خلدون أن ثلة من الخلفاء عمدوا إلى تفويض القاضي للبت في المظالم، والتي يعتبرها " وظيفة ممتزجة من سَطْوة السلطنة ونَصَفَة القضاء، وتحتاج إلى علُوِّ يدٍ، وعظيم رهبة، تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المُتعدِّي "([3])، وهو الأمر الذي صنعه عمر بن الخطاب مع قاضيه أبي إدريس الخَوْلاني، والمأمون مع قاضيه يحيى بن أكْثَم، والمعتصم مع أحمد بن أبي داود([4])، وكان بعض الخلفاء يدفعون قيادة الجيوش إلى بعض قضاتهم، كما كان يفعل المأمون مع يحيى بن أكْثَم، والأموي عبد الرحمن الناصر بالأندلس مع قاضيه منذر بن سعيد([5])

ويمكن القول بأن القضاء بقي على هيئته البسيطة تلك حتى مجيء الدولة الأموية، على الرغم من أن المذاهب الأربعة لم تظهر في العصر الأموي، وكان الحكام الأمويون هم الذين يختارون القضاة بأنفسهم، بيد أن بعضهم كانوا يُخْتارون من قبل الولاة بعد أخذ الموافقة على التعيين من الخليفة نفسه([6])، ويرجع الفضل في ذلك إلى انتشار الإسلام واختلاط العرب بالعجم، الأمر الذي استدعى إلى لزوم إرساء نظام تشريعي، يأخذ على عاتقه مهمة فض النزاعات بين الخصوم، وتوجب على الخليفة أيضاً القيام بتعيين قضاة ينوبون عنه في ذلك([7])

ولقد وضع الماوردي جملة من الشروط والمواصفات التي من الواجب توفرها في القاضي، كالرجولة، والعقل، والحرية، والإسلام، والعدالة، والسلامة في السمع والبصر، والعلم بالأحكام الشرعية([8])، وأنها تنعقد "بما تنعقد به الولايات، مع الحضور باللفظ مشافهة، ومع الغيبة مراسلة ومكاتبة "([9])

ولقد اهتم خليفة بذكر أسماء القضاة الذين تولوا هذا المنصب من قبل الخلفاء الأمويين، دون أن يتطرق إلى تعريفه، أو طبيعته، أو الشروط الواجب توفرها فيمن يعتلي هذا المنصب، أو حدود الصلاحيات التي يتقلدها مع قبوله لإشغال هذه الوظيفة، إنما عني خليفة بإيراد أسماء

---

(1) ابن خلدون، مقدمة، ص276.

(2) المصدر نفسه، ص276.

(3) المصدر نفسه، ص276. الريس، النظريات، ص313.

(4) ابن خلدون، مقدمة، ص277. الريس، النظريات، ص313.

(5) ابن خلدون، مقدمة، ص277. زيدان، تاريخ، ج1، ص237.

(6) زعرور، أحمد، تاريخ، ص139.

(7) حسن، تاريخ، ج1، ص395.

(8) الأحكام، ص88- 90. حسن، تاريخ، ج1، ص395- 396.

(9) الأحكام، ص92.

القضاة الذين اعتلوا سدة القضاء، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان روى خليفة أن ابن عامر ولّى عميرة بن يثربي الضبي على البصرة، وولى زياد بن أبيه عاصمَ بن فضالة على البصرة أيضاً، كما ولى زيادٌ شريحاً عليها، علاوة على تعيين زرارة بن أوفى وعبد الرحمن بن أذينة عليها، من قبل عبيد الله بن زياد([1])

وفي الكوفة كان شريح قاضياً عليها، فلما خرج شريح منها إلى البصرة، حلّ محله القاضي مسروق بن الأجدع، فلما رجع شريح إلى الكوفة استعاد منصبه من جديد([2])، وفي المدينة استقضى مروان عليها عبد الله بن نوفل بن الحارث، فلما عزل مروان سنة ثمان وأربعين، ولّى الوالي الجديد سعيد بن العاص أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، ولما عزل سعيد بن العاص، وتولى مروان المدينة سنة أربع وخمسين استقضى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، ولما عزل مروان في سنة سبع وخمسين عين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان قاضيه ابن زمعة العامري، وبقي في منصبه هذا حتى وفاة معاوية([3])

وفي عهد يزيد بن معاوية، كان على البصرة عبد الرحمن بن أذينة العبدي، بينما كان شريح على الكوفة، أما عبد الله بن عثمان التيمي فكان قاضياً على المدينة([4])، علماً بأن خليفة بن خياط لم يتحدث شيئاً عن أحوال القضاة في عهد معاوية بن يزيد بن معاوية، ولا في عهد مروان بن الحكم، لكنه تحدث عنهم في عهد ابنه عبد الملك بن مروان، ففي البصرة، استقضى والي البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد – والمعيَّن من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وسبعين بعد مقتل مصعب بن الزبير – عبيدَ الله بن أبي بكرة، ثم ولّى الحجاجُ عليها هشامَ بن هبيرة الليثي، ثم عبد الرحمن بن أذينة العبدي([5])

وفي الكوفة، وبعد مقتل مصعب بن الزبير، أعاد عبد الملك شريحاً إليها قاضياً، ثم ولّى أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، لكن أبا بردة طلب من عبد الملك أن يعفيه من هذا المنصب كما فعل شريح من قبل، فقبل الخليفة ذلك منه وأعفاه، فاستقضى أبا بكر بن أبي موسى الأشعري، وبقي قاضياً عليها حتى مات، ثم جرى تعيين عامر بن شراحيل الشعبي([6])

وفي المدينة، استقضى الحجاجُ عبدَ الله بن قيس بن مخرمة، ثم استقضى والي المدينة أبان ابن عثمان القاضي نوفلَ بن مساحق العامري، وبقي عليها حتى عُزل أبان بن عثمان سنة

---

(1) تاريخ، ص227.
(2) المصدر نفسه، ص228.
(3) المصدر نفسه، ص228.
(4) المصدر نفسه، ص256.
(5) المصدر نفسه، ص296.
(6) الصدر نفسه، ص296.

ثلاث وثمانين، ثم عين عبدُ الملك هشامَ بن إسماعيل على المدينة، فاستقضى هذا الوالي عمرو بن خلدة الزرقي، حتى مات عبد الملك([1])، وفي الشام، كان أبو إدريس الخولاني هو قاضي عبد الملك بن مروان([2])

وفي عهد الوليد بن عبد الملك، أصبح عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة، وذلك سنة ست وثمانين، فولّى عمر القضاء عبد الرحمن بن يزيد بن جارية منصب القضاء على المدينة، ثم عزله عنه، واستقضى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فلما عُزل عمر عن المدينة، عين الوليد عثمان بن حيان المري، ومن بعده أبا بكر بن حزم على المدينة المدينة سنة ثلاث وتسعين([3])، كما جرى تعيين عامر الشعبي قاضياً على الكوفة([4])، ولم يذكر خليفة بن خياط معلومات تتعلق بالقضاة في عهد سليمان بن عبد الملك.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز، تم تعيين إياس بن معاوية قاضياً على البصرة، فلما خرج إياس من البصرة، ولّى والي البصرة عدي بن أرطأة الحسن بن أبي الحسن قاضياً عليها([5])، وفي الكوفة كان القاضي عليها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود([6])، وفي المدينة كان القاضي هو أبو طوالة، واسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، وبقي قاضياً للمدينة حتى مات عمر بن عبد العزيز([7])

وفي عهد يزيد بن عبد الملك، عيّن والي البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان القاضي النضر بن أنس بن مالك، ثم ولى مسلمةُ بن عبد الملك موسى بن أنس بن مالك سنة اثنتين ومائة، ثم عين ابنُ هبيرة عبدَ الملك بن يعلى سنة ثلاث ومائة([8])

وفي الكوفة، بقي القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قاضياً على الكوفة، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ثلاث ومائة، واستقضى عليها الحسين بن الحسن الكندي([9])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص296.

(2) المصدر نفسه، ص296.

(3) المصدر نفسه ، ص312.

(4) المصدر نفسه، ص313.

(5) المصدر نفسه ، ص324.

(6) المصدر نفسه، ص324.

(7) المصدر نفسه، ص324.

(8) المصدر نفسه، ص334.

(9) المصدر نفسه، ص334.

وعلى المدينة عين واليها عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس مسلمةَ بن عبد الله بن سلمة المخزومي، ثم تولى القضاء سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ثم من بعده سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت، حتى وفاة يزيد بن عبد الملك([1])

وفي عهد هشام بن عبد الملك، تولّى ثمامة بن أنس بن مالك قضاء البصرة، وفي سنة تسع ومائة عزل عنه، وتولى بلال بن أبي بردة قضاءها، وفي سنة عشرين ومائة تولى عبد الله بن بريدة الأسلمي قضاء البصرة، فلما مات حل محله عامر بن عبيدة الباهلي، وبقي على قضائها حتى مات هشام([2])

وفي الكوفة، كان الحسين بن الحسن الكندي قاضياً عليها، ثم سعيد بن أشوع الهمداني، ثم محارب بن دثار، ثم الحكم بن عتيبة العجلي، ثم سعيد بن أشوع مرة ثانية، وبقي قاضياً حتى مات، ثم تولى عيسى بن المسيب البجلي، ثم عبد الله بن شُبرُمة، ثم محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى حتى مات هشام([3])

وفي المدينة، عين واليها إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل محمدَ بن صفوان الجمحي، ثم الصلت بن زبيد بن الصلت، ثم استقضى الوالي الجديد خالدُ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم سنة أربع عشرة ومائة أبا بكر بن عبد الرحمن بن حويطب، ثم محمد بن صفوان، بيد أن هشام بن عبد الملك عزل خالد بن عبد الملك سنة تسع عشرة ومائة، وكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فبقي قاضياً على المدينة حتى مات([4])

وفي عهد الوليد بن يزيد، كان على قضاء البصرة عامر بن عبيدة، فبقي عليها حتى مقتل الوليد، وعلى الكوفة كان ابن أبي ليلى حتى مقتل الوليد، وفي المدينة سعد بن إبراهيم، ثم يحيى ابن سعيد حتى مقتل الوليد([5])

وفي عهد يزيد بن الوليد، اعتزل قاضي البصرة عامر بن عبيدة الفتنة، وبقي ابن أبي ليلى قاضي الكوفة، وبقي سعد بن إبراهيم قاضياً على المدينة، فلما جاء الوالي الجديد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عزل سعد بن إبراهيم، واستقضى عثمان بن عمر([6])، أما إبراهيم بن الوليد فلم يذكر خليفة عن قضاته شيئاً.

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص334.

(2) المصدر نفسه، ص361.

(3) المصدر نفسه، ص361.

(4) المصدر نفسه، ص361.

(5) المصدر نفسه، ص367.

(6) المصدر نفسه، ص371.

وفي عهد مروان بن محمد، كان على قضاء البصرة عباد بن منصور، ثم قدم على البصرة سلم بن قتيبة، فعزل عباداً وولّى معاويةَ بن عمر الغلابي، ثم استعفى فأعفاه، ثم عامر بن عبيدة الباهلي، ثم استعفى فأعفاه، ثم عباد بن منصور مرة أخرى، الذي بقي قاضياً على البصرة حتى سقوط الدولة الأموية([1])

وفي الكوفة كان عليها القاضي ابن أبي ليلى، فلما دخلها الضحاك بن قيس ولاها غيلان بن جامع المحاربي، ثم جاء ابن هبيرة إلى الكوفة، " فاستقضى الحجاج بن عاصم المحاربي، ثم عزله، وولى منصوراً حتى بويع أبو العباس "([2])

وفي المدينة، كان عليها عثمان بن عمر، فاستبقاه عبد الواحد بن سليمان، ثم استقضى محمدُ بن عمران الوليدَ بن عروة بن محمد بن عطية، حتى قيام الدولة العباسية([3])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص407- 408.

(2) المصدر نفسه، ص408.

(3) المصدر نفسه، ص408.

الحجابة:

لم يكن الخلفاء الراشدون يدفعون ذوي الحاجات من الناس عن مزاحمة أبوابهم، وذلك لأنهم يعتبرون ذلك " محظوراً بالشريعة "([1])، لكن هذا الأمر تكرّس بصورة جذرية بعد أن انقضاء زمن الخلفاء الراشدين، فكان " أول شيء بُدئ به في الدولة شأن الباب وسَدّه "([2])، وأول من اتخذ الحجاب هو معاوية بن أبي سفيان([3])، وتبعه حكام المسلمين من بعده، حيث عمد هؤلاء إلى انتقاء شخص يقوم بهذه المهمة، وذلك " خوفاً على أنفسهم من شر الناس، وتلافياً لازدحامهم على أبوابهم، وشغلهم عن النظر في مهام الدولة "([4])، ومخافة أن يتكرر معهم ما حدث مع عمر وعلي ومعاوية([5])، وأطلقوا عليه اسم " الحاجب "([6])، لأن وظيفته الرئيسة تتمثل في " القيام على الباب "([7])، فضلاً عن " التأكد من حالة من يستقبلهم الخليفة، ومعرفة الغرض الذي جاؤوا من أجله، والتخفيف عن الخلفاء من ازدحام الناس، حتى يتفرغوا إلى النظر في مهام الدولة "([8])، وهو " موظف كبير يشبه كبير الأمناء في أيامنا هذه، وكان يشغل منصباً سامياً في البلاط، ومهنته إدخال الناس على الخليفة، مراعياً في ذلك مقامهم وأهمية أعمالهم "([9])، وقيل إنْ هو إلا " موظف كبير يشبه مدير التشريفات أو المراسم، ومهمته إدخال الناس على الخليفة، مراعياً أهميتهم ومقامهم "([10])، وهو الذي يسميه جرجي زيدان بالتشريفاتي([11])، معتبراً إياه أنه هو " الذي يتولى الإذن

---

(1) ابن خلدون، مقدمة، ص296.

(2) المصدر نفسه، ص296.

(3) حسن، تاريخ، ج1، ص360. عودة وآخرون، مختصر، ص55. الخربوطلي، الإسلام، ص131. زيدان، تاريخ، ج1، ص251. والصحيح ما ذكره خليفة بن خياط من أن النبي كان له مولى يعمل حاجباً عنده صلى الله عليه وسلم. تاريخ، ص99.

(4) حسن، تاريخ، ج1، ص360. عودة وآخرون، مختصر، ص55.

(5) ابن خلدون، مقدمة، ص296. عودة وآخرون، مختصر، ص55.

(6) ابن خلدون، مقدمة، ص296.

(7) المصدر نفسه، ص297.

(8) النجار، تاريخ، ص227.

(9) حسن، تاريخ، ج1، ص361.

(10) عودة وآخرون، مختصر، ص55. الخربوطلي، الإسلام، ص131.

(11) تاريخ، ج1، ص251. يقول محمد الطيب: " وتكاد تشبه هذه الوظيفة وظيفة مدير المكتب، بالنسبة إلى الرؤساء والوزراء في عصرنا الحاضر ". تاريخ، ص227.

للناس في الدخول على الملك أو السلطان أو الأمير، ولا بد منه في الدولة حفظاً لهيبة الملك "([1])، كما وربط بين الإغراق في المدنية وبين ظاهرة الحُجَّاب، فقال:

" وكلما أعرقت الدولة في المدنية، واستغرقت في الترف، تكاثف الحجاب بين ملكها ورعاياها "([2])، وكان الحُجَّاب " يفضلون في الدخول أهل البيوتات أي أهل النسب، فإذا تساوت الأنساب، فضلوا أهل السن، فإذا تساوت فضلوا أهل الأدب والعلم "([3])

ولقد بلغ اهتمام الخلفاء الأمويين بأمر الحاجب درجة أوجبت عليهم وعلى ولاتهم أن يوجهوا النصائح والإرشادات لهذا الحاجب، حيث يُرْوى أن زياد بن أبيه قد كتب على بساطه أن " لا حجاب عن صاحب ثغر، ولا طارق ليل "([4])، بينما كان عبد الملك بن مروان يوصي حاجبه لمّا ولاه، فيقول له: " قد وليتك حجابة بابي، إلا عن ثلاثة: المؤذن للصلاة فإنه داعي الله، وصاحب البريد فأمرٌ ما جاء به، وصاحب الطعام لئلا يفسد "([5])، كما حرص الخلفاء على أن يتمتع الحاجب بجملة من المواصفات، من أهمها " العدالة، والعفة، والأمانة، بالإضافة إلى حسن المنظر، وسلامة المخبر، ومعرفته بمقادير الناس، وبعده عن الهوى والمعصية، واعتدال أخلاقه بين الشراسة واللين "([6])

وكان لقب الحاجب " مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة، ويغلق بابه دونهم، أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته "([7])، بيد أن الحاجب إذا ما بالغ في منع الناس من اللقاء بالسلطان، فإن ذلك يعدُّ "تنفيراً لذوي الفضائل الجليلة، والهمم البعيدة، وتكديراً للصنيعة، واستفساداً للرعية، ودلالة على الريبة "([8])، أما في الدولة الأموية بالأندلس فقد كانت الحجابة " لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم "([9])، وكان أهل الأندلس يلقبون من يقوم بهذه المهام بـ " الوكيل "([10])

---

(1) تاريخ، ج1، ص251.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص251.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص251.

(4) الماوردي، نصيحة، ص216.

(5) ابن خلدون، مقدمة، ص296. حسن، تاريخ، ج1، ص361. عودة وآخرون، مختصر، ص55. الخربوطلي، الإسلام، ص131. زيدان، تاريخ، ج1، ص251.

(6) الوقاد، الحجابة، ص109.

(7) ابن خلدون، مقدمة، ص299.

(8) الماوردي، نصيحة، ص216.

(9) ابن خلدون، مقدمة، ص299.

(10) المصدر نفسه، ص301.

حرص خليفة على إيراد أسماء أولئك الذين عملوا حُجَّاباً لدى خلفاء بني أمية، دون أن يدخل خليفة في تفاصيل هذه الوظيفة أو طبيعتها، ولا المواصفات الواجب توفرها فيمن يشغلها، أو ماهية حدود صلاحيات القائمين عليها، أو ظروف نشأتها وتطورها، إنما اقتصرت عنايته بالأمر عبر ذكر أسماء الذين قاموا على هذه الوظيفة، حيث أفاد بأنه في عهد معاوية بن أبي سفيان كان أبو أيوب مولاه حاجبه([1])، بيد أن خليفة لم يذكر شيئاً عن الحجابة في عهد يزيد بن معاوية، ولا في عهد معاوية بن يزيد، لكنه ذكر أن أبا سهل الأسود مولى مروان بن الحكم كان حاجباً لمروان([2])، وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كان حاجبه هو أبو يوسف مولاه([3])

أما في عهد الوليد بن عبد الملك فقد كان حاجبه هو سعيد مولاه، وقيل: محمد بن أبي سهيل([4])، وفي عهد سليمان بن عبد الملك كان أبو عبيد مولاه حاجبه([5])، وكان في عهد عمر بن عبد العزيز الحاجب حبيش مولى عمر([6])، وفي عهد يزيد بن عبد الملك كان خالد مولاه حاجباً له([7])، أما هشام بن عبد الملك فقد اتخذ غالب بن مسعود مولاه حاجباً له([8])، أما الخليفة الوليد بن يزيد فقد كان عيسى بن مقسم حاجبه([9])، ولم ينوه خليفة إلى أي معلومة فيما يتعلق بحاجب الخليفة يزيد بن الوليد، والخليفة إبراهيم بن الوليد، أما مروان بن محمد فكان حاجبه سقلاب، وقيل: مقلاص، وكان مولى له([10])

---

(1) تاريخ، ص228.

(2) المصدر نفسه، ص263.

(3) المصدر نفسه، ص299.

(4) المصدر نفسه، ص312.

(5) المصدر نفسه، ص319.

(6) المصدر نفسه، ص325.

(7) المصدر نفسه، ص335.

(8) المصدر نفسه، ص362.

(9) المصدر نفسه، ص368.

(10) المصدر نفسه، ص408.

إمارة الموسم:

لم تكن فريضة الحج مجرد أداء للمناسك والشعائر فحسب، بل حرص الإسلام على رعاية شئون الناس، والنظر في أحوالهم وجملة احتياجاتهم، ويجيء هذا الموقف تعبيراً جلياً على الواقعية التي أقرّتها شريعة الإسلام، التي أتاحت للمسلمين ممارسة التجارة في موسم الحج، ما لم يكن في ذلك إعاقة لأداء المناسك، الأمر الذي سمح بخلق حالة كبيرة من الانتعاش الاقتصادي، حيث ظهرت الأسواق الجديدة والمؤقتة بموسم الحج، فضلاً عن الأسواق الدائمة التي تنعقد على مدار السنة، والتي تقدم الخدمات لأهل مكة والمدينة، سيما في أوقات العمرة والزيارة([1])

وعلى الرغم من تضاؤل دور الحجاز على الصعيد السياسي إبان العصر الأموي، سيما بعد انتقال مركز الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الشام، زد على ذلك الفقر، وقلة الموارد الذي تعاني منه بلاد الحجاز، إلا أن موسم الحج كان كفيلاً برفد مدينتي مكة والمدينة بـ" المؤن الغذائية والسيولة النقدية التي كانت تفد مع الحجاج والتجار "([2])، علاوة على توفير دخول مالية، وذلك من خلال تأجير الدور والحوانيت، وبيع العقارات([3])

إن الولاية على الحج نوعان، أما النوع الأول: فينحصر في تسيير الحجاج، وأما الثاني: فيتركز في إقامة الحج، فأما " تسيير الحجيج فهو ولاية سياسة وزعامة وتدبير "([4])، ويشترط في صاحب هذه الزعامة أن يكون " مطاعاً، ذا رأي، وشجاعة، وهيبة، وهداية "([5])، وتتلخص الحقوق المترتبة على هذه المهمة في النقاط التالية:

1. العمل على جمع الناس أثناء المسير أو الإقامة.
2. الرفق بالناس، فلا يرهق الضعيف منهم.
3. القيامة بمهام الحراسة نهاراً وليلاً.
4. الإصلاح بين المتخاصمين والتوسط بين المتنازعين.
5. مراعاة الوقت بغرض ضمان عدم فوات مناسك الحج([6])

أما إن كانت الولاية على إقامة الحج، فيكون المتولي لهذه المسئولية بمنزلة الإمام في تأدية الصلاة، وعلى القائم بأمر هذه الولاية أن تتوفر فيه عدة شروط، أهمها:

---

(1) الجميح، مظاهر، ص184.
(2) المرجع نفسه، ص184- 185.
(3) المرجع نفسه، ص184.
(4) الماوردي، الأحكام، ص139.
(5) المصدر نفسه، ص139.
(6) المصدر نفسه، ص139- 140.

- العلم بمناسك الحج وأحكامه.
- المعرفة بمواقيت الحج وأيامه.
- تقدر مدة البقاء على هذه الولاية بسبعة أيام تبدأ من اليوم السابع من ذي الحجة ولغاية اليوم الثالث عشر من ذي الحجة([1])

وتنحصر مهام المتولي لأمر الحج على المسئوليات التالية:

- إشعار الناس بوقت الإحرام، والخروج إلى المشاعر.
- ترتيب المناسك على ما استقر عليه الشرع، فلا يقدم مؤخراً، ولا يؤخر مقدماً.
- تقدير المواقيت في المقام والمسير.
- إمامة الناس في الصلاة([2])

ولقد أوْلَى خليفةُ في تاريخه موسمَ الحج اهتماماً كبيراً، وذلك من خلال تسمية أولئك الذين أقاموا على الحج، منذ سنة إحدى وأربعين، وحتى سقوط الدولة الأموية، لكنه لم يتحدث عن التعريف بموسم الحج، أو طبيعته، أو الشروط الواجب توفرها فيمن يقيم هذا الموسم، أو ماهية التبعات الملقاة على عاتق من يتقلد هذا الموقع الحساس، إنما انصب اهتمام خليفة على ذكر القائمين على الموسم سنةً بسنة، فلا يكاد يغفل عن واحدة منها، فقد ذكر أنه وفي سنة إحدى وأربعين أقام الحج عتبة بن أبي سفيان بن حرب([3])، وفي سنة اثنتين وأربعين أقام الحج عنبسة ابن أبي سفيان بن حرب([4])، وفي سنة ثلاث وأربعين أقام الحج مروان بن الحكم([5])، وفي سنة أربع وأربعين أقام الحج معاوية بن أبي سفيان([6])، وفي سنة خمس وأربعين أقام الحج مروان بن الحكم([7])، وفي سنة ست وأربعين أقام الحج عتبة بن أبي سفيان بن حرب([8])، وفي سنة سبع وأربعين أقام الحج عنبسة بن أبي سفيان([9])، وفي سنة ثمان وأربعين وتسع وأربعين أقام الحج سعيد

---

(1) الماردودي، الأحكام، ص141.
(2) المصدر نفسه، ص141- 142.
(3) تاريخ، ص205.
(4) المصدر نفسه، ص205.
(5) المصدر نفسه، ص206.
(6) المصدر نفسه، ص207.
(7) المصدر نفسه، ص207.
(8) المصدر نفسه، ص208.
(9) المصدر نفسه، ص208.

بن العاص([1])، وفي سنة خمسين أقام الحج يزيد بن معاوية([2])، ثم يقول أن معاوية أقام الحج سنة خمسين([3])، وهو الخلاف الذي لم يحسمه ابن جرير الطبري في تاريخه([4])

وفي سنة إحدى وخمسين أقام الحج معاوية بن أبي سفيان([5])، وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاث وخمسين أقام الحج سعيد بن العاص([6])، وفي سنة أربع وخمسين وخمس وخمسين أقام الحج مروان بن الحكم([7])، وفي سنة ست وخمسين وسبع وخمسين وثمان وخمسين أقام الحج الوليد بن عتبة بن أبي سفيان([8])، وفي سنة تسع وخمسين أقام الحج محمد بن أبي سفيان([9])، وفي سنة ستين أقام الحج عمرو بن سعيد([10])

وفي سنة إحدى وستين أقام الحج الوليد بن عتبة([11])، وفي سنة اثنتين وستين أقام الحج عثمان بن محمد بن أبي سفيان([12])، وفي سنة ثلاث وستين أقام الحج عبد الله بن الزبير([13])، وقيل: إن الناس اصطلحوا على عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب([14])، وحج عبد الله بن الزبير بالناس ثماني حجج بدون انقطاع، وذلك من سنة أربع وستين حتى سنة إحدى وسبعين([15])، وفي سنة اثنتين وسبعين ذكر خليفة أن الحجاج بن يوسف الثقفي حج بالناس، ثم يقول هو نفسه بأن ابن الزبير أيضاً أقام الحج بالناس([16])، وفي سنة ثلاث وسبعين أقام الحج الحجاج بن يوسف

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص209.

(2) المصدر نفسه، ص211.

(3) المصدر نفسه، ص213.

(4) يقول الطبري: " واختُلِف فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حج بهم معاوية، وقال بعضهم: بل حج بهم ابنه يزيد ". ج5، ص240.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص218.

(6) المصدر نفسه، ص218، 222.

(7) المصدر نفسه، ص223.

(8) المصدر نفسه، ص224، 225.

(9) المصدر نفسه، ص227.

(10) المصدر نفسه، ص229، 233.

(11) المصدر نفسه، ص235.

(12) المصدر نفسه، ص236.

(13) المصدر نفسه، ص251.

(14) المصدر نفسه، ص251.

(15) المصدر نفسه، ص253، 254، 261، 263، 264، 265، 266، 267.

(16) المصدر نفسه، ص268، 269.

الثقفي([1])، وفي سنة أربع وسبعين أقام الحج الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن أجرى تعديلات على بناء ابن الزبير للكعبة([2])، وفي سنة خمس وسبعين أقام الحج بالناس عبد الملك ابن مروان([3])، وفي سنة ست وسبعين لم يذكر خليفة بن خياط اسم الذي حج بالناس([4])، وفي سنة سبع وسبعين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان([5])، وفي سنة ثمان وسبعين حجّ بالناس الوليد بن عبد الملك([6])، وفي سنة تسع وسبعين وثمانين أقام الحج أبان بن عثمان بن عفان([7])، وفي سنة إحدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك([8])، وفي سنة اثنتين وثمانين أقام الحج أبان بن عثمان بن عفان([9])، وفي سنة ثلاث وثمانين وأربع وثمانين وخمس وثمانين وست وثمانين أقام الحج هشام بن إسماعيل المخزومي([10])، وفي سنة سبع وثمانين أقام الحج عمر ابن عبد العزيز([11])، وفي سنة ثمان وثمانين حج بالناس عمر بن الوليد بن عبد الملك([12])، وفي سنة تسع وثمانين وتسعين أقام الحج عمر بن عبد العزيز([13])، وفي سنة إحدى وتسعين أقام الحج الوليد بن عبد الملك([14])، وفي سنة اثنتين وتسعين لم يذكر خليفة اسم من حج بالناس([15])، بيد أن ابن جرير الطبري كان قد سمّاه، حيث قال أحداث سنة اثنتين وتسعين:

" وحجّ بالناس في هذه السنة عمرُ بن عبد العزيز وهو على المدينة "([16])

---

(1) المصدر نفسه، ص269، 270.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص271.

(3) المصدر نفسه، ص271، 272.

(4) المصدر نفسه، ص274- 275. لقد روى ابن جرير الطبري في تاريخه ما يشير إلى أن الذي أقام على الحج في سنة ست وسبعين هو أبان بن عثمان بن عفان، حيث جاء في الرواية: " حجّ أبانُ بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين، سنة ست وسبعين، وسنة سبع وسبعين ". ج6، ص318.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص276.

(6) المصدر نفسه، ص277.

(7) المصدر نفسه، ص279، 280.

(8) المصدر نفسه، ص281.

(9) المصدر نفسه، ص288.

(10) المصدر نفسه، ص289، 290، 291، 299.

(11) المصدر نفسه، ص301.

(12) المصدر نفسه، ص302.

(13) المصدر نفسه، ص302، 303.

(14) المصدر نفسه، ص303.

(15) المصدر نفسه، ص304.

(16) تاريخ، ج6، ص468.

وفي سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك([1])، وفي سنة أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك([2])، وفي سنة خمس وتسعين حج بالناس بشر بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان([3])، وفي سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم([4])، وفي سنة سبع وتسعين أقام الحج سليمان بن عبد الملك([5])، وفي سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد([6])، وفي سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم([7])

وفي سنة إحدى ومائة واثنتين ومائة وثلاث ومائة أقام الحج عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس الفهري([8])، وفي سنة أربع ومائة حج بالناس عبد الواحد بن عبد الله النصري([9])، وفي سنة خمس ومائة حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي([10])، وفي سنة ست ومائة أقام الحج هشام بن عبد الملك([11])، وفي سنة سبع وثمان وتسع وعشر وإحدى عشر واثنتي عشر حج بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل([12])، وفي سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك([13])، وفي سنة أربع عشرة ومائة أقام الحج خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص([14])، وفي سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد ابن هشام بن إسماعيل([15])، وفي سنة ست عشرة ومائة أقام الحج الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وقيل: عيسى بن مقسم مولى الوليد([16])، وفي سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص305.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص306.

(3) المصدر نفسه، ص309.

(4) المصدر نفسه، ص313.

(5) المصدر نفسه، ص314.

(6) المصدر نفسه، ص316.

(7) المصدر نفسه، ص320، 321.

(8) المصدر نفسه، ص325، 327، 328.

(9) المصدر نفسه، ص330.

(10) المصدر نفسه، ص360.

(11) المصدر نفسه، ص336.

(12) المصدر نفسه، ص337، 339، 340، 341، 343، 360.

(13) المصدر نفسه، ص345.

(14) المصدر نفسه، 346.

(15) المصدر نفسه، ص346.

(16) المصدر نفسه، ص347.

بن الحكم([1])، وفي سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل([2])، وفي سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك([3])، وفي سنة عشرين ومائة وإحدى وعشرين ومائة واثنتين وعشرين ومائة أقام الحج محمد بن هشام بن إسماعيل([4])، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة حج بالناس يزيد بن هشام بن عبد الملك([5])، وفي سنة أربع وعشرين ومائة أقام الحج محمد بن هشام بن إسماعيل([6])، وفي سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف بن عمر([7])، مع أن خليفة نفسه ذكر في موضع آخر أن الذي كان على الموسم في هذه السنة هو يوسف بن محمد بن يوسف([8])، وفي سنة ست وعشرين ومائة لم يذكر خليفة اسم الذي حج بالناس، وهي السنة التي قتل فيها الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان([9])، مع أن ابن جرير الطبري قد سمّاه، فقال في سياق حديثه عن أحداث سنة ست وعشرين ومائة: " وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان في قول الواقدي، وقال بعضهم: حجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله بن عبد الملك "([10])

وفي سنة سبع وعشرين ومائة وثمان وعشرين ومائة أقام الحج عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز([11])، وفي سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك([12])، وفي سنة ثلاثين ومائة أقام الحج محمد بن عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي([13])، وفي سنة إحدى وثلاثين حج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية([14])، وهي

(1) المصدر نفسه، ص348.
(2) ابن خياط، تاريخ، ص349.
(3) المصدر نفسه، ص349.
(4) المصدر نفسه، ص350، 352، 354.
(5) المصدر نفسه، ص354.
(6) المصدر نفسه، 356.
(7) المصدر نفسه، ص362.
(8) المصدر نفسه، ص367.
(9) المصدر نفسه، ص363 – 372.
(10) تاريخ، ج7، ص299.
(11) ابن خياط، تاريخ، ص378، 382، 384.
(12) المصدر نفسه، ص389.
(13) المصدر نفسه، ص395.
(14) المصدر نفسه، ص398.

آخر سنة حج بها الأمويون، وذلك أن داود بن علي بن عبد الله بن عباس حج بالناس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة([1])

ديوان الرسائل([2]):

تعدُّ الكتابة من الصنائع الشريفة التي عرفها الإنسان، وهي من " خواص الإنسان التي يميِّز بها عن الحيوان "([3])، ويرى القلقشندي أن لفظ الكتابة تم تخصيصه بصناعة الإنشاء، حتى " كانت الكتابة إذا أُطلقت، لا يراد بها غير كتابة الإنشاء "([4])، وديوان الرسائل إنما هو دائرة رسمية تضطلع بمهمة الإشراف على المراسلات التي يقوم بها الخليفة، والقيام بإعدادها في صيغتها الأخيرة([5])، وبالنظر إلى أهمية ديوان الرسائل فقد كان الخليفة يعهد إلى وزيره أو كاتبه المقرّب بالإشراف على هذا الديوان، ويجري اختيار أهل الثقة لهذا المنصب، كي يتسنى للخليفة ضمان عدم حدوث تسرب في أسرار الدولة، سيما وأن صاحب هذا الديوان يشرف تماماً على الرسائل الواردة والصادرة، فضلاً عن القيام بالتنسيق بين جميع دواوين الدولة([6])، ويعدُّ الكاتب " من أكبر أعوان الخليفة "([7])، ويمكن إيجاز اختصاصات صاحب هذا الديوان فيما يلي:

- النظر في الوارد من المراسلات وعرضها على الخليفة.
- مراجعة ديوان البريد، وتقديم ملخص للأخبار إلى الخليفة.
- النظر في الأمور كافة، بما يحقق المصلحة العليا للوطن([8]).

ولقد اشترط القلقشندي في الكاتب جملة من الشروط والمواصفات، من أهمها " اعتماد تقوى الله تعالى في الإسرار والإعلان، والإظهار والإبطان، والمحافظة عليها، والاستناد إليها في مبادئ الأمور وعواقبها "([9])

---

(1) المصدر نفسه، ص404.

(2) الديوان: موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال. الماوردي، الأحكام، ص259. وقيل: هو " دفتر يكتب فيه أسماء أهل العطاء والعساكر، على القبائل والبطون ". الكتاني، التراتيب، ج1، ص200.

(3) ابن خلدون، مقدمة، ص524.

(4) القلقشندي، صبح، ج1، ص52.

(5) الأصيبعي، الشرطة، ص52.

(6) علي، تاريخ، ص355. زعرور، أحمد، تاريخ، ص137. أحمد، دراسات، ص426.

(7) الخربوطلي، الإسلام، ص131.

(8) الأصيبعي، الشرطة، ص52.

(9) صبح، ج1، ص69.

ولقد عمد الأمويون إلى إحداث ديوان خاص بالرسائل، بهدف ضمان تقديم الخدمة إلى الإدارة المركزية وفروعها المحلية([1])، حيث أن هذا الديوان لم يكن معمولاً به في أيام الخلافة الراشدة بالهيئة التي ظهر فيها زمن الأمويين، وإن أول ظهور له كان في زمن معاوية بن أبي سفيان([2])، وإن كان أبو بكر قد اتخذ عثمان بن عفان كاتباً له، كما اتخذ عمر بن الخطاب زيد بن ثابت كاتباً له، يعاونه في ذلك عبد الله بن الأرقم، واتخذ عثمان بن عفان مروان بن الحكم كاتباً له، كما واتخذ علي بن أبي طالب عبد الله بن رافع كاتباً له([3])، أما القلقشندي فقد جزم بأن ديوان الإنشاء هو " أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه، وأصحاب سراياه من الصحابة، رضوان الله عليهم، ويكاتبونه، وكتب إلى من قرُب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه "([4])

تعددت اختصاصات ديوان الرسائل مع مرور الوقت، وزاد عدد العاملين فيه، وظهرت وظائف جديدة كالكتّاب الذين يقومون بمهمة الإنشاء، وآخرين يقومون على مهمة الاختصار والتبييض، والخازن الذي يشرف على المحفوظات التي يجري تخزينها، بحيث أصبح الكاتب وكأنه وزير دولة يُسْتشار ويرجع إليه([5])، ومن أشهر هؤلاء زياد بن أبيه كاتب أبي موسى الأشعري، وسالم كاتب هشام بن عبد الملك([6])، علاوة على عبد الحميد الكاتب([7]) وهو كاتب مروان بن محمد([8])، وأصبح الكُتَّاب في الدولة الأموية خمسة: كاتب الرسائل، وكاتب الخراج، وكاتب الجند، وكاتب الشرطة، وكاتب القاضي، وكان أهم هؤلاء الكتاب هو كاتب الرسائل([9])

---

(1) علي، تاريخ، ص355.

(2) زعرور، أحمد، تاريخ، ص137. يرى مصطفى أبو ضيف أحمد أن ديوان الإنشاء أو ديوان الرسائل إنما " نشأ في المدينة زمن الرسول، وأنه كان أول ديوان وضع في الإسلام ". دراسات، ص424. الناطور، تجديد، ص371.

(3) حسن، تاريخ، ج1، ص360. الخربوطلي، الإسلام، ص131. القلقشندي، صبح، ج1، ص92.

(4) صبح، ج1، ص91.

(5) زعرور، أحمد، تاريخ، ص137.

(6) حسن، تاريخ، ج1، ص360. الخربوطلي، الإسلام، ص131.

(7) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد، عالم بالأدب، ومن أئمة الكتّاب، ويضرب به المثل في البلاغة، اختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق، وعمل لديه كاتباً منذ أن تولى مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان في سنة 114هـ، حيث بقي مرافقاً له، إلى أن قتلا معاً في بوصير بمصر، الزركلي، الأعلام، ج3، ص289- 290. السيد، الكاتب، ص14- 15.

(8) زعرور، أحمد، تاريخ، ص137. عودة وآخرون، مختصر، ص55. حسن، تاريخ، ج1، ص360. الخربوطلي، الإسلام، ص131.

(9) حسن، تاريخ، ج1، ص360. الخربوطلي، الإسلام، ص131.

لكن ابن خلدون اعتبر أن هذه الوظيفة لم تعد ضرورية في الملك، وإنما بقي عليها " الدول العريقة في البداوة، التي لم يأخذها تهذيب الحضارة، ولا استحكام الصنائع "([1])

وكان صاحب الديوان إبان الدولة الأموية يعرف بالكاتب، فلما جاءت الخلافة العباسية تركوا هذا اللقب، حيث لقب السفاح كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة، وترك اسم الكاتب([2])، علماً بأن هذا الديوان كان قد حمل أسماء كثيرة، منها: ديوان الرسائل، وديوان المكاتبات، وديوان الإنشاء([3])، ويسمّى الموضع الذي يجلس فيه الكتاب بـ " الديوان "([4])

عني خليفة بن خياط بإيراد أسماء من تولوا كتابة الرسائل لدى خلفاء الدولة الأموية، دون أن يتطرق إلى طبيعة هذا الديوان، أو اختصاصاته، أو صلاحيات القائم عليه، ومع ذلك يمكن اعتبار خليفة من أولئك المؤرخين الذين اهتموا كثيراً بتسمية كتاب الرسائل، حيث ذكر أن كاتب الرسائل لدى معاوية بن أبي سفيان كان عبيد بن أوس الغساني([5])، لكن تاريخ خليفة بن خياط لم يتضمن أسماء الذين تولوا كتابة الرسائل لدى يزيد بن معاوية، وابنه معاوية، حيث اكتفى بالإشارة إلى أن معاوية بن يزيد بن معاوية " أقرّ عمال أبيه، ولم يولّ أحداً "([6])

وذكر خليفة أن سرجون بن منصور الرومي كان كاتباً لدى مروان بن الحكم([7])، وأن أبا الزعيزعة – وهو من الموالي – كان كاتب الرسائل لدى عبد الملك بن مروان([8])، أما ابنه الوليد فقد اتخذ جناحاً مولاه كاتباً للرسائل([9])، في حين كان ليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان كاتب الرسائل لدى الخليفة سليمان بن عبد الملك([10])، وفي عهد عمر بن عبد العزيز بقي ليث بن أبي رقية كاتباً للرسائل([11])، أما في عهد يزيد بن عبد الملك فقد كان صالح بن جبير الغداني كاتباً للرسائل، ثم عزله الخليفة يزيد، وعيّن بدلاً منه أسامة بن زيد(ت: 153هـ/770م) وهو مولى لأهل

---

(1) مقدمة، ص306.
(2) القلقشندي، صبح، ج1، ص103.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص103.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص89.
(5) تاريخ، ص228.
(6) المصدر نفسه، ص255.
(7) المصدر نفسه، ص263.
(8) المصدر نفسه، ص299.
(9) المصدر نفسه، ص312.
(10) المصدر نفسه، ص319.
(11) المصدر نفسه، ص324.

اليمن([1])، أما هشام بن عبد الملك فقد عيّن سالماً مولى سعيد بن عبد الملك كاتباً لرسائله([2])، وبقي كاتباً للرسائل في عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم كتب لهذا الخليفة ابنه عبد الله بن سالم([3])، أما الخليفة يزيد بن الوليد فقد كان ليث بن أبي سليمان بن سعد كاتباً للرسائل([4])، أما إبراهيم فلم يشر خليفة بن خياط إلى شيء من شأنه أن يفيد، سيما الأمور المتعلقة بأسماء الولاة أو بعض الوظائف الحكومية، وكانت وظيفة كاتب الرسائل من بين الوظائف التي لم يتطرق خليفة إلى ذكرها، ويبدو أن الباعث على ذلك مرجعه إلى أن ولاية إبراهيم قصيرة، قال خليفة: " وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع أشهراً "([5])، وقيل: لم تتجاوز شهرين ونصفاً([6])، وإما لأن خليفة بن خياط كان يعتبر سنة سبع وعشرين ومائة وهي السنة التي بويع فيها مروان بن محمد، وخلع فيها إبراهيم بن الوليد سنة فتنة، حيث قال عن تلكم السنة " فيها وقعت الفتنة "([7])

وفي عهد آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد، أشار خليفة بن خياط إلى أن هذا الخليفة قد اتخذ عبد الحميد الكبير كاتباً للرسائل([8])

---

(1) المصدر نفسه، ص335.

(2) المصدر نفسه، ص362.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص367.

(4) المصدر نفسه، ص371.

(5) المصدر نفسه، ص374.

(6) المصدر نفسه، ص374.

(7) المصدر نفسه، ص372.

(8) المصدر نفسه، ص408.

ديوان الخاتم:

وهو الديوان الذي يتولى مهمة تسجيل كل ما يصدر عن الخليفة، ثم القيام بوضع الختم عليه([1])، وقيل: هو عبارة عن " دائرة خاصة للكتاب الذين تولوا أمر المراسلات الحكومية في الدولة "([2])، وكان هذا الديوان من " أكبر دواوين الدولة الأموية "([3])، وكانت مهمته الرئيسة تتمثل في ختم الرسائل قبل أن يجري إرسالها إلى الأقاليم، حتى لا يعلم أحدٌ ما بداخلها، كما أنه ليس بوسع أحد فتحها، ولو أن أحداً حاول فض الرسائل بغرض التزوير أو التعديل لعُرف أمره([4])، وشبَّهه حسن إبراهيم حسن بـ " قلم (الأرشيف) أو السجلات " في أيامنا هذه([5])

ويذكر ابن خلدون أن الكتاب بدون الختم " ملغىً ليس بتمام "([6])، لأن الختم " علامة على صحة الكتاب ونفوذه "([7]) معتبراً أن الختم إن هو إلا " طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته، يغمس في طين أحمر مذاب بالماء، ويسمى طين الختم، ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإلصاقه "([8])

وكان الفرس تستخدم هذا الديوان، حيث كان كسرى إذا أمر بأمرٍ ما جرى التوقيع عليه وأثبته عنده([9])، ويرى ابن خلدون أن " الختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الإسلام وبعده "([10])، وذكر البلاذري أنّ النبي لما أراد " أنْ يكتب إلى ملك الروم، قيل له: أنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة "([11])، ونقش عليه " محمد رسول الله "([12])، روى مسلم عن ابن عمر أنه قال:

---

(1) علي، تاريخ، ص355.

(2) أحمد، دراسات، ص318.

(3) زعرور، أحمد، تاريخ، ص138. مصطفى، أقاليم، ص132. حسن، تاريخ، ج1، ص365.

(4) أحمد، دراسات، ص427. زعرور، أحمد، تاريخ، ص138.

(5) تاريخ، ج1، ص365.

(6) مقدمة، ص327.

(7) المصدر نفسه، ص327.

(8) المصدر نفسه، ص306.

(9) ابن جعفر، الخراج، ص55.

(10) مقدمة، ص326.

(11) فتوح، ص447- 448. ابن خلدون، مقدمة، ص326. أحمد، دراسات، ص319. حسن، تاريخ، ج1، ص365.

(12) البلاذري، فتوح، ص448. ابن خلدون، مقدمة، ص326.

" اتَّخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ أَلْقَاهُ، ثُمَّ اتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ: لا يَنْقُشْ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِ خَاتَمِي هَذَا "([1])

وكان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان يختمون بخاتم النبي، إلى أن سقط الخاتم من عثمان في بئر أريس([2])، وذلك في النصف الأول من مدة خلافته، ما دفع عثمان لأن يتخذ له خاتماً آخر، ونقش عليه " محمد رسول الله " وجعلها في ثلاثة أسطر([3])

ويعتبر زياد بن أبيه أول من اعتمد هذا الديوان في الإسلام([4])، وقيل: إن أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية بن أبي سفيان([5])، وذلك لكي " يحتاط للمكاتبات المدسوسة التي لا تصدر عنه إلى حكام الأقاليم، فكانت كل المكاتبات الرسمية ترسَل إلى ديوان الخاتم لختمها قبل إرسالها إلى جهتها "([6])، وكان السبب في ذلك أن معاوية كتب لعمرو بن الزبير بن العوام بمائة ألف درهم إلى عامل العراق زياد بن أبيه، بيد أن عمرو بن الزبير فتح الكتاب في طريقه إلى زياد، وجعل المائةَ ألف مائتَيْ ألف([7])، واتضح الأمر حينما رفع زياد حسابه إلى معاوية، فقال له معاوية: " المائة ألف ينبغي أن تؤخذ منه "([8])، فحبسه والي المدينة مروان، ولم يخرج من السجن إلا بعد أن توجه عبد الله بن الزبير إلى مروان، ودفع له المائة ألف درهم، وأخرج أخاه من السجن([9])، وقيل: إن يزيد بن معاوية أول من ختم الكتب، واتخذ ديوان الخاتم([10])، في حين روى الذهبي ما يفيد أن معاوية هو أول من اتخذ الديوان للختم([11])

---

(1) صحيح، ج3، ص1656.

(2) بئر أرِيس: بئر تقع في المدينة، نُسبت إلى رجل يهودي. الحموي، معجم، ج1، ص298.

(3) ابن جعفر، الخراج، ص55- 56. ابن خلدون، مقدمة، ص326. أحمد، دراسات، ص319.

(4) ابن جعفر، الخراج، ص55.

(5) ابن خلدون، مقدمة، ص328. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص24. القلقشندي، مآثر، ج3، ص342. سالم، تاريخ، ص347. علي، تاريخ، ص355. أحمد، دراسات، ص318، 427. تاريخ، ج1، ص365.

(6) مصطفى، أقاليم، ص132.

(7) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص13. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص185. ابن خلدون، مقدمة، ص328. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص24. القلقشندي، مآثر، ج3، ص342. أحمد، دراسات، ص318. حسن، تاريخ، ج1، ص365.

(8) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص13.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص13. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص185. ابن خلدون، مقدمة، ص328. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص24. أحمد، دراسات، ص318.

(10) القضاعي، عيون، ص332.

(11) سير، ج3، ص157.

اهتم خليفة بن خياط بإيراد أسماء من اضطلعوا بمهمة ديوان الخاتم، والذين عملوا لدى خلفاء الدولة الأموية، دون أن يشير إلى طبيعة هذا الديوان، أو إلى كنه اختصاصاته، أو حتى صلاحيات القائم عليه، ومع هذا، فقد ذكر خليفة أن معاوية هو " أول من وضع ديوان الخاتم "([1])، وأن عبد الله بن عمرو الحميري كان المتصرف على هذا الخاتم([2])

أما في عهد يزيد بن معاوية وابنه معاوية وكذلك مروان بن الحكم، فلم يشر خليفة إلى الذي تولى هذه الوظيفة، أما في عهد عبد الملك بن مروان فقد أشار خليفة إلى أن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي كان على الخاتم، فلما مات قبيصة، ولّى عليه عمر بن الحارث([3])، وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك تولى الخاتم عمرو بن الحارث مولى عامر بن لؤي، فلما مات دفع الخاتم إلى جناح مولاه([4])

وفي عهد سليمان بن عبد الملك تولى الخاتم نعيم بن أبي سلامة مولى لأهل اليمن([5])، وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان نعيم بن سلامة قائماً على ديوان الخاتم([6])، أما الخليفة يزيد ابن عبد الملك فقد كان مطير مولاه على الخاتم([7])، وفي عهد هشام بن عبد الملك كان الربيع بن شابور متولياً على الخاتم([8])، كما كان عبد الرحمن بن حنبل الكلبي على الخاتم في عهد الوليد ابن يزيد ([9])، وبقي عبد الرحمن بن حنبل متصرفاً بديوان الخاتم في عهد الخليفة يزيد بن الوليد([10])، وقيل: قطن مولاه([11])، ولم يذكر خليفة شيئاً فيما يتعلق بخاتم الخليفة إبراهيم بن يزيد، ويبدو أن مرد ذلك للأسباب المذكورة في حديثنا عن كتابة الرسائل، أما في عهد الخليفة مروان بن محمد فقد عهد به إلى مولى له، دون أن يسميه خليفة([12])

---

(1) تاريخ، ص228.
(2) المصدر نفسه، ص228.
(3) المصدر نفسه، ص299.
(4) المصدر نفسه، ص312.
(5) المصدر نفسه، ص319.
(6) المصدر نفسه، ص324.
(7) المصدر نفسه، ص335.
(8) المصدر نفسه، ص362.
(9) المصدر نفسه، ص367.
(10) المصدر نفسه، ص371.
(11) المصدر نفسه، ص371.
(12) المصدر نفسه، ص408.

ديوان بيت المال:

اعتبر ابن خلدون أن هذا الديوان من " الوظائف الضرورية للملك "([1])، بل عدّه من أركان الملك الثلاثة " لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف، وأمر القلم، وأمر المال "([2])، والغرض من تشكيل ديوان بيت المال كما يرى ابن خلدون إنما هو " القيام على أعمال الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج "([3])، ويترتب على ذلك الإشراف على " محاسبة صاحب بيت المال على ما يرد عليه من الأموال، ويخرج من ذلك في وجوه النفقات "([4])، ويعتقد جرجي زيدان أن وظيفة هذا الديوان تنحصر في أن صاحبه يثبت في سجلاته " جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها، من عين وغلال وفيء وغنائم وأعشار وأخماس، ويثبت ما تحصل من ذلك، ويتخذ بيوتاً لأصناف الأموال، ويجعل عليها دواوين وحرساً "([5])، وأضاف أن " البحث في بيت المال يشمل النظر في كل ما يتعلق بأموال الدولة من خراج وصدقة وأعشار وأخماس وجزية وغير ذلك، ويسمى الديوان السامي "([6])، معتبراً إياه " أصل الدواوين ومرجعها عندهم "([7])، كما اعتبره غيره أنه " الجهة المهمة لتنمية الاقتصاد الإسلامي، ومعالجة المشاكل المالية عند المسلمين، وهو يعتبر خزانة للدولة الإسلامية "([8])

إن أول من وضع هذا الديوان عمر بن الخطاب، حيث قدم أبو هريرة من البحرين بمال كثير، فاستكثره الصحابة، وتعبوا من القيام على مهمة تقسيمه، فقال حينها خالد بن الوليد: "رأيت ملوك الشام يدوّنون "([9])، وقيل: إن الذي أشار على عمر بذلك هو الهرْمزان([10])، ويمكن حصر موارد مال بيت المال في التالي:

1. الخراج: وهو " ما وضع على رقاب الأرضين من حقوق تؤدى عنها "([11]).

---

(1) مقدمة، ص302.

(2) المصدر نفسه، ص304.

(3) المصدر نفسه، ص302.

(4) ابن جعفر، الخراج، ص36.

(5) تاريخ، ج1، ص212.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص212.

(7) المرجع نفسه، ج1، ص212.

(8) عبد الحفيظ، بيت المال، ص262.

(9) ابن خلدون، مقدمة، ص303. قدومي، نبذة، ص35.

(10) ابن خلدون، مقدمة، ص303. قدومي، نبذة، ص35.

(11) الماوردي، الأحكام، ص186. ابن رجب، الاستخراج، ص141.

2. العشور: وهي ضريبة فُرضت على تجار اليهود والنصارى، وتقدَّر بعشر ما كان من أموالهم المخصصة للتجارة([1])، وهو نظام نشأ في عهد عمر بن الخطاب، حيث كتب أبو موسى الأشعري إليه بأن التجار المسلمين إذا ما وطأوا أرضاً للكفار ليس بيننا وبينهم أي عهدٍ أو ميثاق، أخذوا منهم العشر، فكتب إليه عمر آمراً إياه أن يفعل بتجار الكفار كما يفعلون هم بتجار المسلمين، وأن يأخذ من تجار أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين درهماً واحداً من كل أربعين درهماً([2])
3. الزكاة: وهي تؤخذ من " جميع الأموال "([3])، حيث أوجبها النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين في " المواشي والحبوب والعَيْن([4])، وهذا ما لا خلاف فيه "([5])، ثم يجري توزيعها من بعد ذلك على فقرائهم، حيث حدد القرآن الكريم مصاريفها في سورة التوبة([6])، في قوله تعالى: {إِنمَّا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء، وَالْمَسَاكِينِ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَفِي الرِّقَابِ، وَالْغَارِمِينَ، وَفِي سَبِيلِ اللّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ، وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }([7])
4. الجزية: وهي " توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون، دون النساء، والذرية، والعبيد، والمجانين المغلوبين على عقولهم، والشيخ الفاني"([8])، وقيل هي " عقد تأمين ومعاوضة وتأبيد من الإمام أو نائبه، على مالٍ مقدَّر، يؤخذ من الكفار كل سنة برضاهم، في مقابلة سكنى دار الإسلام "([9])، يقول ابن زنجويه(ت: 251هـ/865م): " إنما جعلها على الذكور المدركين، دون الإناث والأطفال، وذلك أن الحكم كان عليهم القتل، لو لم يؤدوها، وأسقطها عن من لم يستحق القتل، وهم الذرية "([10])، وتابعه الكتاني في

---

(1) ابن منظور، لسان، ج4، ص571.

(2) حسن، تاريخ، ج1، ص381.

(3) القرطبي، الجامع، ج10، ص359.

(4) العَيْن: الدينار، وقيل: المال، وقيل: النَّقْد مضاد الدَّيْن، أو الذهب. ابن منظور، لسان، ج13، ص305. الرازي، مختار، ص195.

(5) القرطبي، الجامع، ج10، ص359.

(6) آية: 60.

(7) القرطبي، الجامع، ج10، ص244- 282. حسن، تاريخ، ج1، ص382.

(8) القرطبي، الجامع، ج10، ص166- 167.

(9) المناوي، التوقيف، ص243. يقول محمد الطيب النجار: " الجزية هي مبلغ معين من المال، يوضع على الرؤوس، ويسقط بالإسلام ". تاريخ، ص232.

(10) الأموال، ج1، ص151.

ذلك([1])، وتختلف الجزية عن الخراج في أنها " موضوعة على الرؤوس، وتسقط بالإسلام، وفي أنها قد ثبتت بنص القرآن الكريم: { قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ، وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ، وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ، حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }([2]) "([3])

5. الفيء والغنيمة: والفيء هو ذلك المال الذي حازه المسلمون من المشركين من غير قتال، إما بالجلاء، أو بالاتفاق على الجزية([4])، ويجري توزيع هذا الفيء وفق قوله تعالى: { ما أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ }([5])، وقيل إن الفيء هو " كل مال دخل على المسلمين من غير حربٍ ولا إيجاف "([6])، أو هو " عبارة عن كل ما صار للمسلمين من الأموال بغير قهر "([7])، أما الغنيمة فهي " الشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي، وإيجاف الخيل، والركاب "([8])، ويتولى بيت المال الإنفاق على أصناف محددة، أهمها "أرزاق الجند، وأثمان الكُراع([9])، والسلاح، وغير ذلك مما ينفق في سبيل المصلحة العامة "([10])

حرص خليفة بن خياط على أن يبسط في تاريخه أسماء من تولوا مسئولية ديوان بيت المال، من أولئك الذين جرى تعيينهم من قبل خلفاء الدولة الأموية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن خليفة لم يشر – وكعادته – إلى طبيعة هذا الديوان، ولا إلى جوهر اختصاصاته، أو حتى الصلاحيات التي يستمسك بها ولاة أمره، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان لم يتطرق خليفة

---

(1) حيث عرّف الجزية على أنها "الخراج المجعول على رأس الذمي، كأنه جزاء للمنّ عليه بالإعفاء من القتل، أو إكراهه على الإسلام ". التراتيب، ج1، ص311.

(2) سورة التوبة، آية: 29.

(3) حسن، تاريخ، ج1، ص382– 383.

(4) ابن زنجويه، الأموال، ج1، ص90. المناوي، التوقيف، ص568. حسن، تاريخ، ج1، ص385.

(5) سورة الحشر، آية: 7.

(6) القرطبي، الجامع، ج10، ص6. والإيجاف: الإيضاع في السير، وهو الإسراع. يقال: وجَفَ الفرس: إذا أسرع. القرطبي، الجامع، ج20، ص345.

(7) القرطبي، الجامع، ج10، ص6.

(8) المصدر نفسه، ج10، ص6. المناوي، التوقيف، ص542. والرِكاب: الإبل، واحدها: راحلة. القرطبي، الجامع، ج20، ص346.

(9) الكُراع: اسم يجمع الخيل، وتأتي الكُراع بمعنى السلاح، وقيل: اسم يجمع الخيل والسلاح، وقيل: الدوابُّ التي تصلح للحرب. ابن منظور، لسان، ج8، ص307. القرطبي، الجامع،(المحقق)، ج20، ص347. أنيس وآخرون، المعجم، ج2، ص783.

(10) جرجي زيدان، تاريخ، ج1، ص212.

إلى ذكر ديوان بيت المال، بيد أنه أشار إلى أن سرجون بن منصور الرومي كان مسئولاً عن أمر الديوان كله([1])، كما أن خليفة لم يتحدث عمن تولى هذا الديوان في خلافة يزيد بن معاوية، ولا في خلافة ابنه معاوية، ولا في خلافة مروان بن الحكم.

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تولى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي مسئولية بيت المال، ثم تولاه عمر بن الحارث بعد وفاة قبيصة([2])، أما الوليد بن عبد الملك، فقد ألقى بهذه المهمة إلى عبد الله بن عمرو([3])، وبقي في هذا المنصب في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك([4])، ولاحظ الباحث أن خليفة لم يذكر اسم الذي تولى بيت المال في عهد عمر بن عبد العزيز، فضلاً عن أنه لم يتحدث عن ديوان بيت المال في عهده.

أما الخليفة يزيد بن عبد الملك، فقد كان مطير مولاه قائماً على ديوان بيت المال([5])، بينما جعل هشامُ بن عبد الملك عبدَ الله بن عمرو بن الحارث صاحب بيت المال في عهده([6])، وفي عهد الوليد بن يزيد كان عبد الرحمن بن حنبل الكلبي صاحب بيت المال([7])، لكن خليفة لم يذكر بيت المال، ولا متولي أمره في عهد يزيد بن الوليد أو أخيه إبراهيم، أما في عهد مروان ابن محمد، فقد كان عمران بن صالح هو صاحب بيت المال([8])

---

(1) تاريخ، ص228.

(2) المصدر نفسه، ص299.

(3) المصدر نفسه، ص312.

(4) المصدر نفسه، ص319.

(5) المصدر نفسه، ص335.

(6) المصدر نفسه، ص362.

(7) المصدر نفسه، ص367.

(8) المصدر نفسه، ص408.

ديوان الخراج والجند:

أولاً/ ديوان الخراج:

يعتبر ديوان الخراج من أهم الدواوين، إذ إنه يشرف على شئون الجبايات، ويقوم بتسجيل كل ما يرد وما ينفق من الأموال، ويقابله في الإدارة الحديثة ما يسمى بـ "وزارة المالية "([1])، والخراج " موضوع على رقبة الأرض، كما توضع الجزية على رقاب الآدميين "([2])، يقول جرجي زيدان: " الخراج ما يوضع من الضرائب على الأرض أو محصولاتها "([3])، وتابعه في هذا المعنى كلٌ من الدكتور حسن الأمين([4])، والدكتور محمد الطيب النجار([5])

وكان هناك نظامان في جباية الخراج، وهما:

1. نظام المقاسمة: وفيه كان الخليفة يشرف بنفسه على جباية الخراج، ويحاسب ولاته محاسبة دقيقة، حتى أن عمر بن الخطاب كان يحصي أموال ولاته قبل توليتهم، فإذا انتهت ولايتهم أعاد إحصاء أموالهم من جديد، وما زاد عن أموالهم الأصلية قبل الولاية أُخذ منهم، ما لم يتضح له أن الزيادة في الأموال جاءت بطرق مشروعة للكسب([6])
2. نظام الالتزام أو الإقطاع: وهو نظام كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث إنه أقطع أناساً قطعة من الأرض بغرض تعميرها، فلم يعمروها، فلما جاء آخرون ليعمروها، اختصم الفريقان إلى عمر بن الخطاب الذي أخبرهم بأن الأرض لمن يعمرها([7])

هذا ويذكر أن الخراج كان مقرراً على سواد العراق زمن ملوك الفرس، وكان على نظام المقاسمة بين كلٍ من الملك والمزارعين، فلما جاء كسرى قباز بن فيروز عمد إلى نقله من نظام المقاسمة إلى الخراج، حيث " أمر بإطلاق الغلات والثمار لأهل السواد "([8])

---

(1) علي، تاريخ، ص354. حسن، تاريخ، ص365. زعرور، أحمد، تاريخ، ص136.

(2) ابن رجب، الاستخراج، ص141.

(3) تاريخ، ج1، ص221.

(4) يقول الدكتور حسن الأمين: " إن الخراج فرض على الأرض المفتوحة عنوةً كأجرة لها، باعتبارها ملكاً عاماً للمسلمين ". تعليق، ص102.

(5) يقول محمد الطيب النجار: " الخراج هو مقدار معين من المال والحاصلات، ويفرض على الأرض لا على الرؤوس ". تاريخ، ص233.

(6) حسن، تاريخ، ج1، ص378.

(7) المرجع نفسه، ج1، ص378.

(8) ابن رجب، الاستخراج، ص15-16.

ثانياً/ ديوان الجند:

ويُعْنَى هذا الديوان بـ " حصر الجنود والمقاتلين المرابطين في الثغور الإسلامية، ومنحهم أعطياتهم من مخصصاتهم الموجودة في بيت مال المسلمين، وتقسيم الغنائم عليهم، وتوفير احتياجاتهم من المعدات والأسلحة من خيول وعدد للحرب على اختلاف أنواعها، بما يضمن لهم الاستعداد لملاقاة الأعداء "([1])، بينما يرى أحمد إسماعيل علي أن غاية ديوان الجند هو القيام بتسجيل أسماء الجند وصرف العطايا لهم([2])، كما أكد على أن عمر بن الخطاب هو أول من أمر بتشكيل ديوان الجند([3])، بيد أنه ارتبط مسألة تشكيله بتطورات عديدة إبان الدولة الأموية، كان من أبرزها " ازدياد عدد الجند، واحتكاك المسلمين بحضارات أخرى "([4])، في حين يرجع ناصر الأحمد العناية بهذا الديوان إلى " كثرة الفتوحات، واتساع رقعة الدولة الإسلامية "([5])

ويمكن الجزم بأن ديوان الجند كان موجوداً على أرض الواقع منذ العصر النبوي، بيد أنه لم يتخذ شكله النهائي إلا في عهد عمر بن الخطاب، ومن لحق به من خلفاء وملوك، حيث دخلت إليه عناصر جديدة، وتنوعت أسلحته وتشعبت شعبه، الأمر الذي مكَّن الدولة الإسلامية من أن تمد نفوذها شرقاً وغرباً حتى أضحت أكبر إمبراطورية إسلامية([6])، وكان في كل قبيلة عريف تنحصر مهمته في أخذ أعطياتهم ودفعها إليهم، فضلاً عن التعرف على أحوال الجند، والاستماع إلى شكايتهم، والقيام برفع التقارير المتعلقة بهم إلى الإدارة العليا([7])، ومع ذلك فإن ديوان الجند في عصر عمر بن الخطاب لم يكن يعرف بهذا الاسم، بل كان يسمى " الديوان " فقط([8])، وكان يشترط في عضوية هذا الديوان كل من توفرت فيه خمسة شروط، وهي: البلوغ، والحرية، والإسلام، وسلامة الأعضاء والحواس، والإلمام بفنون القتال([9])

عني خليفة بن خياط بذكر أسماء من تولوا مهمة ديوان الخراج والجند، من أولئك الذين عملوا لدى خلفاء الدولة الأموية، مع ملاحظة أن خليفة لم يتطرق إلى ماهية هذا الديوان، أو إلى طبيعة اختصاصاته، أو صلاحيات المتصرفين بأمره، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان لم يذكر

---

(1) الأصيبعي، الشرطة، ص51.

(2) تاريخ، ص353.

(3) المرجع نفسه، ص354. زيدان، تاريخ، ج1، ص170.

(4) علي، تاريخ، ص354.

(5) حركة، ص47.

(6) الأصيبعي، الشرطة، ص52.

(7) الأحمد، حركة، ص48.

(8) زيدان، تاريخ، ج1، ص170.

(9) الأصيبعي، الشرطة، ص51- 52. زيدان، تاريخ، ج1، ص170.

خليفة ديوان الخراج والجند، لكنه ذكر أن سرجون بن منصور الرومي كان " على الديوان وأمره كله "([1])، بيد أن خليفة لم يزودنا بما يُعين في معرفة من الذي تولى ديوان الخراج والجند في عهد كل من الخليفة يزيد بن معاوية، والخليفة معاوية بن يزيد، والخليفة مروان بن الحكم، لكنه أشار إلى أن المتولي لأمر هذا الديوان في عهد عبد الملك بن مروان كان سرجون بن منصور الرومي([2])، فلما توفي سرجون ولّى سليمان بن سعد([3])، الذي كان أول من باشر في ترجمة ديوان الشام بالعربية([4])، وبقي سليمان بن سعد هو صاحب ديوان الخراج والجند في عهد الوليد بن عبد الملك([5])، وفي عهد سليمان بن عبد الملك أيضاً([6])، وفي عهد عمر بن عبد العزيز تولى صالح بن جبير الغداني هذا الديوان([7])، وبقي صالحٌ في هذا الديوان في عهد الخليفة يزيد ابن عبد الملك، ثم عزله الخليفة، وعين بدلاً منه أسامة بن زيد([8])

وفي عهد هشام بن عبد الملك تولى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد، ثم عُزل، وتولاه من بعده عبيدة بن الحبحاب، ثم تولى عبيدة مصر، وجاء مكانه سعيد بن عقبة([9])، وفي عهد الوليد بن يزيد تولى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف هذا الديوان، ثم عزُل، وتولى مكانه ابن عمير([10])، ثم جاء الخليفة يزيد بن الوليد ليُعيّن النضر بن عمرو ديوان الخراج والجند([11])، ثم لم يذكر خليفة عن الخليفة إبراهيم بن الوليد شيئاً من هذا، ليتحدث فيما بعد عن مروان بن محمد الذي جعل من عمران بن صالح صاحباً لهذا الديوان([12])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص228.

(2) المصدر نفسه ، ص299.

(3) المصدر نفسه، ص299.

(4) المصدر نفسه، ص299.

(5) المصدر نفسه، ص312.

(6) المصدر نفسه، ص319.

(7) المصدر نفسه، ص324.

(8) المصدر نفسه، ص335.

(9) المصدر نفسه، ص362.

(10) المصدر نفسه، ص367.

(11) المصدر نفسه، ص371.

(12) المصدر نفسه، ص408.

الشرطة:

الشرطة هم " الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام، والقبض على الجناة والمفسدين، وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وطمأنينتهم "([1])، ويرى محمد إبراهيم الأصيبعي أن ديوان الشرطة يختص بمهمة " المحافظة_على النظام والأمن العام، وتتبع المشبوهين وأهل الريب، والقبض على الجناة والمفسدين "([2])، فضلاً عن أنه "يحدد أعمال الشرطة وواجباتها، ويتولى صاحب الشرطة الإشراف والرقابة والتوجيه، وكل ما يتعلق برجال الشرطة "([3])، كما أنه " يهيئ الظروف للاستقرار والطمأنينة والسكينة التي تساعد على النمو الحضاري واضطراده بصورة مجدية، إذ لا يمكن تصور حضارة راسخة متقدمة كالحضارة الإسلامية خارج إطار الأمن والأمان "([4])، ولقد سموا هؤلاء بالشرطة لأنهم " أشرطوا أنفسهم بعلامات خاصة يعرفون بها "([5])، وكان الخلفاء يختارونه من كبار القادة وعظماء الخاصة، ومن أهل العصبية والبأس([6])، وهو يشبه المحافظ في عصرنا الحالي، وذلك لأنه يتقلد قيادة الجند الذين تقع على عاتقهم مسئولية مساعدة الوالي في مهمة الحفاظ على الأمن العام([7])، علماً بأن صاحب الشرطة كان يُسمّى بأفريقية الحاكم، وفي دولة أهل الأندلس صاحب المدينة، أما في دولة الترك فكان يعرف بالوالي([8])

ولقد كانت الشرطة في بداية الأمر تابعة للقضاء في الدولة الإسلامية، حيث يضطلع صاحبها بمتابعة تنفيذ الأحكام الصادرة عن الجهاز القضائي، ومساعدة القاضي في إثبات الذنب على مرتكبه، كما ويتولى مسئولية إقامة الحدود، ولكنها سرعان ما استقلّت عن القضاء، وأصبح صاحب الشرطة ينظر في الجرائم التي تعرض عليه([9])، يقول جرجي زيدان:

" والشرطة في الأصل من توابع القضاء، لأن المراد بها تنفيذ أحكام القضاة، أو فرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم، وإقامة التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة، فكانت الشرطة خادمة للقضاء، تساعد القاضي في إثبات الذنب على مرتكبه، وتساعد الحكومة على تنفيذ الحكم،

---

(1) حسن، تاريخ، ج1، ص374. الخربوطلي، الإسلام، ص137. عودة وآخرون، مختصر، ص57.

(2) الشرطة، ص53.

(3) المرجع نفسه، ص54.

(4) المرجع نفسه، ص55.

(5) حسن، تاريخ، ج1، ص374. الخربوطلي، الإسلام، ص137. عودة وآخرون، مختصر، ص57.

(6) حسن، تاريخ، ج1، ص374. الخربوطلي، الإسلام، ص137.

(7) حسن، تاريخ، ج1، ص374. الخربوطلي، الإسلام، ص137.

(8) ابن خلدون، مقدمة، ص311.

(9) حسن، تاريخ، ج1، ص375. الخربوطلي، الإسلام، ص137- 138. عودة وآخرون، مختصر، ص57.

ويتولى صاحبها أيضاً إقامة الحدود على الزنا وشرب المسكر، وكثيراً من الأمور الشرعية التي يجلون مقام القاضي عنها "([1])

تطورت الشرطة في العصر الأموي تطوراً كبيراً، وذلك بسبب الأوضاع الأمنية غير المستقرة في ربوع الدولة الإسلامية، وشعر الأمويون بحاجتهم الماسة إلى قوات مسلحة بهدف قمع الثورات والفتن والاضطرابات، وعليه فقد عمد الأمويون إلى إنشاء قوات شرطية مسلحة للقيام " بأعمال ذات طبيعة عسكرية صرفة "([2])

وبالنظر إلى دور الشرطة الجديد الذي تجاوز مطاردة المجرمين ليشمل تعقب المعارضين السياسيين والخارجين على سلطة الدولة، فإن زياد بن أبيه كان من أوائل من شرعوا في تأسيس قوة شرطية، تُعْنى بحفظ النظام العام، فضلاً عن المساهمة في المجهود الحربي للدولة([3])، وبلغ اهتمام الأمويون بهذا الجهاز درجة دفعتهم للقيام بإقامة أنظمة شرطية محكمة، كان من أبرزها "نظام مراقبة المشبوهين، ونظام البطاقات الشخصية، وجوازات المرور والسفر التي تعد – حقيقة – الأساس لبعض أنظمة شرطتنا الحديثة "([4])

اهتم خليفة بن خياط بتدوين أسماء من تولوا قيادة ديوان الشرطة تحت إمرة خلفاء الدولة الأموية، مع أنه لم يتطرق إلى ماهية الديوان، أو إلى فحوى اختصاصاته، ولا إلى آلية اتخاذ القرارات بداخله، ولا طبيعة علاقته بالخليفة، إنما ذكر أن يزيد بن الحر مولى معاوية كان على الشرطة في عهد معاوية بن أبي سفيان([5])، فلما مات يزيد بن الحر ولّى قيس بن حمزة الهمداني([6])، ثم " عزله، وولى ذهل بن عمرو العذري "([7])، ولم يذكر خليفة من الذي تولى مسئولية هذا الأمر في عهد يزيد بن معاوية، ولا في عهد معاوية بن يزيد، لكنه أشار إلى أنه وفي عهد مروان بن الحكم جرى تعيين يحيى بن قيس الغساني على الشرطة([8])، أما في عهد عبد الملك بن مروان، فقد كان على شرطته يزيد بن أبي كبشة السكسكي، ثم عزله و" ولّى أبا ناتل رياح

---

(1) تاريخ، ج1، ص243.
(2) الأصيبعي، الشرطة، ص67.
(3) المرجع نفسه، ص69.
(4) المرجع نفسه، ص68.
(5) تاريخ، ص228.
(6) المصدر نفسه، ص228.
(7) المصدر نفسه، ص228.
(8) المصدر نفسه، ص263.

بن عبدة الغساني، ثم عزله وولى عبد الله بن زيد الحكمي، ثم عزله، وولى كعب ابن حامد العبسي حتى مات عبد الملك "([1])

وفي عهد الوليد بن عبد الملك، عيّن رياح بن عبدة على الشرطة، ثم " عزله، وولى كعب ابن حامد العبسي، حتى مات الوليد "([2])، في حين كان كعب بن حامد العبسي على شرطة الخليفة سليمان بن عبد الملك([3])، أما عمر بن عبد العزيز فقد عين على الشرطة يزيد بن بشر ابن يزيد بن بشر الكلبي([4])، وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك تم تعيين كعب بن حامد العبسي على شرطته([5])، وفي عهد هشام بن عبد الملك كان عقبة بن عبد الأعلى الكلاعي على الشرطة، ثم مالك بن المنذر بن الجارود العبدي، ثم بلال بن أبي بردة، ثم النضر بن عمر المقرئ، ثم بلال بن أبي بردة، ثم كثير بن عبد الله السلمي، ثم القاسم بن محمد([6])، وفي عهد الخليفة الوليد بن يزيد كان على شرطته عبد الرحمن بن حنبل الكلبي، ثم عزله وولى عليها عبد الله بن عامر الكلاعي([7])، وفي عهد يزيد بن الوليد كان بكير بن شماخ اللخمي صاحب شرطة الخليفة([8])، أما الخليفة إبراهيم بن الوليد فلم يذكر في عهده شيء من هذا القبيل، في حين ذكر خليفة أن كوثر بن الأسود الغنوي كان على شرطة الخليفة مروان بن محمد([9])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص299.

(2) المصدر نفسه، ص312.

(3) المصدر نفسه، ص319.

(4) المصدر نفسه، ص324.

(5) المصدر نفسه، ص335.

(6) المصدر نفسه، ص358.

(7) المصدر نفسه، ص367.

(8) المصدر نفسه، ص371.

(9) المصدر نفسه، ص408.

علاقة خلفاء بني أمية بعُمَّالهم:

تبوأ الولاة في عصر معاوية بن أبي سفيان مكانة مرموقة، تتناسب طرداً مع الخدمات الجليلة التي كانوا يقدمونها للنظام الأموي، وقد تجلى ذلك في استجابة معاوية لكثير من رغبات ولاته، فقد ذكر خليفة بن خياط أن معاوية بن أبي سفيان ولّى عبد الله بن عامر على البصرة في سنة إحدى وأربعين، دون أن يوضح لنا ملابسات ذلك([1])، لكن الطبري روى أن معاوية أراد في سنة إحدى وأربعين توجيه عتبة بن أبي سفيان أميراً على البصرة، لكن عبد الله بن عامر قال له: " إن لي بها أموالاً وودائع، فإن لم توجهني عليها ذهبت "([2])، فكان لابن عامر ما أراد([3])

كما ذكر خليفة أن معاوية بن أبي سفيان في سنة خمس وأربعين عمد إلى عزل عبد الله بن عامر عن إمرة البصرة([4])، دون أن يوضح أسباب ذلك، لكن الطبري أبان عن سبب ذلك في إحدى مروياته، وذلك لأن ابن عامر كان " ليناً سهلاً، سهل الولاية، لا يعاقب في سلطانه، ولا يقطع لصاً "([5])، ولما سئل عن ذلك، قال: " أنا أتألف الناس، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعتُ أباه وأخاه "([6])، وهو ما أكد عليه ابن كثير حينما أرجع ظهور الفساد في البصرة إلى أن واليها كان " لين العريكة، سهلاً كريماً، وكان لا يأخذ على أيدي السفهاء، ولا يقطع لصاً، ويريد أن يتألف الناس، ففسدت البصرة بسبب ذلك "([7])

ثم ذكر خليفة أن معاوية عزل عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان، وذلك في سنة ست وأربعين، وولاها للربيع بن زياد([8])، دون أن يشير إلى ظروف هذا العزل وذاك التعيين.

وفي سنة ثمان وأربعين روى خليفة ما يفيد بأن الخليفة كان يعزل أقاربه، حيث أقدم على عزل مروان بن الحكم، وولاها سعيد بن العاص، دون أن يسبر غور الحدث، في حين وجدنا أن الطبري يشير في أحداث سنة أربع وخمسين إلى أن معاوية كتب إلى والي المدينة سعيد بن العاص بلزوم قبض أموال مروان بن الحكم جميعها، بما فيها فدك، فلما توانى سعيد عن تنفيذ أوامر الخليفة معاوية، كتب إليه للمرة الثانية، دون أن يستجيب والي المدينة لأوامر خليفته، بل حرص هذا الوالي

---

(1) تاريخ، ص204.

(2) تاريخ، ج5، ص170. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص6.

(3) تاريخ، ج5، ص170.

(4) تاريخ، ص207.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص212.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص212.

(7) البداية، ج11، ص164.

(8) تاريخ، ص208.

على إيداع الكتابين عند جارية، فلما عزل معاوية سعيداً عن المدينة في سنة أربع وخمسين، ولّى مكانه مروان بن الحكم، فأمره معاوية بقبض أموال سعيد بن العاص، فلما همّ مروان أن يفعل، أخرج له سعيد الكتابين، فقرأهما، وامتنع عن تنفيذ أوامر معاوية، بل وذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث أرسل إلى معاوية بكتاب يعاتبه على صنيعه هذا بأقربائه([1])

ولقد ذكر خليفة أن معاوية عزل والي البصرة الحارث بن عمرو الأزدي عين في سنة خمس وأربعين زياد بن أبيه والياً على البصرة، فلما توفي المغيرة بن شعبة سنة خمسين أضيفت الكوفة إلى ولاية زياد([2])، و "جمع له العراق "([3])، وبهذا يكون زياد بن أبيه قد أحكم سيطرته على " القسم الشرقي من الدولة العربية الإسلامية "([4])

روى خليفة أن معاوية بن أبي سفيان عزل عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة في سنة خمس وخمسين، وولاها عبيد الله بن زياد([5])، دون أن يشير إلى بواعث ذلك، بينما هذا لم يحدث مع الطبري الذي روى ما يفيد أن هذا الوالي قطع يد رجل يدعى جبير بن الضحاك من غير وجه حق، فلما توجه قومه إلى معاوية، قال لهم معاوية: " أما القود من عمالي فلا يصح، ولا سبيل إليه، ولكن إن شئتم ودَيْتُ صاحبكم "([6])، فوافق القوم على ذلك، واكتفى معاوية بعزل ابن غيلان عن ولاية البصرة، وتعيين عبيد الله بن زياد بن أبيه([7])

ويبدو أن الخلفاء الأمويين كانوا يثقون بعمالهم، بل ويطلقون أيديهم في تعيين الولاة من الأقاليم التابعة لهم، حيث روى خليفة أنه لما قتل عبد الله بن سوار، كتب معاوية إلى زياد بن أبيه في سنة ثمان وأربعين، قائلاً له:

" انظر رجلاً يصلح لثغر الهند، فوجِّهه "([8])، فقام زياد بتوجيه سنان بن سلمة بن محبقة الهذلي([9])، وروى خليفة أيضاً في هذا السياق أكثر من حادثة تشير إلى ذلك، من أهمها: أن الحجاج كان قد

---

(1) تاريخ، ج5، ص293- 294.

(2) تاريخ، ص210. ابن قتيبة، المعارف، ص346. الصفدي، الوافي، ج15، ص8. الجميح، الأوضاع، ص139. زعرور، أحمد، تاريخ، ص16. حسين، علي، ص202.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص210، 211، 212.

(4) زعرور، أحمد، تاريخ، ص16.

(5) تاريخ، ص223.

(6) تاريخ، ج5، ص299- 300. ابن خلدون، تاريخ، ص18- 19.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص300.

(8) تاريخ، ص209.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص209.

ولى في سنة ثمان وسبعين " عبيد الله بن أبي بكرة سجستان، وولّى المهلب خراسان "([1])، كما ولّى الحجاج في سنة تسع وسبعين مجّاع بن سعر، وهو أحد بني مُرّة بن عبيد مُكّران([2])، وفي سنة ثمانين ولى الحجاج قطن بن زياد بن الربيع الحارثي البحرين([3])، وفي سنة ثلاث وثمانين " ولى الحجاج محمد بن القاسم فارس، وأمره بقتل الأكراد "([4])

وفي سنة ست وخمسين روى خليفة أن معاوية عزل عبيد الله بن زياد، وولاها سعيد بن عثمان بن عفان([5])، دون معرفة أسباب ذلك، وفي سنة ستين أمّر معاوية بن أبي سفيان عمرو ابن معاوية العقيلي على الصائفة([6])، فسأله معاوية حين رجع عن الخمس، فأخبره عمرو بالأمر، فلما طلبه معاوية، قال له عمرو بن معاوية العقيلي:

" تسألني عن الخمس، وأرى رجلاً من المهاجرين يمشي على قدميه لا أحمله "([7])، فقال له معاوية: " لا جرم لا تنالها ما بقيت "([8])، وهو ما يشير إلى أن معاوية كان لا يصبر على من لا يطيع أمره، وهي صفة لا يكاد يخلو منها قائد أو زعيم، كما أن خلفاء بني أمية عموماً كانوا لا يترددون في عزل أي والٍ يظهر منه الضعف أو الخور، حتى ولو كان من أولى القربى، فقد ذكر خليفة أن يزيد ابن معاوية عزل الوليد بن عتبة عن المدينة، بعد أن اتهمه بالتفريط والضعف، وأسندها إلى عمرو بن سعيد بن العاص([9])، يقول خليفة: " وبعث يزيد عمرو بن سعيد أميراً على المدينة على الوليد بن عتبة، تخوفاً لضعف الوليد "([10])

وفي سنة ست وسبعين تحدث خليفة عن أن عبد الله بن أمية بن عبد الله توغل بسجستان، فحوصر، فما خلُّوا له الطريق إلا بعد أن أعطاهم مالاً، فلما علم عبد الملك بن مروان هذا القصور في واليه عبد الله بن أمية حتى عزله، ووجه موسى بن طلحة بن عبيد الله مكانه([11])، ما يفيد أن خلفاء بني أمية كانوا يعاقبون ولاتهم المقصّرين، ويكافئون المحسنين.

---

(1) المصدر نفسه، ص277.

(2) المصدر نفسه، ص278.

(3) المصدر نفسه، ص279.

(4) المصدر نفسه، ص288.

(5) المصدر نفسه، ص224.

(6) الصائفة: سميت غزوة الروم بالصائفة، وذلك لأن سنَّتَهم أن يُغْزَوا صيفاً، ويُقْفَل عنهم قبل الشتاء، بسبب البرد والثلج. ابن منظور، لسان، ج9، ص202.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص229.

(8) المصدر نفسه، ص229.

(9) المصدر نفسه، ص233. ابن كثير، البداية، ج11، ص470.

(10) تاريخ، ص233.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص275.

وفي سنة ثلاث وتسعين روى خليفة أن الوليد بن عبد الملك عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة، بعد أن كان عينه عليها في أول سنة سبع وثمانين أو آخر سنة ست وثمانين([1])، واستخلف عليها أبا بكر بن حزم، ثم عزله ليوليها لعثمان بن حيان المري، وبقي عليها حتى وفاة الوليد([2])، بيد أن خليفة لم يشر في تاريخه دواعي هذا العزل، في حين أن ابن جرير الطبري كان قد روى ما يكشف عن هذا السبب، حيث كتب الحجاج إلى خليفته فقال له:
"إن مَنْ قبلي من مُرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجئوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وَهْن "([3])، فولّى الوليد عثمان بن حيان على المدينة، وخالد بن عبد الله على مكة([4])

ولقد ذكر خليفة ما يفيد بأنه رغم الخدمات الجليلة التي قدمها الحجاج للدولة الأموية، إلا أن عبد الملك بن مروان قد أبدى تحفظاته على بعض سلوكيات الحجاج سيما في الحروب، حيث روى في أحداث اثنتين وثمانين أي بعد موقعة الزاوية، أن عبد الملك بن مروان سأل عن عمران بن عصام العنزي، فقيل له: قتله الحجاج، قال: ولم؟ قيل: خرج مع ابن الأشعث، قال: ما كان ينبغي أن يقتله، وذكر أشعاراً قالها عمران بن عصام([5])

وفي أحداث سنة اثنتين ومائة، روى خليفة بن خياط أن يزيد بن عبد الملك عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق، فقال: " وفي آخر سنة اثنتين ومائة – أو أول سنة ثلاث ومائة – عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق "([6])، دون أن يذكر مبررات ذلك، بينما أشار ابن كثير إلى أن الخليفة يزيد بن عبد الملك قد عزل أخاه مسلمة عن ولاية العراق وخراسان، وذلك لأنه " كان يصرف أموال الغنيمة فيما يريد، ولم يصرف إلى أخيه يزيد شيئاً في هذه المدة "([7])، الأمر الذي يشير إلى أن خلفاء بني أمية كانوا لا يتوانون عن عزل أقاربهم من الولاة إذا ما صدر عنهم تقصير في أداء الأموال، أو تأدية الحقوق، فضلاً عن القيام بالواجبات المنوطة بهم.

وفي سنة ست ومائة ذكر خليفة أن خالد بن عبد الله القسري قدم على العراق والياً عليه، " فولّى خالد أسد بن عبد الله على خراسان "([8])، ولكن سرعان ما عزله هشامُ بن عبد الملك

---

(1) المصدر نفسه، ص311.
(2) المصدر نفسه، ص311.
(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص481– 482. ابن كثير، البداية، ج12، ص445.
(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص482.
(5) تاريخ، ص283– 284.
(6) المصدر نفسه، ص327.
(7) البداية، ج12، ص731.
(8) تاريخ، ص336.

عن خراسان، وذلك في سنة ثمان ومائة([1])، والسبب في ذلك ما تسببه أخوه أسد القسري من تعصبٍ " حتى أفسد الناس "([2])، سيما بعد أن " تعصّب على نصر بن سيار ونفر معه "([3])، وتفاخر على الناس بما معه من رجال وعتاد([4])

وفي سنة عشرين ومائة ذكر خليفة أن هشام بن عبد الملك عمد إلى عزل خالد القسري عن خراسان([5])، بعد عشر سنوات من ولايته عليها([6])، حيث يقول خليفة في أحداث سنة عشرين ومائة:

" فيها عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن العراق، وولاها يوسف بن عمر "([7])، دون أن يوضح خليفة دواعي ذلك، وهو السبب الذي أشار إليه ابن مسكويه، الذي اعتبر أن هذا القرار جاء على خلفية السياسة المالية التي كان خالد ينتهجها، علاوة على استخفافه بقريش([8])، وقيل أن حسان النبطي المتوكل على أملاك هشام بن عبد الملك في العراق أفلح في إيغار صدر هشام على خالد([9])، وقيل: إن " سكرة عرضت لخالد من طول الولاية، وعزّ الإمرة، وكثرة ما اجتمع عنده من الأموال "([10])، وقيل: إن هشاماً " حقد على خالد بكثرة أمواله وأملاكه "([11])، رغم أن ابن كثير يتحدث عن أن هشام بن عبد الملك قد كتب كتاباً إلى والي اليمن يوسف بن عمر، جاء فيه: "سر إلى العراق فقد وليتكها، وإياك أن تعلم بذلك أحداً، وخذ ابن النصرانية وعماله، فاشفني منهم "([12])، فعاقب الوالي الجديد خالدَ القسري، وأخذ منه أموالاً كثيرة، وبقي ست سنوات يحاول " البقاء خارج الصراع السياسي "([13])

---

(1) المصدر نفسه، ص358.

(2) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص358. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص131.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص131.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص131.

(5) تاريخ، ص359.

(6) حيث مكث والياً للعراق أربع سنوات في خلافة يزيد بن عبد الملك، وستاً في خلافة هشام بن عبد الملك. الدينوري، الأخبار، ص500.

(7) تاريخ، ص350.

(8) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص420. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص200.

(9) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص422- 423. عبد الفتاح، ضياع، ص63- 64. العش، الدولة، ص288- 289.

(10) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص420.

(11) الذهبي، سير، ج5، ص431.

(12) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص201.

(13) شعبان، صدر، ص172.

وقد ذكر خليفة بن خياط أن الخليفة الوليد بن يزيد في سنة خمس وعشرين ومائة دفع خالد القسري ومحمداً وإبراهيم ابني هشام بن إسماعيل المخزوميين إلى يوسف بن عمر، و" أمره بقتلهم "([1])، فما كان منه إلا أن " عذّبهم حتى قتلهم "([2])

---

(1) تاريخ، ص362.

(2) المصدر نفسه، ص362.

الفصل الخامس

موقف خليفة من خلفاء بني أمية وأهم الفتوحات في عهدهم

يعتبر خليفة بن خياط من المؤرخين الذين تناولوا سيرة خلفاء بني أمية بقدرٍ عالٍ من الموضوعية والتجرد، حيث أنه كان يحرص على الابتعاد عن استخدام عبارات التجريح أو التشهير بحق الخلفاء أو غيرهم، دون أن ينكر في ذات الوقت الجليات المعلومة من التاريخ بالضرورة، ويبقى خليفة طوال مشواره في استعراض خلفاء بني أمية ملتزماً – إلى حد بعيد – أسلوب النأي بنفسه عن التقليل من قدرهم، أو النيل من مكانتهم، وقد عمل الباحث على استجلاء آراء خليفة في خلفاء بني أمية، وهم على التوالي:

معاوية بن أبي سفيان:

هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي([1])، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس([2])، ويكنى أبا عبد الرحمن([3])، أسلم هو أبوه وأمه هند وأخوه يزيد يوم فتح مكة([4])، وقيل إنه أسلم زمن الحديبية([5])، وروي عنه أنه قال: " لقد أسلمت في عمرة القضية، ولكن كنت أخاف أن أخرج، وكانت أمي تقول: إن خرجت قطعنا عنك القوت "([6])، وشهد حنيناً والطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم([7])، حيث أعطاه النبي من غنائم حنين " مائة من الإبل وأربعين أوقية وزنها له بلال "([8])، ورُوي له عن النبي مائة حديث وثلاثة وستون حديثاً([9])، وكان عمر بن الخطاب قد عيّنه والياً على دمشق

---

(1) ابن خياط، الطبقات، ص297. ابن الأثير، أسد، ج5، ص201. المزي، تهذيب، ج28، ص176. الذهبي، سير، ج3، ص119- 120. ابن كثير، البداية، ج11، ص396. المقريزي، الذهب، ص53. السيوطي، تاريخ، ص221. النجار، تاريخ، ص66.

(2) ابن خياط، الطبقات، ص10، ص297- 298. ابن الأثير، أسد، ج5، ص201. المزي، تهذيب، ج28، ص177. الذهبي، سير، ج3، ص120. القلقشندي، مآثر، ج1، ص110. النجار، تاريخ، ص66.

(3) ابن خياط، الطبقات، ص10، ص298. ابن الأثير، أسد، ج5، ص201. المزي، تهذيب، ج28، ص176- 177. الذهبي، سير، ج3، ص120. المقريزي، الذهب، ص53. السيوطي، تاريخ، ص221.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص410. ابن الأثير، أسد، ج5، ص201. القلقشندي، مآثر، ج1، ص110.

(5) المزي، تهذيب، ج28، ص177.

(6) المصدر نفسه، ج28، ص177.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص410. ابن الأثير، أسد، ج5، ص201.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص410. ابن الأثير، أسد، ج5، ص201. الذهبي، سير، ج3، ص122.

(9) السيوطي، تاريخ، ص221.

بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان بالشام في طاعون عِمَوَاس[1] سنة ثمان عشرة، وبقي عليها حتى جاء عثمان بن عفان، فجمع له الشام كله[2]، وبهذا تكون ولاية معاوية على الشام عشرون عاماً، وعشرون أخرى خليفة للمسلمين، حتى وفاته في سنة ستين[3]، وهو ابن ثمان وسبعين سنة[4]، وقيل: وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[5]

عرض خليفة بن خياط عبر رواياته التي ساقها في تاريخه صورة حسنة ومتوازنة عن شخصية معاوية بن أبي سفيان، حيث أنه استخدم لفظة (عام الجماعة) تعبيراً عن حالة الوفاق التي عمّت بلاد المسلمين في حينه، والتي بدأت بتسلم معاوية زمام الأمور من الحسن بن علي[6]، كما وذكر موت الحسن دون أن يورد أي رواية قد تشير بإصبع الاتهام إلى أحدٍ من الأمويين أو إلى غيرهم[7]، ثم عاود الإشارة إلى موت الحسن بن علي، واكتفى في أحداث سنة تسع وأربعين القول: " وفيها مات الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله "[8]، دون أن يدخل مرة أخرى في اللغط المتعلق بمدى مسئولية أي أحد عن مقتل الحسن بالسم.

ولم يقف خليفة كثيراً عند دعوة معاوية أهل الشام لمبايعة ابنه يزيد، حيث أثار في أحداث خمسين إلى الأمر في عجالة[9]، وحينما عاود معاوية الحديث عن أخذ البيعة ليزيد ابنه في سنة إحدى وخمسين، قال خليفة في أحداث إحدى وخمسين: " وفيها أخذ معاوية الناس بالبيعة ليزيد "[10]، ثم يورد خليفة روايات تشير إلى أن معاوية صعد المنبر، وأخبر الحضور بأن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر بايعوا[11]

(1) عِمَوَاس: بلدة في فلسطين، بالقرب من بيت المقدس، وتبعد ستة أميال عن الرملة، " ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام، فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة "، وقيل أن خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين ماتوا في هذا الطاعون، وفي نفس السنة كان عام الرمادة في المدينة أيضاً. الحموي، معجم، ج4، ص157- 158.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص410. ابن خياط، الطبقات، ص10. عبد الوهاب، معاوية، ص38.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص410. المزي، تهذيب، ج28، ص179.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج9، ص410.

(5) ابن الأثير، أسد، ج5، ص203.

(6) تاريخ، ص203.

(7) المصدر نفسه، ص203.

(8) المصدر نفسه، ص209.

(9) المصدر نفسه، ص211.

(10) المصدر نفسه، ص213.

(11) المصدر نفسه، ص214.

قام خليفة بتسليط الأضواء على جهود معاوية في توحيد الجماعة المسلمة، فذكر إسهاماته في محاربة الخارجين عن الصف المسلم، فأشار إلى خروج ابن أبي الحوساء، وخروج حوثرة بن ذراع، وخروج سهم بن غالب والخطيم الباهلي، وذلك عام إحدى وأربعين([1])، وشبيب بن بجرة في سنة تسع وأربعين([2])، وقريب وزحّاف في سنة ثلاث وخمسين([3])

كما وأبرز خليفة مساعي معاوية في جهاده ضد الكفار، فتحدث عن حروب دولته في إفريقية([4])، حيث افتتح عقبة بن نافع في سنة إحدى وأربعين لُوبية([5])، ومَرَاقية([6])، كما وفتح عبد الرحمن بن سمرة زرنج، وأطرافاً من سجستان([7])، وفي سنة اثنتين وأربعين افتتح عقبة بن نافع غَدَامس([8])، وفي سنة ثلاث وأربعين افتتح عبد الرحمن بن سمرة الرُّخّج([9])، وزابُلِستان الواقعة في بلاد سجستان([10])، كما افتتح عقبة بن نافع كوراً من بلاد السودان ووَدَّان، وجميعها من بلاد أفريقية([11])، وفي سنة أربع وأربعين افتتح ابن عامر كابل، وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة أرض الهند حتى وصل إلى قندابيل([12])، كما غزا عبيد الله بن زياد خراسان في السنة نفسها " فقطع النهر إلى بخارى على الإبل، فكان أول عربي قطع النهر إلى بخارى "([13])، وفي سنة خمس وأربعين غزا معاوية بن حديج أفريقية، فنزل بجبلٍ فأصابه المطر، فسمي ذلك المكان بـ " جبل الممطور

---

(1) تاريخ، ص203- 204.

(2) المصدر نفسه، ص209.

(3) المصدر نفسه، ص219- 222.

(4) إفْريقية: وهي بلاد واسعة تقع قبالة جزيرة صقلية، وتنتهي إلى قبالة جزيرة الأندلس. الحموي، معجم، ج1، ص230.

(5) لوبية: مدينة بين الإسكندرية وبرقة. الحموي، معجم، ج5، ص25.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص204. مراقية: هي أول بلد يلقاه القاصد من الإسكندرية إلى إفريقية، ثم لوبية. الحموي، معجم، ج5، ص94.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص205.

(8) المصدر نفسه، ص205. غدامس: مدينة بالمغرب. الحموي، معجم، ج4، ص187.

(9) الرّخج: مدينة من نواحي كابل. الحموي، معجم، ج3، ص38.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص205. زابُلِستان: كورة واسعة تقع جنوبي بلخ وطخارستان. الحموي، معجم، ج3، ص125.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص206. وَدَّان: مدينة تقع في جنوبي إفريقية. الحموي، معجم، ج5، ص365- 366.

(12) ابن خياط، تاريخ، ص206. قَنْدابيل: مدينة بالسند، وهي قصبة ولاية النُّدْهة، وفيها كانت معركة حاسمة لهلال بن أحوز المازني مع من تبقى من آل المهلب. الحموي، معجم، ج4، ص402.

(13) ابن خياط، تاريخ، ص222.

"([1])، وفي سنة ست وأربعين عزل معاوية عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان، وولاها الربيع بن زياد، فثارت الترك على المسلمين، وأخرجوهم من كابل، وسيطروا من جديد على الرخج وزابلستان، لكن الربيع بن زياد هزم الترك شر هزيمة([2])، وفي سنة سبع وأربعين غزا المسلمون القيقان([3]) بقيادة عبد الله بن سوّار، فقُتل القائد مع عامة جيشه، وتمكن الترك من السيطرة على بلاد القيقان([4])، وفي سنة تسع وأربعين أرسل معاوية جيشاً حتى بلغ القسطنطينية([5])، وكان على رأس الجند ابنه يزيد، ومعه " جماعة من سادات الصحابة، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري "([6])، ثم قفل المسلمون إلى الشام، وقد توفي أبو أيوب الأنصاري عند أسوار المدينة([7])، كما أن معاوية أمر عقبة بن نافع في سنة خمسين بفتح بلاد إفريقية ففعل، ثم اختط مدينة القيروان في مكان كانت تأوي إليه السباع والوحوش، وابنتناها([8])، وكان ذلك في سنة خمسين([9])، كما غزا المسلمون القَيْقَان سنة خمسين([10])، وكذلك غزا معاوية بن حديج إفريقية وجلولاء المغرب([11])، كما افتتح فيها الربيع بن زياد بلخاً([12])

وفي سنة خمسين غزا سنان بن سلمة القيقان، وخطب في جيشه قائلاً: " أبشروا فأنتم بين خصلتين: الجنة والغنيمة، ثم أخذ سبعة أحجار وواقف القوم، قال: إذا رأيتموني قد حملت فاحملوا، فلما صارت الشمس في كبد السماء رمى بحجر في وجوه القوم وكبّر، ثم رمى بها حجراً حجراً حتى بقي السابع، فلما زالت الشمس عن كبد السماء رمى بالسابع، ثم قال: حم، لا ينصرون "([13])، ثم كبّر، وحمل هو وجيشه على الأعداء ففروا من أمامهم، وهزموا([14])

---

(1) المصدر نفسه، ص207.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص208.

(3) القيقان: بلاد قرب طبرستان. الحموي، معجم، ج4، ص423.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص208.

(5) المصدر نفسه، ص211.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص232. ابن كثير، البداية، ج11، ص180.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص314- 315.

(8) الطبري، تاريخ، ج5، ص240. الذهبي، تاريخ، ج4، ص164. ابن كثير، البداية، ج11، ص215.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص210.

(10) المصدر نفسه، ص212.

(11) المصدر نفسه، ص210- 211.

(12) المصدر نفسه، ص211.

(13) المصدر نفسه، ص212.

(14) المصدر نفسه، ص212.

وفي سنة ثلاث وخمسين غزا والي سجستان عباد بن زياد القَنْدهار([1])، وهزم أهلها([2])، وفي سنة ثلاث وخمسين أيضاً فتح المسلمون رودس، وهي " جزيرة في البحر، فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي، فنزلها المسلمون، وزرعوا، واتخذوا بها الأموال والمواشي، وكان لهم ناطور يحذرهم من يريدهم من البحر بكيد، وكانوا أشد شيء على الروم، يعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم "([3]) وفي سنة أربع وخمسين فتح العرب المسلمون زامين([4]) وأجزاء من بيْكَنْد([5]) وهما من بخارى([6])، وفيها صالح مصقلة بن هبيرة الشيباني أهل طبرستان([7])، وفي سنة ست وخمسين غزا سعيد بن عثمان بن عفان سمرقند، و" خرج إليه الصغد فقاتلوه، فألجأهم إلى مدينتهم، فصالحوه، وأعطوه رهائن "([8])، كما غزا دينار أبو المهاجر قَرْطاجَنَّة([9]) سنة تسع وخمسين([10])، حيث التقى بحاميتها " فكثر القتل والجراح في الفريقين، وحجر الليل بينهم، وانحاز المسلمون من ليلتهم، فنزلوا جبلاً في قبلة تونس، ثم عاودوهم القتال، فصالحوهم على أن يخلوا لهم الجزيرة "([11])، ثم توجه أبو المهاجر إلى مِيلة فافتتحها([12])، كما واهتم خليفة باستعراض المناوشات العسكرية التي جرت بين المسلمين وقوات الروم في عهد معاوية([13])

ولم يتحدث خليفة في غمرة حديثه عن أحداث سنة أربع وأربعين عن مسألة استلحاق معاوية لزياد بن أبيه إلا تنويها، حيث قال: " وفيها كان من أمر معاوية وزياد الذي كان "([14])، واللافت في الأمر أن خليفة كان يستخدم عبارة (زياد بن أبي سفيان)، وليس (زياد بن أبيه)، حيث

---

(1) قندهار: مدينة من بلاد السند أو الهند. الحموي، معجم، ج4، ص402- 403.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص219.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص255. مع أن تاريخ خليفة بن خياط كان أوردها في أحداث سنة تسع وخمسين. ص227.

(4) زَامين: قرية من قرى بخارى، وقيل: هي بليدة من نواحي سمرقند. الحموي، معجم، ج3، ص128.

(5) بِيْكَنْد: بلدة بين بخارى وجيحون. الحموي، معجم، ج1، ص533.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص222.

(7) المصدر نفسه، ص223.

(8) المصدر نفسه، ص224.

(9) قَرْطاجَنَّة: بلد قديم من نواحي أفريقية، وهي على ساحل تونس، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلاً. البكري، المسالك، ج2، ص216- 217. الحموي، معجم، ج4، ص323.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص226.

(11) المصدر نفسه، ص226.

(12) المصدر نفسه، ص226. ميلة: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية. الحموي، معجم، ج5، ص244.

(13) ابن خياط، تاريخ، ص206، 207، 208، 209، 211، 218، 223، 224، 225، 227.

(14) المصدر نفسه، ص207.

أورد في أحداث ثلاث وخمسين ما يفيد ذلك، فقال: " فيها مات زياد بن أبي سفيان بالكوفة "([1])، فضلاً عن تضمين تاريخه بالروايات التي تقدم معاوية بن أبي سفيان بصفته أميراً للمؤمنين([2])

كما لوحظ أن خليفة ذكر أن وفاة معاوية كانت في سنة تسع وخمسين([3])، ثم ذُكر في تاريخه أن وفاته كانت في سنة ستين([4])، حيث كان لافتاً في الرواية التي رواها خليفة مبلغ صدمة والي المدينة الوليد بن عتبة حينما بلغه موت معاوية، إذ لمّا جاءه رزيق مولى يزيد بالخبر " جعل يقوم على رجليه، ويرمي بنفسه على فراشه "([5])، ويبدو أن هذا الموقف يشير إلى مكانة معاوية العالية عند الأمويين، التي لا يضاهيها منزلة حيال غيره من الخلفاء، ثم أنهى خليفة الحديث عنه بتسمية قضاته([6])، ومن كان على الرسائل، والديوان، والحجابة، والشرط، والحرس، والخاتم([7])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص219.

(2) المصدر نفسه، ص216، 217، 229.

(3) المصدر نفسه، ص226.

(4) المصدر نفسه، ص229.

(5) المصدر نفسه، ص232.

(6) المصدر نفسه، ص227- 228.

(7) المصدر نفسه، ص228.

يزيد بن معاوية:

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان([1])، وأمه مَيْسون بنت بَحْدَل الكلبية([2])، ويكنى أبا خالد الأموي([3])، وقد وُلد سنة ست وعشرين([4])، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ستين([5])، وكان عمره حين البيعة ابنَ أربعٍ وثلاثين سنة([6])، فلما اعتلى كرسي الخلافة أقرّ ولاة أبيه على الأقاليم، ولم يعزل أحداً منهم([7])، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً([8])، وقيل: ثلاث سنين وثمانية أشهر واثني عشر يوماً([9])، ومات في سنة أربع وستين([10])، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة([11])

افتتح خليفة بن خياط في تاريخه الحديث عن يزيد بن معاوية بمقتل الحسين بن علي([12])، ثم أعقبها برواية تفيد سرعة الإجراء والتصرف لدى يزيد، حيث أرسل مولاه لإبلاغ والي المدينة بالأمر([13])، والذي سارع إلى إبلاغ مروان بن الحكم وطائفة من بني أمية ليطلعهم على الأمر، ما يعني أن مروان يحتل مكانة مرموقة عند الأمويين، الأمر الذي سيتجلى واضحاً في مؤتمر الجابية فيما بعد([14])

ولقد روى خليفة رواية تكشف عزم يزيد على ضبط الأمور، وعدم التهاون مع الحسين ابن علي، حيث أنه أمر بعزل والي المدينة لتهاونه وضعفه، وعين بدلاً منه عمرو بن سعيد([15])، كما وتحدث خليفة عن مشاركة يزيد في غزو مدينة هرقل، حيث يقول في أحداث سنة خمسين:

---

(1) الذهبي، ميزان، ج7، ص262. القلقشندي، مآثر، ج1، ص115. السيوطي، تاريخ، ص233.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص464. القلقشندي، مآثر، ج1، ص115. السيوطي، تاريخ، ص233.

(3) القلقشندي، مآثر، ج1، ص115. السيوطي، تاريخ، ص233.

(4) ابن كثير، البداية، ج11، ص466. شاكر، التاريخ، ج4، ص125.

(5) ابن كثير، البداية، ج11، ص466.

(6) المصدر نفسه، ج11، ص466.

(7) المصدر نفسه، ج11، ص466.

(8) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص140.

(9) ابن العماد، شذرات، ج1، ص286- 287.

(10) ابن حجر العسقلاني، لسان، ج8، ص507.

(11) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص140. ابن حجر العسقلاني، لسان، ج8، ص507.

(12) تاريخ، ص231.

(13) المصدر نفسه، ص232.

(14) المصدر نفسه، ص232.

(15) المصدر نفسه، ص233.

" وفيها غزا يزيد بن معاوية أرض الروم، ومعه أبو أيوب الأنصاري "([1])، دون أن يربط ذلك بإيراد رواية تتضمن تذكيراً بما رواه الإمام البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ "([2])

كما روى خليفة ما يفيد تأدية يزيد للشعائر الدينية، حينما ذكر في أحداث سنة خمسين أن يزيد أقام الحج " بعد أن قفل من أرض الروم "([3])، علاوة على أن خليفة اجتهد في استعراض دور يزيد بن معاوية في قتال الكفار في خوارزم وسمرقند وغيرها من البلدان، وتجلى ذلك في الحديث عن أحداث اثنتين وستين حينما تحدث عن غزوة سلم بن زياد لخُوارِزْم، وعبوره إلى سمرقند، وأنه صالحهم على مال كثير، ثم توجه إلى سمرقند فصالحوه أيضاً([4])، وكيف غلب الحكم بن المنذر بن الجارود على قَنْدابيل، وكيف أن ابن زياد بعث بسنان بن سلمة لفتح المُوقان([5])، وذلك في سنة اثنتين وستين([6])، وفي نفس السنة " نقض أهل كابل، وأخذوا أبا عبيدة بن زياد بن أبي سفيان أسيراً، فسار يزيد بن زياد بن أبي سفيان، فهجم على العدو فقاتلوه، فقتل يزيد بن زياد "([7])

كما واهتم خليفة بجبهة أفريقية، حيث لم يغفل ذكر استشهاد عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين([8])، والمعارك التي انتهت بمقتل كُسَيْلة بن كيزم([9]) على يد زهير بن قيس، ومقتل أبي المهاجر رحمه الله([10])، يقول خليفة بن خياط متحدثاً عن عقبة بن نافع:

" واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي، فأتى السوس القصوى، فغنم وسلم وقفل، فلقيه كسيلة بن كيزم– وكان نصرانياً– فقتل عقبة بن نافع وأبو المهاجر من الأنصار وعامة أصحابه، ثم سار كسيلة فلقيه زهير بن قيس على بريد من القيروان، فقتل كسيلة وأصحابه، وقتلوا

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص211.

(2) صحيح، ج3، ص1069.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص211.

(4) المصدر نفسه، ص235.

(5) المُوقان: ولاية يكثر فيها القرى والمروج، يسكنها التركمان بهدف الرعي، وهي تابعة لأذربيجان. الحموي، معجم، ج5، ص225.

(6) تاريخ، ص236.

(7) المصدر نفسه، ص236.

(8) المصدر نفسه، ص251.

(9) كُسَيلة: أكبر رؤساء البربر، تفادى حدوث صدام مسلح بينه وبين قوات عقبة المندفعة بقوة في إفريقية، وذلك حتى يتفرق أصحابه عنه، ويبقى عقبة في قلةٍ من الرجال، فيغدر به، حتى تمكن من قتل عقبة بن نافع، والسيطرة على القيروان، حتى قدم زهير بن قيس في سنة تسع وستين، ودخل مع كسيلة في مواجهة ضارية تمكن فيها من هزيمة جيش كسيلة وقتله. الملحم، موقف، ص119– 148.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص251.

قتلاً ذريعاً "([1])، ثم تحدث خليفة عن رفض ابن الزبير مبايعة يزيد بن معاوية وجهود يزيد في ثنيه عن ذلك([2])

تطرق خليفة إلى وقعة الحرة، في سنة ثلاث وستين([3])، وتحدث عن تفاصيلها على نحو سبقت الإشارة إليه([4])، وهو ذات الشيء إبان حديثه عن حرق الكعبة([5])، وهكذا يكون خليفة قد أشار في رواياته في هذا الباب إلى أفعال يزيد المشهورة، والمتعلقة بمقتل الحسين، وموقعة الحرة، وحريق الكعبة، بكثير من الإيجاز، ولعل خليفة كان قد أوجز كعادته أثناء تناول الأحداث الجسام التي جرت في عهده، مع ملاحظة أنه لم يتناول البتة أي رواية تتحدث عن جواز سب يزيد من عدمه، وهل كان مستحقاً لذلك أم لا؟؟! ونفس الشيء يحدث بشأن خروج الحسين بن علي، دون الإبانة عن مدى مشروعية هذا الخروج من عدمه؟!

ولوحظ أن خليفة لم يورد في تاريخه رواية تشير إلى موقف صريح له حيال يزيد، مع أنه لمّا جاء على ذكر مسلم بن عقبة المأمور من يزيد باستباحة المدينة ثلاثة أيام إن لم يذعن أهلها لأوامره، لم يترحم عليه، فضلاً عن أنه صرح بلعنه([6])

وفي مقابل ذلك، فقد ساق خليفة رواية تتضمن موقف أحد أصحاب رسول الله من يزيد، جاء فيها على لسان حميد بن عبد الرحمن قوله: " دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية، فقال: أتقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد، لا أفقه فيها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً؟ قلنا: نعم. قال: وأنا أقول ذلك، ولكن والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إليّ من أن تفترق، أرأيتم باباً لو دخل فيه أمة محمد وسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟! قلنا: لا. قال: أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم: لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم "([7])، هذا وقد ختم خليفةُ حديثه عن يزيد بتسمية قضاته على الأقاليم(8)

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص251.

(2) المصدر نفسه، ص251- 252.

(3) المصدر نفسه، ص236.

(4) المصدر نفسه، ص238- 239.

(5) المصدر نفسه، ص252.

(6) المصدر نفسه، ص254.

(7) المصدر نفسه، ص217.

(8) المصدر نفسه، ص256.

معاوية بن يزيد بن معاوية:

هو أبو عبد الرحمن([1])، معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان([2])، وأمه بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة([3])، ويكنى أبا ليلى([4])، يقول الشاعر:

إني أرى فتنةً قد حان أوَّلُها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا([5])

وكان " شاباً ديِّناً، خيراً من أبيه "([6])، فضلاً عن أنه كان "ناسكاً، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة "([7])، تولى الخلافة بعهدٍ من أبيه([8])، وكانت ولايته أربعين يوماً([9])، وقيل: ثلاثة أشهر([10])، وقيل: تولاها عشرين يوماً([11])، لكنه تأثر بمؤدبه عمرو المقصوص الذي نصحه قائلاً: " إما أن تعتدل، وإما أن تعتزل "([12])، فما كان منه إلا أن " أغلق الباب في وجهه، وتخلى للعبادة "([13])، إلى أنْ توفي في سنة أربع وستين([14])، قيل: مات مطعوناً([15])، وقيل: مسموماً([16])، وله

---

(1) السيوطي، تاريخ، ص239.

(2) ابن قتيبة، المعارف، ص352. الطبري، تاريخ، ج5، ص500. القضاعي، عيون، ص334. ابن طاهر، البدء، ج6، ص16. الذهبي، سير، ج4، ص139. السيوطي، تاريخ، ص239.

(3) القضاعي، عيون، ص334. الذهبي، سير، ج4، ص139.

(4) ابن قتيبة، المعارف، ص352. الطبري، تاريخ، ج5، ص500. القضاعي، عيون، ص334. الذهبي، سير، ج4، ص139.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص500. ابن كثير، البداية، ج11، ص664.

(6) الذهبي، سير، ج4، ص139.

(7) القضاعي، عيون، ص334.

(8) المصدر نفسه، ص334. ابن طاهر، البدء، ج6، ص16. الذهبي، سير، ج4، ص139. السيوطي، تاريخ، ص239. الريس، عبد الملك، ص27.

(9) ابن قتيبة، المعارف، ص352. القضاعي، عيون، ص334. ابن طاهر، البدء، ج6، ص17. الذهبي، سير، ج4، ص139. السيوطي، تاريخ، ص239.

(10) القضاعي، عيون، ص334. ابن طاهر، البدء، ج6، ص17. الذهبي، سير، ج4، ص139. السيوطي، تاريخ، ص239.

(11) ابن قتيبة، المعارف، ص352. القضاعي، عيون، ص334. ابن طاهر، البدء، ج6، ص17. الذهبي، سير، ج4، ص139.

(12) ابن طاهر، البدء، ج6، ص17.

(13) المصدر نفسه، ج6، ص17.

(14) القضاعي، عيون، ص334. ابن طاهر، البدء، ج6، ص17.

(15) ابن كثير، البداية، ج11، ص664.

(16) ابن كثير، البداية، ج11، ص664.

ثلاث وعشرون سنة([1])، وقيل: إحدى وعشرون سنة([2])، وقيل: سبع عشرة سنة([3])، دون " أن يعهد بالخلافة إلى أحد "([4])، ودون أن يُعْقِبْ([5])، وكان مروان بن الحكم قد صلّى عليه، ودفنه بالقرب من قبر أبيه([6])

لم يتحدث خليفة مطولاً عن معاوية بن يزيد، وإنما حصر حديثه عنه في النقاط التالية:

- أن معاوية بن يزيد صلى على أبيه عندما مات.
- أن يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية.
- أن معاوية بن يزيد " أقرّ عمال أبيه، ولم يولّ أحداً ".
- أن معاوية بن يزيد ظل مريضاً حتى مات، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ويقال: عشرين سنة.
- أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان صلّى على معاوية بن يزيد عندما مات.
- أن ولاية معاوية بن يزيد كانت نحواً من شهر ونصف، ويقال: أنه مات بعد أبيه بأربعين يوماً، وهو ابن ثمان عشرة سنة([7])

وقد تجلى واضحاً من خلال ما زوَّدنا به خليفةُ من معلومات عن هذا الخليفة، أنه نأى بنفسه عن تقييم شخصية معاوية بن يزيد، لكن طبيعة المعلومات التي أوردها بصدده تشير يقيناً إلى حالة الضعف التي كان معاوية يعيش في كنفها([8])، حيث اكتفى خليفة بالإشارة إلى أن السبب في ذلك مرده إلى المرض الذي لازمه بعد صلاته على أبيه يزيد وحتى وفاته، فضلاً عن قصر مدة ولايته، ولم يورد خليفةُ أي سلوك بادر إليه معاوية أكثر من صلاته على أبيه، ثم أنه أقر عمال أبيه، وأنه لم يولّ أحداً غيرهم، بيد أن خليفة أشار في تاريخه إلى أن أهل الري قد انتفضوا بعد وفاة يزيد بن معاوية، فقام عامر بن مسعود عامل الكوفة بتوجيه محمد بن عمير بن عطار فهزموه، فوجه من بعده عتاب بن ورقاء الرياحي فهزمهم([9])

---

(1) القضاعي، عيون، ص334. الذهبي، سير، ج4، ص139.

(2) القضاعي، عيون، ص334. الذهبي، سير، ج4، ص139. السيوطي، تاريخ، ص239.

(3) الذهبي، سير، ج4، ص139.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص139.

(5) ابن قتيبة، المعارف، ص352. الذهبي، سير، ج4، ص139.

(6) الذهبي، سير، ج4، ص139.

(7) تاريخ، ص255.

(8) المصدر نفسه، ص255.

(9) المصدر نفسه، ص261.

مروان بن الحكم:

هو مروان بن الحكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس([1])، وأمه آمنة بنت عَلْقمة بن صفوان([2])، يكنى أبا عبد الملك([3])، وأبا الحكم([4])، وأبا القاسم([5])، وكان مولده في سنة اثنتين من الهجرة([6])، وكان " أصغر من عبد الله بن الزبير بأربعة أشهر "([7])، أما ولايته فكانت سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً([8])، وقيل: تسعة أشهر([9])، وقيل: عشرة أشهر([10])، وقيل: أحد عشر شهراً([11])، وتوفي سنة خمس وستين([12])، وهو ابن ثلاث وستين سنة([13])

افتتح خليفة الحديث عن مروان بن الحكم بقوله: " وفيها بويع أمير المؤمنين مروان في ذي القعدة في الجابية "([14])، ويرى الباحث أن استخدام خليفة للفظة (أمير المؤمنين)، تعني أن خليفة يؤمن بشرعية خلافة مروان، وإعجابه بشخصيته، وتوقيره إياه، لكنه لم يتحدث مطولاً عن

---

(1) ابن خياط، الطبقات، ص231. القضاعي، عيون، ص340. ابن العمراني، الإنباء، ص49. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص14. المزي، تهذيب، ج27، ص387– 388. الذهبي، سير، ج3، ص476. الصفدي، تحفة، ج1، ص112. القرماني، أخبار، ص18. أبو النصر، عبد الملك، ص47.

(2) ابن خياط، الطبقات، ص231. ابن خياط، تاريخ، ص259. القضاعي، عيون، ص340. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص14. المزي، تهذيب، ج27، ص388. أبو النصر، عبد الملك، ص47.

(3) ابن خياط، الطبقات، ص231. ابن العمراني، الإنباء، ص49. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص15. المزي، تهذيب، ج27، ص388. الذهبي، سير، ج3، ص476. الصفدي، تحفة، ج1، ص112.

(4) القضاعي، عيون، ص340. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص15. المزي، تهذيب، ج27، ص388. الذهبي، سير، ج3، ص476. الصفدي، تحفة، ج1، ص112.

(5) المزي، تهذيب، ج27، ص388. الذهبي، سير، ج3، ص476.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص14. المزي، تهذيب، ج27، ص388.

(7) المزي، تهذيب، ج27، ص388. الذهبي، سير، ج3، ص476.

(8) القلقشندي، مآثر، ج1، ص125.

(9) الدينوري، الأخبار، ص420. المزي، تهذيب، ج27، ص389. الحسيني، مقاتل، ص199.

(10) ابن قتيبة، المعارف، ص354. الصفدي، تحفة، ج1، ص113.

(11) ابن العمراني، الإنباء، ص49.

(12) ابن خياط، الطبقات، ص231. ابن قتيبة، المعارف، ص354. القلقشندي، مآثر، ج1، ص125. محمد، تاريخ، ص213.

(13) ابن قتيبة، المعارف، ص354. ابن العمراني، الإنباء، ص49. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص14. المزي، تهذيب، ج27، ص389. الصفدي، تحفة، ج1، ص113. القلقشندي، مآثر، ج1، ص125.

(14) تاريخ، ص253.

موقعة مرج راهط، وإنما اكتفى بذكر أنها حدثت في سنة أربع وستين([1])، ثم أنه بعد صفحات عدة تحدث بشكل موجز عن هذه المعركة([2])

اهتم خليفة بإيراد بالحديث عن أن مروان قد جدد " البيعة لنفسه ولابنه من بعده عبد الملك بن مروان، ثم عبد العزيز بن مروان، وذلك في أول سنة خمس وستين "([3])، دون أن يتعرض لمروان بنقد بسبب تلاعبه في مقررات مؤتمر الجابية، كما ولم يغفل خليفة التحدث عن الحدث الأهم في خلافة مروان، وهو أنه دخل مصر في سنة خمس وستين([4])، وأن ولايته كانت تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً([5])، وفي النهاية تحدث خليفة عن أسماء من كانوا على شرطته، وكتابة لرسائله، واسم حاجبه([6])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص253.

(2) المصدر نفسه، ص259– 260.

(3) المصدر نفسه، ص261.

(4) المصدر نفسه، ص261.

(5) المصدر نفسه، ص262– 263.

(6) المصدر نفسه، ص263.

عبد الملك بن مروان:

هو عبد الملك بن مروان بن الحكَم بن أبي العاص بن أمية([1])، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية([2])، وهو " المؤسس الثاني للدولة الأموية "([3])، ويكنى أبا الوليد([4])، ويقال له أبو الأملاك، وذلك لأنه " ولي الخلافة أربع من ولده: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام "([5])، حيث روي أنه رأى في المنام "كأنه بال في المحراب أربع مرات، فغمَّه ذلك، فوجه إلى سعيد بن المسيب من سأله فقال: يملك من ولده لصلبه أربعة "([6])، وكان " تدمى لثته فيقع عليها الذباب، فكان يلقب: أبا الذباب "([7])، وكان يلقب أيضاً أبا الذِّبَّان " يزعمون أن الذُّبابة إذا مرت بفيه، ماتت لشدة بَخَره "([8])، وكان يقال له: رَشْحُ الحَجَر، وذلك لشدة بخله، لأن الحجر " لا يرشح الماءَ إلا نادراً "([9])

بويع لعبد الملك بن مروان بالخلافة " بعد أبيه مروان بن الحكم بعهدٍ منه "([10])، حيث كان عبد الملك متأثراً بأبيه تأثراً بالغاً، لأنه كان يمثل بالنسبة إليه مصدراً مهماً لما تعلمه على يديه إبان طفولته وشبابه([11])، وأصبح حاكماً على الشام ومصر، ثم عمد إلى محاربة عبد الله بن الزبير، وأقدم على قتل مصعب بن الزبير، فاستولى بذلك على العراق، ثم جهّز الحجاج بجيش عظيم،

---

(1) ابن خياط، الطبقات، ص240. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص147. المزي، تهذيب، ج18، ص408. الذهبي، سير، ج4، ص246. الصفدي، الوافي، ج19، ص139. السيوطي، تاريخ، ص245. علي، تاريخ، ص186. العاوور، التاريخ، ص82.

(2) ابن خياط، الطبقات، ص240. الصفدي، الوافي، ج19، ص139. شاكر، التاريخ، ج4، ص191. العاوور، التاريخ، ص82.

(3) العاوور، التاريخ، ص82.

(4) ابن خياط، الطبقات، ص240. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص147. المزي، تهذيب، ج18، ص408. الذهبي، سير، ج4، ص246. السيوطي، تاريخ، ص245.

(5) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص147.

(6) القضاعي، عيون، ص347. الصفدي، الوافي، ج26، ص72- 73. القلقشندي، مآثر، ج1، ص128. السيوطي، تاريخ، ص285. ابن العماد، شذرات، ج1، ص352.

(7) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص147. ابن كثير، البداية، ج12، ص378.

(8) الصفدي، الوافي، ج19، ص140.

(9) القلقشندي، مآثر، ج1، ص127.

(10) المزي، تهذيب، ج18، ص408. الصفدي، الوافي، ج19، ص139. السيوطي، تاريخ، ص245.

(11) عباس، عبد الملك، ص106.

وأمره بالتوجه إلى مكة بهدف القضاء على الحركة الزبيرية، وكان له ما أراد([1])، بعد أن استحوذ عبد الله بن الزبير على باقي البلاد عدا الشام ومصر مدة سبع سنين([2])

ولد عبد الملك بن مروان سنة ستٍ وعشرين([3])، وتوفي سنة ست وثمانين([4])، وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر([5])، وقيل: ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً([6])، حيث " أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين "([7])، وكان " ملكه مع سني ابن الزبير إحدى وعشرين سنة وستة أشهر "([8])، وهو " أول من نقل الديوان من الفارسية بالعراق، ومن الرومية بالشام إلى العربية "([9])

تحدث خليفة عن البيعة التي تمت لعبد الملك بن مروان في سنة خمس وستين([10])، واستخدم خليفة في كلامه عن عبد الملك لفظة (أمير المؤمنين)([11])، ما قد يفيد بالتقدير والتوقير، ثم تحدث عن المهام التي نُفِّذت في أيام عبد الملك، كان من أهمها: قتل المختار الثقفي في سنة سبع وستين([12])، ودخول الكوفة بعد إلحاق الهزيمة بمصعب بن الزبير في سنة اثنتين وسبعين([13])، ثم قتل عبد الله بن الزبير في سنة ثلاث وسبعين، وقضى جذرياً على الحركة الزبيرية([14])، ثم تحدث خليفة عن موقف عبد الملك من عمرو بن سعيد الذي خلع عبد الملك، ثم اصطلحا، لكن عبد الملك " غدر به فقتله "([15])، علماً بأن مقتل عمرو بن سعيد جاء على خلفية أن عبد الملك كان لا يثق به، ثم أن عمرو بن سعيد ثار عليه، وانقلب على سلطانه([16])

---

(1) الذهبي، سير، ج4، ص247.

(2) الصفدي، الوافي، ج19، ص139.

(3) الذهبي، سير، ج4، ص246. السيوطي، تاريخ، ص245.

(4) ابن خياط، الطبقات، ص240. الطبري، تاريخ، ج6، ص418. الذهبي، سير، ج4، ص249.

(5) الطبري، تاريخ، ج6، ص418.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص418.

(7) المصدر نفسه، ج6، ص418.

(8) الصفدي، الوافي، ج19، ص140.

(9) القلقشندي، مآثر، ج3، ص345.

(10) تاريخ، ص261.

(11) المصدر نفسه، ص261، 264، 265، 266، 267.

(12) المصدر نفسه، ص264.

(13) المصدر نفسه، ص267- 268.

(14) المصدر نفسه، ص267.

(15) المصدر نفسه، ص266.

(16) المصدر نفسه، ص266.

ولقد تحدث خليفة عن جهود عبد الملك بن مروان في قتال الخوارج([1])، كما اهتم بالفتوحات التي جرت في عهد عبد الملك بن مروان، وهو الأمر الذي يعكس انطباعاً حسناً من خليفة إزاء شخصية عبد الملك، حيث أشار إلى مواقعة محمد بن مروان الروم بالزاب، وذهاب سفيان بن وهب إلى إفْريقية، وذلك في سنة أربع وسبعين([2])

كما ذكر غزو محمد بن مروان أندرلية([3]) في سنة أربع وسبعين([4])، وفي سنة خمس وسبعين انتصر أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط في الأعماق([5]) على الروم([6])، وفي سنة ست وسبعين، غزا محمد بن مروان أرض الروم من جهة مَلَطْية([7])، أما الوليد بن عبد الملك فقد غزا أرض الروم في سنة سبع وسبعين، حتى وصل ما بين المصيصة([8]) وملطية([9])

وفي سنة ثمان وسبعين غزا محرز بن أبي محرز الروم وفتح أزقلة، وهي من بلاد الروم([10])، وفيها أيضاً " قفل حسان بن النعمان الغساني من القيروان، وقدم على عبد الملك فردّه إلى إفريقية، وزاده أطرابلس، فقدم على عبد العزيز بن مروان بمصر، فلم ينفذه عبد العزيز، وولّى موسى بن نصير، فقدم حسان على عبد الملك فأمره بلزوم بيته "([11])

وفي سنة تسع وسبعين غزا موسى بن نصير المغرب([12])، وكان أول من قاتل البرابرة هناك، وهم الذين قتلوا عقبة بن نافع من قبل، فقاتلهم موسى وسبى منهم، حتى انتهى إلى طبنة([1])،

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص271- 272، 274-276، 278، 280-287، 281، 286- 287.

(2) المصدر نفسه، ص270.

(3) يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: " وفي ياقوت معجم البلدان (أندرين)، وكذا في البكري معجم ما استعجم، وهي قرية من قرى الجزيرة ". ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص270. وذكر الحموي بأنها " قرية في جنوبي حلب ". معجم، ج1، ص260.

(4) تاريخ، ص270.

(5) الأعماق: كورة قرب دابق، تقع بين حلب وإنطاكية. الحموي، معجم، ج1، ص222.

(6) تاريخ، ص271.

(7) تاريخ، ص275. مَلَطْية: بلدة من بلاد الروم، وهي مشهورة تقع على حدود الشام. الحموي، معجم، ج5، ص192- 193.

(8) المصّيصة: مدينة من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، وتقع بالقرب من طرسوس. الحموي، معجم، ج5، ص144- 145.

(9) تاريخ، ص276.

(10) المصدر نفسه، ص277.

(11) المصدر نفسه، ص277.

(12) المصدر نفسه، ص278.

طبنة([1])، و" وبلغ سبيهم عشرين ألفاً "([2])، كما غزا فيها عبيد الله بن أبي بكرة بلاد الترك، فلما توغل فيها أخذهم ملك الترك على حين غرة، فأمعن في المسلمين القتل والتشريد([3])، وفي سنة ثمانين غزا المهلب بن أبي صفرة كش([4]) ونَسَف([5]) وهما من بلاد خراسان([6])، و" حاصرهم حتى أتاه كتاب ابن الأشعث يدعوه إلى خلع الحجاج، وذلك في سنة إحدى وثمانين، فانصرف المهلب عنهم راجعاً "([7])، وفي سنة اثنتين وثمانين بعث عبد الملك أخاه محمداً إلى أرمينية، فهزم أهلها، ثم صالحهم([8])، كما فتح في العام نفسه عبد الله بن عبد الملك حصن سنان([9])، قريباً من المصيصة([10])، وفي سنة ثلاث وثمانين هزم عبد الله بن عبد الملك سكان لؤلؤة([11]) من الروم([12])

وفي سنة أربع وثمانين غزا عبد الله بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم حتى وصل إلى أرض طُرَنْدة([13]) من أرض الروم([14])، كما غزا موسى بن نصير في السنة نفسها شُكُوما وهي من بلاد إفريقية، حتى نزل على أَوْرَبة([15]) فقاتلوه، ثم " فتح الله فقتل وسبي "([16])، وفي سنة أربع وثمانين زحف الروم إلى أرمينية وفيها محمد بن مروان، فهزمهم الله، وأرسل محمد بن مروان إليهم

---

(1) طبنة: بلد في طرف إفريقية. الحموي، معجم، ج4، ص21.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص278– 279.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص190.

(4) كَشّ: موضع وراء النهر، وتبعد ثلاثة فراسخ عن جُرْجان، وتتبع ناحية خراسان. البكري، المسالك، ج2، ص20. الحموي، معجم، ج4، ص462.

(5) نَسَف: مدينة كبيرة، تقع بين جيحون وسمرقند، وتتبع ناحية خراسان، والغالب على أرضها الخصب. البكري، المسالك، ج2، ص20. الحموي، معجم، ج5، ص285.

(6) تاريخ، ص279.

(7) المصدر نفسه، ص279.

(8) المصدر نفسه، ص288.

(9) حصن سنان: حصن موجود في بلاد الروم. الحموي، معجم، ج2، ص264.

(10) تاريخ، ص288.

(11) لؤلؤة: قلعة تقع بالقرب من طرسوس.الحموي، معجم، ج5، ص26.

(12) تاريخ، ص289.

(13) طُرَنْدة: بلدة من بلاد الروم، غزاها عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وثمانين، وبنوا بها مساكن، .الحموي، معجم، ج4، ص32.

(14) ابن خياط، تاريخ، ص291.

(15) أوربة: مدينة بالأندلس، وقيل: قبيلة من البربر تقع مساكنهم قرب مدينة فاس. الحموي، معجم، ج1، ص278.

(16) ابن خياط، تاريخ، ص290.

من يحرقهم في كنائسهم وبيعهم وقراهم([1])، وفي سنة ست وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك الروم، وفتح حصن تولق وحصن الأخرم من بلاد الروم، وذلك قبل وفاة عبد الملك بن مروان([2])، وفيها " وجه موسى بن نصير المغيرة بن أبي بردة العبدي في مراكب، فافتتح أوَّلية، وهي أولى مدائن صقلية من أرض المغرب "([3]) وفيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان " بلاداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار، وسبى وغنم وسلم، وتسلّم قلاعاً وحصوناً وممالك، ثم قفل "([4])

وفي النهاية ذكر خليفة أسماء عمال عبد الملك بن مروان، وقضاته، ومن كان على الموسم في عهده، وكذلك الرسائل والخراج والجند والخاتم وبيوت الأموال، والحاجب والحرس([5])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص290.

(2) المصدر نفسه، ص292.

(3) المصدر نفسه، ص292.

(4) ابن كثير، البداية، ج12، ص375.

(5) تاريخ، ص293- 299.

الوليد بن عبد الملك:

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي([1])، وأمه ولادة بنت العباس([2])، ويكنى أبا العباس([3])، وكان يلقب بـ" النبطي للحْنه "([4])، وأضحى خليفة للمسلمين بعد أنْ " بويع بعهدٍ من أبيه "([5])، وذلك في سنة ست وثمانين([6])، وكان مشهوراً بقلة العلم، والنهم في البناء، حيث أنشأ جامع بني أمية، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزَخْرَفه([7])، وفي عهده فَتَح " بوابة الأندلس، وبلاد الترك "([8])، ومات في سنة ست وتسعين([9])، وله أربع وأربعون([10])، وقيل: تسع وأربعون سنة([11])، وقيل:إحدى وخمسون سنة([12])، وكانت أيامه في الخلافة تسع سنين وخمسة أشهر وأياماً([13])، وقيل: تسع سنين وسبعة أشهر ويوماً([14])، وقيل: عشر سنين سوى أربعة أشهر([15])، ولقد همَّ بخلع أخيه سليمان من ولاية العهد لابنه عبد العزيز، فاعترض عمر بن عبد العزيز على ذلك، قائلاً له: " لسليمان بيعة في أعناقنا "([16])، فعذَّبه الوليد عذاباً غير يسير، حتى رفع عنه العذاب، " فشكر سليمان لعمر ذلك، وعهد إليه بالخلافة "([17]) وهو أول من " اتخذ

---

(1) الذهبي، سير، ج4، ص347. الصفدي، الوافي، ج27، ص270؛ تحفة، ج1، ص126. السيوطي، تاريخ، ص255. العاوور، التاريخ، ص118.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص299. الصفدي، الوافي، ج27، ص270. العاوور، التاريخ، ص118.

(3) الذهبي، سير، ج4، ص347. الصفدي، الوافي، ج27، ص270؛ تحفة، ج1، ص126. السيوطي، تاريخ، ص255.

(4) الصفدي، الوافي، ج27، ص270.

(5) الذهبي، سير، ج4، ص347. الصفدي، الوافي، ج27، ص270.

(6) الصفدي، الوافي، ج27، ص270.

(7) الذهبي، سير، ج4، ص347.

(8) المصدر نفسه، ج4، ص347.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص309. الذهبي، سير، ج4، ص348.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص309.

(11) الصفدي، الوافي، ج27، ص270.

(12) ابن خياط، تاريخ، ص309. الذهبي، سير، ج4، ص348.

(13) ابن خياط، تاريخ، ص309.

(14) الصفدي، الوافي، ج27، ص270؛ تحفة، ج1، ص126.

(15) الذهبي، سير، ج4، ص348.

(16) المصدر نفسه، ج4، ص348.

(17) المصدر نفسه، ج4، ص348.

البيمارستان للمرضى في الإسلام "([1])، كما كان أول من " أجرى الرواتب على القُرَّاء والعميان وأصحاب العاهات "([2])

اهتم خليفة برواياته المتعلقة بالوليد بن عبد الملك، سيما ذات الصلة بما أجرى الله على يديه من فتوحات، اعتبرت هي الأكبر من نوعها في تاريخ الدولة الأموية، ففي سنة سبع وثمانين حيث تحدث عن غزو قتيبة بن مسلم بيكند من بخارى، وكيف أن الأمر انتهى بالمصالحة([3])، وولى عليهم رجلاً من أقاربه، لكنهم غدروا به وقتلوا عامة أصحابه، فرجع إليهم قتيبة، " فسألوه الصلح فأبى، فظفر بها عنوة، فقتل من كان فيها من المقاتلة، وأصاب آنية كثيرة من الذهب والفضة "([4])، وفي سنة سبع وثمانين " غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وفتح حصوناً كثيرة، وغنم غنائم جمة "([5])، كما وأغزى فيها موسى بن نصير ابنه عبد الله ففتح له قولة، وهي من بلاد سَرْدانِيَة في المغرب العربي([6])، وفيها أغزى موسى بن نصير عبد الله بن حذيفة الأزدي سردانية نفسها، ورجع منها بسبي وغنائم كثيرة([7])

وفي سياق حديثه عن تبيان دور الوليد في الفتوحات، التي ينظر إليها على أنها " قمة الفتوح الإسلامية على مرّ التاريخ "([8])، ذكر خليفة أنه وفي سنة ثمان وثمانين غزا قتيبة أرمثنة([9])، وصالح أهلها([10])، لكن الترك وغيرهم اعترضوا المسلمين وعليهم ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف مقاتل " فأظهر الله المسلمين، وفضّ جمع المشركين "([11])، كما وفتح الله على أيدي المسلمين من السنة ذاتها طُوانة([12])، وذلك على يد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك([13])، ولقد كان حصن طوانة حصناً غاية في المناعة، إذ لما اشتد القتال احتمى أهل الحصن

---

(1) القلقشندي، مآثر، ج3، ص346.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص346.

(3) تاريخ، ص300.

(4) المصدر نفسه، ص300.

(5) ابن كثير، البداية، ج12، ص406.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص300.

(7) المصدر نفسه، ص300.

(8) الأحمد، حركة، ص153.

(9) أرمثنة: وقيل: رامِيثَن، وهي قرية ببخارى. الحموي، معجم، ج3، ص18. ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص301.

(10) تاريخ، ص301. ينظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص436- 437

(11) ابن خياط، تاريخ، ص301.

(12) طَوانة: بلد بثغور المصيصة. الحموي، معجم، ج4، ص45- 46.

(13) تاريخ، ص302.

بالكنيسة، ثم خرج من فيها من نصارى، فانهزم المسلمون في بداية الأمر، لكن الله كتب لهم النصر في خاتمة المطاف([1])، وفيها غزا مسلمة أرض الروم، و" فتح على يديه حصون ثلاثة: حصن قسطنطينية، وغَزالة، وحصن الأخْرم "([2])، وفي سنة تسع وثمانين فتح عبد الله بن موسى بن نصير مُيورْقة([3]) ومَنُورْقة([4]) في غزوةٍ عُرفت بغزوة الأشراف، لأنه " كان معه أشراف الناس "([5])، وفيها هاجم مسلمة بن عبد الملك عَمُّورية([6]) وهزم جمعهم([7])، يقول ياقوت الحموي: " وهي التي فتحها المعتصم في سنة 223، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية، في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام "([8])

وفي سنة تسعين غزا العباس بن الوليد بن عبد الملك مدينة أرْزَن([9]) الأرمينية([10])، وفيها " فتح قتيبة بن مسلم بخارى، وهزم جموع العدو بها "([11])، كما فتح فيها قتيبة الطالقان من بلاد خراسان([12])، وفي سنة اثنتين وتسعين فتح محمد بن القاسم مدينة قَنَّزْبور([13])، كما افتتح قتيبة شُومان([14])، وكذلك فتح كَشّ، ونَسَف([15])، كما ووجه موسى بن نصير جيشاً بقيادة طارق بن زياد، وزحف حتى وصل إلى طنجة، " فقتل الأسرى، وقتل ملكهم "([16])، كما غزا فيها طارق ابن زياد

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص283. ابن كثير، البداية، ج12، ص413.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص436.

(3) مُيورْقة: جزيرة تقع في شرقي الأندلس، بالقرب من جزيرة منورقة. الحموي، معجم، ج5، ص246- 247.

(4) مَنُورْقة: وهي جزيرة عامرة تقع بالقرب من ميورقة. الحموي، معجم، ج5، ص216.

(5) تاريخ، ص302. ينظر: ابن كثير، البداية، ج12، ص418.

(6) عَمُّورية: بلد في بلاد الروم. الحموي، معجم، ج4، ص158.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص302. ينظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص439.

(8) معجم، ج4، ص158.

(9) أرْزَن: وهي مدينة مشهورة، ومن أعمر نواحي أرمينية. الحموي، معجم، ج1، ص150- 151.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص303.

(11) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص294.

(12) الطبري، تاريخ، ج6، ص447.

(13) قَنَّزْبور: بلدة تبعد عن مدينة دَرَك – التي هي قلعة من نواحي طوس، وتقع بمُكران – ثلاث مراحل. الحموي، معجم، ج2، ص452.

(14) شُومان:بلد يقع من وراء نهر جيحون، وينبت في أراضيه الزعفران، وهي مدينة أصغر من ترمذ. الحموي، معجم، ج3، ص373- 374.

(15) ابن كثير، البداية، ج12، ص418.

(16) ابن خياط، تاريخ، ص304.

بلاد الأندلس([1])، وذلك بعد أن علم موسى بن نصير بـ " اختلاف الفرنج واقتتالهم "([2])، وانتهت المعارك هناك بأن " تملك بلاد الأندلس بكمالها "([3])

بلاد الهند([4])، وفي السنة ذاتها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب، وكان لا يمر على مدينة إلا وافتتحها([5])، كما فتح مدينة باجة([6])، ومدينة البيضاء([7])، ثم سار بعد ذلك إلى قُرْطُبَة([8])

وفيها غزا المسلمون طليطلة وهي " من عظام مدائن الأندلس "([9])، كما غزا قتيبة خوارزم فصالحه أهلها على عشرة آلاف رأس، ثم توجه إلى سمرقند وصالح أهلها أيضاً([10])، كما غزا العباس بن الوليد أرض الروم " ففتح على يديه سَمَسْطية "([11])، وفي السنة نفسها غزا مروان بن الوليد أرض الروم حتى بلغ خَنْجَرة([12])

وفي سنة أربع وتسعين أشار خليفة إلى أن قتيبة بن مسلم افتتح كابل، كما جرى فتح قلاع فَرْغانة([13])، والشاش([14]) على يد قتيبة بن مسلم أيضاً([15])، كما غزا مسلمة بن عبد الملك سندرة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص468.

(2) الذهبي، سير، ج4، ص500.

(3) ابن كثير، البداية، ج12، ص436.

(4) ابن كثير، البداية، ج12، ص444- 445.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص305.

(6) باجة: بلد بإفريقية، تعرف بباحة القمح، وذلك لكثرة قمحها، وهي كثيرة الأنهار، وهي تقع على الطريق من القيروان إلى طبرقة، وتقع تحديداً غرب تونس، ويوجد في الأندلس بلدة تعرف بـ " باجة " أيضاً. البكري، المسالك، ج2، ص235. الحموي، معجم، ج1، ص314- 316. واصف، معجم، ص21.

(7) البيضاء: رأس جبل داخل في البحر، يقع بالقرب من جزيرة فضالة بالمغرب. البكري، المسالك، ج2، ص272.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص305. قُرْطُبَة: مدينة عظيمة تقع في وسط بلاد الأندلس، وهي حصينة بسور من حجارة، ولها بابان، وبها كان يقيم ملوك بني أمية. الحموي، معجم، ج4، ص324- 325.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص481.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص305.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص469.

(12) ابن خياط، تاريخ، ص305. خنجرة: ناحية من بلاد الروم. الحموي، معجم، ج2، ص392.

(13) فَرْغانة: مدينة واسعة تقع وراء النهر، ومتاخمة لبلاد تُرْكستان. الحموي، معجم، ج4، ص253.

(14) الشاش: وهي بلدة تقع ما وراء نهر سيحون، وملاصقة لبلاد الترك، وتعرف اليوم باسم طشقنط. الحموي، معجم، ج3، ص308- 309. مؤنس، أطلس، ص145.

(15) تاريخ، ص306. ينظر: ابن كثير، البداية، ج12، ص460- 461.

من أرض الروم، كما فتح العباس بن الوليد أنْطاكية([1]) وقارطة من الساحل من أرض الروم([2])، يقول ابن كثير في أحداث سنة أربع وتسعين: " وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه، حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه "([3])

وفي سنة خمس وتسعين فتح محمد بن القاسم المُوْلتان([4])، و" أخذ منها أموالاً جزيلة "([5])، كما فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب في أرمينية، كما فتح شَرْوان([6])، والبَرَّان([7])، وصُول([8])، وباب([9])، وفي سنة ست وتسعين " افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر([10])، وغزا الصين "([11])

ولقد اهتم خليفة بجهود الوليد بن عبد الملك على مستوى العمارة والبناء، حيث يقول في أحداث سنة سبع وثمانين: " وفيها بنى الوليد بن عبد الملك مسجد دمشق "([12])، ثم أن هذا الخليفة

---

(1) أنْطاكية: مدينة تبعد عن حلب مسيرة يوم وليلة، وهي بلد عظيم من بلاد الشام، وتقع على نهر العاصي، ولقد رجّح الدكتور أكرم ضياء العمري محقق كتاب " تاريخ خليفة بن خياط " أن يكون المقصود " أنْطالية "، وهي بلد مشهور من بلاد الروم، وذلك لأن أنطاكية كانت قد فتحت في عهد عمر بن الخطاب. ابن خياط، تاريخ، ص306. الحموي، معجم، ج1، ص266– 270. واصف، معجم، ص17– 18.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص306.

(3) البداية، ج12، ص460.

(4) المُوْلتان: بلد يقع في بلاد الهند، فالهند من فتوح الوليد بن عبد الملك. الحموي، معجم، ج5، ص227– 228.

(5) ابن كثير، البداية، ج12، ص505.

(6) شَرْوان: مدينة من نواحي أرمينية، بناها أنوشروان، تقع على بعد مائة فرسخ من باب الأبواب، الذي يقع على بحر قزوين، والذي تسميه الفرس الدَّرْبَنْد. الحموي، معجم، ج3، ص339. واصف، معجم، ص20.

(7) البَرَّان: من قرى بخارى، ويقال لها: فَوْران، وتبعد خمسة فراسخ من بخارى. الحموي، معجم، ج1، ص367– 368.

(8) صُول: مدينة ببلاد الخزر، قريبة من باب الأبواب، وهو الدَّرْبَنْد. الحموي، معجم، ج3، ص435.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص307. باب: من قرى بخارى. الحموي، معجم، ج1، ص303.

(10) مدينة تقع في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون، ويسافر إليها من سمرقند وغيرها من النواحي. الحموي، معجم، ج4، ص430.

(11) الطبري، تاريخ، ج6، ص500.

(12) تاريخ، ص300.

أمر عمر بن عبد العزيز "فبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد عليه "([1])، ثم ختم خليفة حديثه عن الوليد بن عبد الملك بتسميه عماله، ومن كان على الموسم في عهده، ومن تولى الصائفة والشرط والرسائل، والخاتم وبيوت الأموال والخزائن والحرس والحاجب، وقضاته([2])

سليمان بن عبد الملك:

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان([3])، وأمه ولادة بنت العباس أم الوليد بن عبد الملك([4])، ويكنى أبا أيوب([5])، وكان يسمى مفتاح الخير، لأنه " استخلف عمر بن عبد العزيز "([6])، وكان " فصيحاً، مفوهاً، مؤثراً للعدل، يحب الغزو "([7])، ولد في سنة ستين([8])، وتولى الخلافة سنة ست وتسعين([9])، وذلك بعد أخيه الوليد " بالعهد من أبيه "([10])، ومكث بالخلافة سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام([11])، وقيل: كانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفاً([12])، أو تسعة أشهر ونصف([13])، اتخذ فيهن عمر بن عبد العزيز "مستشاراً ووزيراً "([14])، وتوفي في سنة تسع وتسعين([15])، وهو ابن ثلاث وثلاثين([16])، وقيل: وهو ابن ثلاث وأربعين سنة([17])

تحدث خليفة بن خياط عن سليمان بن عبد الملك من حيث نسبه أباً وأماً([18])، ثم تحدث عن مقتل قتيبة بن مسلم في خراسان، دون أن يشير إلى تفاصيل هذا

---

(1) المصدر نفسه، ص301.

(2) المصدر نفسه، ص310- 313.

(3) الصفدي، الوافي، ج15، ص245. السيوطي، تاريخ، ص259. العاوور، التاريخ، ص127.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص309. العاوور، التاريخ، ص127.

(5) السيوطي، تاريخ، ص259.

(6) الصفدي، الوافي، ج15، ص246.

(7) المصدر نفسه، ج15، ص245.

(8) المصدر نفسه، ج15، ص245.

(9) المصدر نفسه، ج15، ص245. المقريزي، الذهب، ص62. العاوور، التاريخ، ص127.

(10) الصفدي، الوافي، ج15، ص245. العاوور، التاريخ، ص127.

(11) المقريزي، الذهب، ص62.

(12) ابن خياط، تاريخ، ص317.

(13) المصدر نفسه، ص317.

(14) ابن كثير، البداية، ج12، ص641. الكبي، موسوعة، ج2، ص115.

(15) ابن خياط، تاريخ، ص316. الصفدي، الوافي، ج15، ص245. السيوطي، تاريخ، ص259.

(16) ابن خياط، تاريخ، ص316.

(17) المصدر نفسه، ص316.

(18) المصدر نفسه، ص309.

الأمر، وذلك في سنة ست وتسعين، حيث اكتفى بسوق رواية تتحدث عن أن الناس لن يستطيعوا أن يقتلوا قتيبة([1])، وفي نفس السنة فتحت طبرس والمرزبانين([2]) على يد العباس ابن الوليد([3])، وفي سنة سبع وتسعين، غزا يزيد بن المهلب جُرجان، وصالحهم على خمس مائة ألف درهم يدفعونها كل عام([4])، كما افتتح مسلمة بن عبد الملك حصن بَرْجَمة، وحصن الحديد، وسَرْدَوْسَل، وهي بلاد من أرض الروم([5])، وفي سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب طبرستان، ودخل مع أهلها في معارك ضارية، حتى انتصر عليهم، وصالحهم على أموال يؤدونها إليه، ثم انصرف يزيد بن المهلب عنهم، لكن أهلها غدروا بالمسلمين فقتلوهم، فسار يزيد إليهم وأجبرهم على النزول على حكمه، حيث قتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم([6])، كما فتحت مدينة الصقالبة([7]) على يد مسلمة([8])، كما حاصر مسلمة بن عبد الملك مدينة القسطنطينية في نفس السنة([9])، وفيها " غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم، ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية "([10])، وفي سنة تسع وتسعون " أغارت الخزر على أرمينية وأذربيجان، وعليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي، فقتل عامة الخزر "([11])، ثم سمّى خليفةُ عمالَ سليمان بن عبد الملك، ومن كان على الموسم في عهده، والصائفة والشرط، وكاتب الرسائل، والخراج والجند، والخاتم، وبيوت الأموال والخزائن، والحرس والحاجب([12])

---

(1) المصدر نفسه، ص313.

(2) طبرس المرزبانين: يقول ابن جرير الطبري في تاريخه في أحداث سنة خمس وتسعين: " ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل، وهي: طولس، والمرزبانين، وهِرْقَلة ". الطبري، تاريخ، ج6، ص492.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص313.

(4) المصدر نفسه، ص314.

(5) المصدر نفسه، ص314.

(6) المصدر نفسه، ص315.

(7) الصقالبة: بلاد تقع في أعالي جبال الروم، وهي تتاخم بلاد الخزر، وقيل: الصقالبة بلاد تقع بين بُلْغار وقسطنطينة. الحموي، معجم، ج3، ص416.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص315. ينظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص545.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص304.

(10) الطبري، تاريخ، ج6، ص545.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص316.

(12) المصدر نفسه، ص317- 319.

عمر بن عبد العزيز:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم([1])، وأمه ليلى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب([2])، ويكنى أبا حفص([3])، ولد بمصر سنة إحدى وستين([4])، وهو " الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، السيد، أمير المؤمنين حقاً "([5])، وكان من " أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين "([6])، تولى الخلافة " بعهد سليمان بن عبد الملك إليه "([7])، وذلك في سنة تسع وتسعين([8])، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام([9])، وقيل: إن خلافته كانت سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً([10])، وقيل: سنتان ونصف([11])

مات عمر بن عبد العزيز بدير سَمْعان، في سنة إحدى ومائة([12])، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر([13])، قيل: إن خادماً له وضع له السم في شرابه، فمرض عشرين يوماً حتى مات([14])

---

(1) القضاعي، عيون، ص361. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص326. الذهبي، سير، ج5، ص114. السيوطي، تاريخ، ص263. زعرور، أحمد، تاريخ، ص89. العاوور، التاريخ، ص135.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص317. القضاعي، عيون، ص361. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص326. زعرور، أحمد، تاريخ، ص89. شاكر، التاريخ، ج4، ص241. العاوور، التاريخ، ص135.

(3) الذهبي، سير، ج5، ص114. السيوطي، تاريخ، ص263.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص322.

(5) الذهبي، سير، ج5، ص114. يقول الإمام الذهبي: " قلت: قد كان هذا الرجل حسن الخَلْق والخُلُق، كامل العقل، حسن السَّمْت، جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أوّاهاً، منيباً، قانتاً لله، حنيفاً، زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملّوه، وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سقوه السُّمَّ، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُدَّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين " الذهبي، سير، ج5، ص120.

(6) الذهبي، سير، ج5، ص114.

(7) القضاعي، عيون، ص361. السيوطي، تاريخ، ص265.

(8) القضاعي، عيون، ص361. السيوطي، تاريخ، ص265.

(9) الطبري، تاريخ، ج6، ص565. ابن كثير، البداية، ج12، ص720. الخضري، الدولة، ص333.

(10) القضاعي، عيون، ص362. ابن كثير، البداية، ج12، ص720.

(11) ابن كثير، البداية، ج12، ص720. العلوي، فصول، ص227.

(12) الطبري، تاريخ، ج6، ص565. السيوطي، تاريخ، ص281. العاوور، التاريخ، ص159.

(13) الطبري، تاريخ، ج6، ص565. القضاعي، عيون، ص361. السيوطي، تاريخ، ص281.

(14) الطبري، تاريخ، ج6، ص565. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص185- 186.

افتتح خليفة حديثه عن عمر بن عبد العزيز، مبرزاً الحدث الأهم في مطلع خلافته وهو أن عمر حمل في سنة تسع وتسعين " الطعام والدواب إلى مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم "([1])، وبهذا يكون عمر قد " أغاث الناس، وأذن لهم في القفول "([2])، ثم ساق خليفة الأمر الذي أصدره عمر بن عبد العزيز للجراح بن عبد الله الحكمي، حيث يقول في أحداث تسع وتسعين: "وفيها بعث عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي على خراسان، وكتب إليه عمر ألا تغزو وتمسكوا بما في أيديكم "([3])، وفي السنة الثانية في حكم عمر بن عبد العزيز وهي سنة مائة، لم يتحدث خليفة إلا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو، الذي أقام الحج في تلك السنة، ثم ذكر وفيات الأعيان في هذه السنة، كخارجة بن زيد بن ثابت، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف، وغيرهما، ثم قال: " وفيها ولد حماد بن زيد "([4])

وفي مستهل حديثه عن سنة إحدى ومائة، قال: " فيها مات عمر بن عبد العزيز "([5])، ثم أعقب ذلك ببعض المعلومات التفصيلية عن شخصية عمر بن عبد العزيز، وهي كالتالي:

- أن عمر بن عبد العزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب.
- أن عمر بن عبد العزيز مات بدير سمعان من أرض حمص سنة إحدى ومائة.
- أن يزيد بن عبد الملك هو من صلَّى على عمر بن عبد العزيز.
- أن عمر بن عبد العزيز مات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر، وأنه لم يستوفِ الأربعين.
- أن عمر بن عبد العزيز ولد بمصر سنة إحدى وستين، وقيل: ولد سنة تسع وخمسين([6])

ثم عمد خليفة إلى تسمية عمال عمر بن عبد العزيز على الأقاليم([7])، كما وعدّد قضاته على البصرة والكوفة والمدينة، ومن تولى مسئولية الموسم، والصائفة، والشرط، واسم كاتبه، والمتصرف بالخراج والجند، وخاتمه، وحرسه، وحاجبه([8])

---

(1) تاريخ، ص320.

(2) المصدر نفسه، ص320. ينظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص553. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص45.

(3) تاريخ، ص320.

(4) المصدر نفسه، ص321.

(5) المصدر نفسه، ص321.

(6) المصدر نفسه، ص321- 322.

(7) المصدر نفسه، ص322- 323.

(8) المصدر نفسه، ص324- 325.

يزيد بن عبد الملك:

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم(1)، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية(2)، ويكنى أبا خالد(3)، وولد سنة إحدى وسبعين(4)، أو اثنتين وسبعين(5)، وقد " استُخلف بعهدٍ عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز "(6)، ومات يزيد بن عبد الملك متأثراً بمرض الطاعون(7)، وقيل: السل(8)، وذلك في سنة خمس ومائة(9)، وهو ابن أربع أو ثلاث وثلاثين(10)، وقيل: خمس وثلاثون سنة(11)، وقيل: أربعون سنة(12)، وكانت خلافته أربع سنين وشهراً وأياماً(13)، وقيل: أربع سنين وشهراً(14)

تحدث خليفة بن خياط عن أن يزيد – في سنة إحدى ومائة – جمع لمسلمة العراق، وأنه " أمره بمحاربة يزيد بن المهلب "(15)، ثم أشار إلى مقتل يزيد بن المهلب في أحداث سنة

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص322. ابن قتيبة، المعارف، ص364. الذهبي، سير، ج5، ص150. الصفدي، تحفة، ج1، ص155؛ الوافي، ج28، ص29. ابن كثير، البداية، ج13، ص12. القلقشندي، مآثر، ج1، ص145. السيوطي، تاريخ، ص283. العاوور، التاريخ، ص160.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص322، 331. الذهبي، سير، ج5، ص150. الصفدي، الوافي، ج28، ص30. ابن كثير، البداية، ج13، ص12– 13. العاوور، التاريخ، ص160.

(3) ابن قتيبة، المعارف، ص364. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص367. الذهبي، سير، ج5، ص150. الصفدي، الوافي، ج28، ص29. ابن كثير، البداية، ج13، ص12. القلقشندي، مآثر، ج1، ص145. السيوطي، تاريخ، ص283.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص331. الذهبي، سير، ج5، ص150. السيوطي، تاريخ، ص283. شاكر، التاريخ، ج4، ص255.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص331.

(6) الذهبي، سير، ج5، ص150. الصفدي، تحفة، ج1، ص155؛ الوافي، ج28، ص30. ابن كثير، البداية، ج13، ص13. شاكر، التاريخ، ج4، ص255. العاوور، التاريخ، ص160.

(7) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص191.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص367. الذهبي، سير، ج5، ص152. ابن كثير، البداية، ج13، ص15.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص331. الذهبي، سير، ج5، ص152. الصفدي، الوافي، ج28، ص29. السيوطي، تاريخ، ص283. الكبي، موسوعة، ج2، ص125. شاكر، التاريخ، ج4، ص256.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص331.

(11) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص367.

(12) المصدر نفسه، ج4، ص367.

(13) المصدر نفسه، ج4، ص367.

(14) ابن خياط، تاريخ، ص331. الذهبي، سير، ج5، ص152. الكبي، موسوعة، ج2، ص125.

(15) تاريخ، ص325.

اثنتين ومائة([1])، ثم إن خليفة اهتم بسرد بعض التفاصيل المتعلقة بحركة الفتوح الإسلامية، فقد ذكر في أحداث اثنتين ومائة أن محمد بن أوس الأنصاري غزا صِقِلِّيَّة من بلاد المغرب، و" أغزى معه الناس فغنم وسلم "([2])، كما ذكر في نفس السنة أن العباس بن الوليد بن عبد الملك فتح دبسة من أرض الروم([3])، كما أشار إلى قيام الخليفة يزيد بعزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق([4])

وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد بن عبد الملك العراق لعمر بن هبيرة الفزاري([5])، وفي سنة أربع ومائة ولّى يزيدُ بن عبد الملك الجراحَ بن عبد الله الحكمي على أرمينية، حيث فُتِحت بَلَنْجَر([6]) على يديه([7])، كما فتح عثمان بن حيان في العام نفسه قيصرة([8])، وهي حصن من حصون الروم([9])، وفيها غزا يزيد بن مسروق اليحصبي " سردانية من أرض المغرب فغنم وسلم "([10])، وفي سنة أربع ومائة غزا الجراح بن عبد الله الحكمي بلنجر وافتتحها([11])، ثم سار إلى الأتراك " فسألوه الموادعة، على أن يكونوا معه على الخزر، فقبل منهم وسار إلى ورثان "([12])، وفيها غزا عثمان بن حيان حصناً من حصون الروم يدعى قيصرة وافتتحه([13])

ثم ختم خليفة كلامه بتسمية عمال يزيد بن عبد الملك، وأسماء قضاته، ومن كان على الموسم، والصائفة، والشرط، والخراج والجند، والخاتم، والخزائن، وبيوت الأموال والحرس، والحاجب([14])

---

(1) تاريخ، ص325.

(2) المصدر نفسه، ص326.

(3) المصدر نفسه، ص327.

(4) المصدر نفسه، ص327.

(5) المصدر نفسه، ص328.

(6) بَلَنْجَر: مدينة ببلاد الروم، وقد شهد فتحها عدد من الصحابة. البكري، معجم، ج1، ص276.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص329. ينظر: الأحمد، حركة، ص107.

(8) قيصرة: وهي المعروفة بقيصرية، وهي تقع في الجنوب الغربي من ملطية الواقعة في بلاد الروم، وتحديداً في ولاية أنقرة التركية. ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص330. واصف، معجم، ص98. مؤنس، أطلس، ص278.

(9) ابن خياط، تاريخ، ص330.

(10) المصدر نفسه، ص328.

(11) المصدر نفسه، ص329.

(12) المصدر نفسه، ص330. ورثان: بلد يقع في آخر حدود أذربيجان، وقيل إنها أذربيجان نفسها. الحموي، معجم، ج5، ص370- 371.

(13) ابن خياط، تاريخ، ص330.

(14) تاريخ، ص332- 335.

هشام بن عبد الملك:

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم([1])، وأمه أم هاشم فاطمة بنت هشام بن إسماعيل المخزومي([2])، لكن ابن خياط يعتبر أن أمه هي أم هشام بنت إسماعيل بن هشام المخزومي([3])، ويكنى أبا الوليد([4])، ولد في سنة اثنتين وسبعين للهجرة([5])، واستُخلف " بعهدٍ من أخيه يزيد "([6])، حيث بويع له بالخلافة سنة خمس ومائة([7])، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة([8])، وكانت خلافته تسعَ عشرةَ سنة وسبعة أشهر، وأحداً وعشرين يوماً([9])، وقيل: تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وعشر ليالٍ([10])، وقيل: تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وذلك وفقاً لرواية خليفة بن خياط([11])، ومال خليفة إلى أن هشاماً توفي وله إحدى وستون سنة([12])، وقيل: وهو ابن خمس وخمسين سنة([13])، وقيل: توفي وهو ابن أربع وخمسين سنة([14])، وقيل: توفي وهو ابن ثلاث وخمسين([15])، وذلك في سنة خمس وعشرين ومائة([16])، وعهد يزيد بن عبد الملك بالخلافة إلى أخيه هشام بن عبد الملك، ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك([17])

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص332. ابن قتيبة، المعارف، ص365. الصفدي، الوافي، ج27، ص207؛ ج26، ص71. السيوطي، تاريخ، ص285. الخضري، الدولة، ص336. العاوور، التاريخ، ص165.

(2) الصفدي، الوافي، ج27، ص207؛ ج26، ص72. الخضري، الدولة، ص336.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص332.

(4) ابن قتيبة، المعارف، ص365. الصفدي، الوافي، ج26، ص71. السيوطي، تاريخ، ص285.

(5) الصفدي، الوافي، ج27، ص207. شاكر، التاريخ، ج4، ص265.

(6) السيوطي، تاريخ، ص285. شاكر، التاريخ، ج4، ص265. العاوور، التاريخ، ص165.

(7) الصفدي، الوافي، ج27، ص207. علي، تاريخ، ص199.

(8) الصفدي، الوافي، ج27، ص207.

(9) الطبري، تاريخ، ج7، ص200.

(10) المصدر نفسه، ج7، ص200.

(11) تاريخ، ص357.

(12) المصدر نفسه، ص357. الصفدي، الوافي، ج27، ص207؛ ج26، ص72.

(13) الطبري، تاريخ، ج7، ص200. شهلة، الأيام، ص72.

(14) الطبري، تاريخ، ج7، ص200.

(15) ابن خياط، تاريخ، ص357.

(16) المصدر نفسه، ص356. الصفدي، الوافي، ج27، ص207؛ ج26، ص72. السيوطي، تاريخ، ص287. شهلة، الأيام، ص72. العاوور، التاريخ، ص173.

(17) الذهبي، سير، ج5، ص152. الصفدي، الوافي، ج27، ص207. فياض، تاريخ، ص186.

اهتم خليفة بحركة الفتوح في عهد هشام بن عبد الملك، فقد ذكر في سنة ست ومائة أن مسلم بن سعيد بن أسلم غزا فرغانة([1])، وفي السنة نفسها غزا محمد بن أبي بكر مولى بني جمح " فأصاب قرسقة وسردانية "([2])، وفي سنة سبع ومائة، غزا أسد بن عبد الله غَرْشِستان([3])، كما غزا معاوية بن هشام الروم حتى وصل إلى أرولية، وهي من أرض الروم([4])، وفي سنة ثمان ومائة توجه أسد بن عبد الله إلى غُور([5]) فغزاها([6])

وفي سنة تسع ومائة غزا حسان بن محمد بن أبي بكير سردانية " فغنم وسلم "([7])، ثم غزا في السنة نفسها معاوية بن هشام حصنَ الغطاسين وفتحه، وهو من أرض الروم([8])، وفي سنة عشرة ومائة فتح معاوية بن هشام صملة والبوة، وهما من حصون الروم([9])، وفي نفس السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الخزر، وهي الغزاة التي تسمى غزاة الطين([10])، وفي سنة اثنتي عشرة ومائة فتح معاوية بن هشام خَرْشنة([11]) من ناحية ملطية([12])، وفي سنة ثلاث عشرة ومائة، دخل الجنيد بن عبد الرحمن سمرقند([13])، وفي سنة أربع عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة عن " أرمينية وأذربيجان والجزيرة، وولاها مروان بن محمد بن مروان "([14])،

---

(1) تاريخ، ص336.

(2) المصدر نفسه، ص336. قرسقة: هي جزيرة قورسيقا الآن، وهي وسردانية جزيرتان متقابلتان في البحر المتوسط. ابن خياط، تاريخ، (المحقق)، ص336.

(3) غَرْشِستان: ولاية تقع هراة في غربيها، والغور في شرقيها، ومروالروذ عن شماليها، وغزنة عن جنوبيها. الحموي، معجم، ج4، ص193- 194.

(4) تاريخ، ص337.

(5) غُور: ولاية جبلية، تقع بين هراة وغزنة، وهي بلاد واسعة وموحشة. الحموي، معجم، ج4، ص218.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص338.

(7) المصدر نفسه، ص339.

(8) المصدر نفسه، ص339.

(9) المصدر نفسه، ص240.

(10) المصدر نفسه، ص339.

(11) خَرْشَنة: بلد قرب ملطية، تقع في بلاد الروم. الحموي، معجم، ج2، ص359.

(12) ابن خياط، تاريخ، ص343.

(13) المصدر نفسه، ص344.

(14) المصدر نفسه، 345.

وفيها أيضاً غزا عبد الله بن قطن صقلية فغنم وسلم، كما أقدم عبد الله بن زياد الأنصار على غزو سردانية فغنم وسلم([1])، وفي سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام حتى انتهى إلى أفلاجونية(2)

وفي سنة سبع وعشرة ومائة، غزا معاوية بن هشام سيبرة وسردة من أرض الروم، وأصابوا كثيراً من السبايا(3)، وفي سنة ثمان عشرة ومائة، غزا مروان بن محمد أرمينية، فدخل قلعة الزعيم الأرميني ورتنيس وقتله(4)، وفي السنة نفسها غزا قثم بن عوانة الكلبي أولية من صقلية، " فأحاطوا به، ثم خلوا عنه "(5)، وفي سنة تسع عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام أرض الروم حتى وصل إلى بلونية([6])، وفي سنة إحدى وعشرين ومائة غزا مروان قلعة بيت السرير من بلاد أرمينية، ثم دخل غَوْمَسْك، وهو حصن " يكون فيه سرير الملك "(7)، ولم يترك القلعة حتى صالح ملكها(8)، ثم قاتل أهل طبرستان وفِيلان([9])، وصالحهم(10)

حاول خليفة إبراز دور هشام بن عبد الملك في جهاده ضد الخوارج، فأشار في أحداث سنة اثنتين وعشرين ومائة إلى خروج عبد الأعلى بن حديج(11)، وكذلك خروج ميسرة الحقير الصفري(12)، الذي مات في سنة أربع وعشرين ومائة ببلاد المغرب(13)، وفي سنة أربع وعشرين ومائة تحدث خليفة عن جهود هشام بن عبد الملك في إخماد ثورات البربر بالأندلس(14)، ثم إن خليفة لم ينسَ أن يترحم على هشام بن عبد الملك، وهو لم يعتد كثيراً على ذلك، ولعل في الأمر

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص345.

(2) المصدر نفسه، ص346. أَفْلُوغُونيا: مدينة كبيرة من بلاد الأرمن من نواحي إرمينية.ابن خياط، تاريخ،(المحقق)، ص346. الحموي، معجم، ج1، ص232.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص348.

(4) المصدر نفسه، ص348.

(5) المصدر نفسه، ص349.

(6) المصدر نفسه، ص349.

(7) المصدر نفسه، ص351.

(8) المصدر نفسه، ص351- 352.

(9) فِيلان: ولاية تقع بالقرب من باب الأبواب، وهي من نواحي بلاد الخزر. الحموي، معجم، ج4، ص286.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص352.

(11) المصدر نفسه، ص352- 353.

(12) المصدر نفسه، ص353.

(13) المصدر نفسه، ص354.

(14) المصدر نفسه، ص356.

إشارة إلى تقديره للخدمات الجليلة التي قدمها هشام حسب ما يرى خليفة، حيث يقول في أحداث خمس وعشرين ومائة: " فيها مات هشام بن عبد الملك بن مروان رحمه الله بالرصافة "([1])

وفي الختام قام بتسمية عمال هشام بن عبد الملك، وذكر من كان على الشرط والموسم والصائفة، كما وذكر قضاته، وكاتب رسائله والقائم على الخراج والجند والخاتم والخزائن وبيوت الأموال والحرس وحاجبه[2]

الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[3]، يكنى أبا العباس[4]، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي[5]، وُلد في سنة تسعين[6]، وقيل: سنة اثنتين وتسعين[7]، وعاش خمساً وثلاثين سنة([8])، وقيل: ستاً وثلاثين سنة[9]، وكان مقتله في سنة ست وعشرين ومائة([10])، وكانت مدة ولايته: سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً([11])، وهو الذي اختاره خليفة بن خياط([12])، ووافقه ابن عبد ربه([13])، وقيل: سنة وثلاثة أشهر([14])، وقيل: سنة وستة أشهر على الأشهر([15])

---

(1) تاريخ، ص356.

(2) المصدر نفسه، ص357- 362.

(3) الذهبي، سير، ج5، ص370.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص370.

(5) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص197. الذهبي، سير، ج5، ص373.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص363. الذهبي، سير، ج5، ص371.

(7) ابن خياط، تاريخ، ص363. الذهبي، سير، ج5، ص371.

(8) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص198.

(9) المصدر نفسه، ج5، ص198. الذهبي، سير، ج5، ص373.

(10) ابن خياط، تاريخ، ص363. ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص198. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص479. ابن كثير، البداية، ج13، ص168.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص363.

(12) المصدر نفسه، ص363.

(13) العقد، ج5، ص198.

(14) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص482. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص485. الذهبي، العبر، ج1، ص124؛ سير، ج5، ص373. ابن كثير، البداية، ج13، ص182. القلقشندي، مآثر، ج1، ص157. ابن العماد، شذرات، ج2، ص108. الخضري، الدولة، ص344.

(15) ابن كثير، البداية، ج13، ص182. الكبي، موسوعة، ج2، ص140.

تولى الوليد بن يزيد الخلافة لأن أباه عقد له " بالعهد من بعد هشام بن عبد الملك "[1]،

ولما ظهر من الوليد المجون والتهتك[2]، أضحى الوليد يزيد بن الوليد من أشد الناس عليه، وكان " الناس إلى قوله أميل، لأنه كان يظهر النسك ويتواضع "([3])، وأراد الناسُ يزيدَ بن الوليد ابن عبد الملك على البيعة، فشاور عمرو بن يزيد الحكمي، فقال له: " لا يبايعك الناس على هذا، وشاور أخاك العباس بن الوليد، فإنه سيد بني مروان، فإن بايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبيت إلا المضي على رأيك، فأظهر أن العباس قد بايعك "([4])، فجاء يزيد إلى أخيه العباس وشاوره بالأمر، فنهاه عن ذلك، فرجع يزيد ليبايع الناس سراً، وليبث دعاته بين الناس([5])، ثم عاد يزيد إلى أخيه العباس، ودعاه إلى نفسه، فزجره ونهاه([6])، بيد أن خليفة اكتفى بإيراد رواية تشير إلى أنّ الناس " لما أجمعوا على قتل الوليد، قلّدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان "([7])، وأنّ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك قد بايعه، لكنّ خليفة لم يروِ أي رواية تفيد بأن يزيد بن الوليد قد استشار عمرو بن يزيد الحكمي، وإنما روى بأن يزيد بن الوليد " أتى أخاه العباس ليلاً، فشاوره في قتل الوليد، فنهاه عن ذلك "([8])

ثم يروي خليفة أن يزيد بن الوليد أقبل ليلاً " حتى دخل دمشق في أربعين رجلاً "([9])، وقيل: " في سبعة نفر على حمير "([10])، ثم ذكر خليفة بأن يزيد بن الوليد وأصحابه " دخلوا على واليها، فأوثقوه "([11])، وسيطروا على بيت ماله([12])، في حين يروي ابن الأثير المشهد بطريقة مغايرة بعض الشيء، حيث يذكر بأن الخليفة ووالي دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج كانا قد غادرا دمشق إلى مشارفها خوفاً من الوباء، واستخلف الوالي عليها ابنه محمداً، وعلى شرطتها أبو العاج

---

(1) الذهبي، سير، ج5، ص371.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص467. الذهبي، العبر، ج1، ص124. ابن كثير، البداية، ج13، ص170. شذرات، ج2، ص110.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص479. ابن كثير، البداية، ج13، ص176.

(4) الطبري، تاريخ، ج7، ص237. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص481.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص481.

(6) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص475. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص481. ابن كثير، البداية، ج13، ص176.

(7) تاريخ، ص363.

(8) المصدر نفسه، ص363.

(9) المصدر نفسه، ص363.

(10) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص482.

(11) تاريخ، ص363.

(12) المصدر نفسه، ص363.

كثير بن عبد الله السُّلَميّ، فلما واتت الفرصة، أجمع يزيد على الظهور، بعد أن استولى على سلاح كثير، واعتقل كل من كان يحذره ويخاف منه، ومن بينهم محمد بن عبد الملك، فضلاً عن أبيه عبد الملك بن محمد، بعد أن أرسل يزيد بن الوليد بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن مصادف في مائتي فارس ليعتقلوه([1])

ويروي خليفة أن يزيد بن الوليد جهّز جيشاً بقيادة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك([2])، وأن مناديه نادى: " من انتدب إلى الوليد فله ألفان "([3])، فقام معه ألفا رجل([4])، وأرسله إلى الخليفة، فلما علم الخليفة بالأمر، توجه إلى البَخْراء([5]) قصر النعمان بن بشير، وتحصن فيه، وسار العباس إلى الوليد، لكن عبد العزيز أرسل منصور بن جمهور إلى طريقه، فأخذه عنوةً، وجاء به إلى عبد العزيز، فحبسه خلفه([6])، وطلبوا منه البيعة لأخيه يزيد، فوافق، ونادوا بأعلى صوتهم: " هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد "([7])

بيد أن خليفة روى أن منادي قائد الجيش نادى في الناس، فقال: " من أتى العباس بن الوليد فهو آمن، وهو بيننا وبينكم "([8])، فتوهم السامعون أن العباس بن الوليد مع عبد العزيز فتفرقوا عن الخليفة([9])، ولما رأى الخليفة انضمام الناس إلى عبد العزيز والعباس، أرسل إلى عبد العزيز من يقنعه بترك الأمر مقابل " خمسين ألف دينار، وولاية حمص ما بقي، ويؤمنه من كل حدث "([10])، لكنّ عبد العزيز رفض هذا العرض، واستعر القتال بين الطرفين، وروى خليفة أن أحدهم نادى في الجيش: " اقتلوا اللوطي قِتْلة قوم لوط "([11])، وفي رواية أخرى: " اقتلوا عدوَّ الله قِتْلةَ قوم لوط، ارموه بالحجارة "([12])، الأمر الذي أوجب على الخليفة الدخول إلى قصره والاعتصام بداخله([13])، وحاصر الثوار قصر الخليفة من كل جانب، ودنا الخليفة من الباب،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص482- 483.

(2) تاريخ، ص363- 364.

(3) المصدر نفسه، ص364.

(4) ابن خياط، تاريخ، ص364.

(5) وقيل: البَحْراء. ابن العماد، شذرات، ج2، ص108.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص364.

(7) ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص479. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص483.

(8) ابن خياط، تاريخ، ص364.

(9) المصدر نفسه، ص364.

(10) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص484.

(11) ابن خياط، تاريخ، ص364.

(12) الطبري، تاريخ، ج7، ص245. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص484.

(13) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص484.

وحاول أن يحاور الثائرين دون أن يتمكن من تحقيق أي نتيجة([1])، ثم رجع إلى الدار، وأخذ يقرأ في المصحف، وقال: " أُقْتَل كما قُتِل ابن عمي عثمان "([2])، أو قال:" يوم كيوم عثمان "([3])، لكن عشرة من الرجال كانوا قد تسوروا الدار، فقتلوه([4])

ثم ختم خليفة كلامه بتسمية عمال الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأسماء قضاته، ومن كان على الموسم، والصائفة، والشرط، والخراج والجند، والخاتم، والخزائن، وبيوت الأموال، والحاجب، والحرس([5])

وكان مقتل الوليد " بداية السير على طريق نهاية الدولة الأموية، وسقوطها على يد العباسيين، لأن هذا الحادث تم بتخطيط وإرادة الأمويين أنفسهم "([6])، كما كان " نذيراً بتفرّق شمل الأمويين، وسقوط دولتهم "([7])، وبه " فتح باب الفتنة داخل البيت الأموي ذاته "([8])، كما فتح في الوقت نفسه " باب الشؤم على بني أمية "([9])

---

(1) الطبري، تاريخ، ج7، ص246. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص480. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص484. ابن كثير، البداية، ج13، ص180. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص134.

(2) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص206. الحموي، معجم، ج1، ص356. الذهبي، سير، ج5، ص372- 373.

(3) الطبري، تاريخ، ج7، ص246. ابن مسكويه، تجارب، ج2، ص480. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص484. الصفدي، تحفة، ج1، ص164. ابن كثير، البداية، ج13، ص180. ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص134. حسن، تاريخ، ج1، ص272. العشماوي، الخلافة، ص138. بروكلمان، تاريخ، ص162. العش، الدولة، ص304.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص484. ابن كثير، البداية، ج13، ص180.

(5) المصدر نفسه، ص366- 368.

(6) زعرور، أحمد، تاريخ، ص122.

(7) الجميح، الأوضاع، ص160.

(8) عويس، بنو أمية، ص86.

(9) الخضري، الدولة، ص344.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك:

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان[1]، وأمه آفْريد[2] بنت فَيْروز بن يَزْدجِرْد بن شَهْريار ابن كسرى[3]، واكتفى خليفة بن خياط بقوله: " وأمه بنت يزدجرد بن كسرى "[4]، ويكنى أبا خالد[5]، ولد سنة ثمانين[6]، وبويع له في دمشق بعد مقتل الوليد بن يزيد، وذلك في سنة ست وعشرين ومائة[7]، حيث أنه " وثب على الخلافة، وقتل ابن عمه الوليد وتملَّك "[8]، وكان يلقب بالناقص لأنه " نقص الجُند من أرزاقهم "[9]، وقيل: إن مروان بن محمد كان قد سبه، فقال: الناقص ابن الوليد[10]، وقيل: إنما سمي بذلك " لنقصان كان في أصابع رجليه "[11]، أو " لقصر مُدَّته "[12]، رغم أن خليفة بن خياط أشار إلى لقبه هذا دون أن يذكر سبب التسمية[13]، وقد امتنع عن بيعته أهل حمص وأهل فلسطين " فقاتلهم حتى أذعنوا، ودخلوا تحت الطاعة "[14]، وتوفي في

---

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص367. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص250. الذهبي، سير، ج5، ص374. السيوطي، تاريخ، ص293. العلوي، فصول، ص234. العاوور، التاريخ، ص179.

(2) وقيل: شاهفرند بنت فيروز. السيوطي، تاريخ، ص293. وقيل: شاهفريد بنت فيروز. شاكر، التاريخ، ج4، ص289.

(3) الطبري، تاريخ، ج7، ص298. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص250. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499. الذهبي، سير، ج5، ص375. العاوور، التاريخ، ص179.

(4) تاريخ، ص368.

(5) ابن قتيبة، المعارف، ص367. الطبري، تاريخ، ج7، ص298. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص250. الذهبي، سير، ج5، ص374. الصفدي، تحفة، ج1، ص174. السيوطي، تاريخ، ص293.

(6) الذهبي، سير، ج5، ص376.

(7) ابن قتيبة، المعارف، ص367. الطبري، تاريخ، ج7، ص261. الذهبي، سير، ج5، ص375. ابن كثير، البداية، ج13، ص183. شعبان، صدر، ص174. العاوور، التاريخ، ص179.

(8) السيوطي، تاريخ، ص293.

(9) ابن قتيبة، المعارف، ص367. الطبري، تاريخ، ج7، ص299، ص261- 262. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص250. ابن كثير، البداية، ج13، ص183. شاكر، التاريخ، ج4، ص289.

(10) الطبري، تاريخ، ج7، ص299، ص262. ابن كثير، البداية، ج13، ص183. شاكر، التاريخ، ج4، ص289.

(11) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص250.

(12) الصفدي، تحفة، ج1، ص174.

(13) تاريخ، ص369.

(14) القلقشندي، مآثر، ج1، ص160.

سنة ست وعشرين ومائة([1])، وذلك بمرض الطاعون([2])، وهو ابن خمس أو ست وثلاثين سنة([3])، وقيل: وهو ابن اثنتين وأربعين سنة([4])، وقيل: وهو ابن ست وأربعين سنة([5])، وكانت ولايته ستة أشهر([6])، وقيل: كانت خمسة أشهر واثني عشر يوماً([7])

تحدث خليفة أن الخليفة يزيد بن الوليد قد بويع في سنة ست وعشرين ومائة، وذلك بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك(8)، ويليها مباشرة تحدث عن وفاته، فقال: " وفي هذه السنة مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان "(9)، ثم شرع خليفة في تسمية عمال يزيد بن الوليد، وقضاته، ومن كان على شرطته، وكاتب رسائله، والقائم على ديوان الخراج والجند، وخاتمه(10)

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ص369. الطبري، تاريخ، ج7، ص298. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499.

(2) الذهبي، سير، ج5، ص376.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص369.

(4) ابن قتيبة، المعارف، ص367.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص369. الطبري، تاريخ، ج7، ص298. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499.

(6) الطبري، تاريخ، ج7، ص298. الذهبي، سير، ج5، ص376. العلوي، فصول، ص234.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499. السيوطي، تاريخ، ص294.

(8) تاريخ، ص368.

(9) المصدر نفسه، ص369.

(10) المصدر نفسه، ص369- 371.

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك:

هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان([1])، ويكنى أبا إسحق([2])، بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص([3])، قيل: " إنه عهد إليه، وقيل: لا "([4])، وقيل: إنه تولى الخلافة بعد أنْ " أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لأخيه إبراهيم، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك "([5])، ثم أن إبراهيم بقي في الخلافة " سبعين ليلة، ثم خُلع، خرج عليه مروان بن محمد، وبويع، فهرب إبراهيم، ثم جاء وخلع نفسه من الأمر، وسلّمه إلى مروان، وبايع طائعاً، وعاش إبراهيم بعد ذلك إلى سنة اثنتين وثلاثين، فقُتل فيمن قُتل من بني أمية في وقعة السفاح "([6])، والحقيقة أن أمر الخلافة لم يتم له، " فكان يسلم عليه تارة بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما"([7])، لكنه مكث في الخلافة أربعة أشهر([8])، وقيل: سبعين يوماً([9])

استهل خليفة بن خياط حديثه عن إبراهيم بن الوليد ضمن أحداث سنة سبع وعشرين ومائة، وتحت عنوان " خبر بيعة مروان بن محمد، وخلع إبراهيم بن الوليد "([10])، قال:

" فيها وقعت الفتنة "([11])، ثم تحدث عن أن مروان بن محمد دعا الناس – وبعد مقتل الوليد بن يزيد – إلى مبايعة من يرضونه، فبايعوه([12])، ثم تحدث عن هذه المرحلة الانتقالية، موضحاً أن الأمر لم يستقم لإبراهيم بتاتاً، ولما لم يجد إبراهيم له طاعة من الناس، بايع مروان بن محمد، يقول خليفة بن خياط في أحداث سنة سبع وعشرين ومائة: " وفيها أتى إبراهيم بن الوليد مروانَ بن محمد بالجزيرة، فخلع نفسه وبايعه، فقبل منه وأمّنه، وسار إبراهيم فنزل الرَّقّة([13])

---

(1) السيوطي، تاريخ، ص295. العاوور، التاريخ، ص182.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499. السيوطي، تاريخ، ص295.

(3) السيوطي، تاريخ، ص295.

(4) المصدر نفسه، ص295.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص497- 498.

(6) السيوطي، تاريخ، ص295.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499. حسن، تاريخ، ج1، ص273.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص499.

(9) المصدر نفسه، ج4، ص499.

(10) تاريخ، ص372.

(11) المصدر نفسه، ص372.

(12) المصدر نفسه، ص372.

(13) الرَّقّة: مدينة مشهورة في بلاد الجزيرة، تقع على نهر الفرات، افتتحها سعد بن أبي وقاص حينما أرسل جيشاً بقيادة عياض بن غنم سنة سبعة عشر، وتسمى أحياناً: الرقة البيضاء. الحموي، معجم، ج3، ص58- 60.

على شاطئ الفرات، ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه، فأمنه فأتاه فبايعه، واستقامت لمروان بن محمد، وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع أشهراً "([1])

مروان بن محمد:

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية([2])، وأمه كردية يقال لها لُبابة جارية إبراهيم بن الأشتر النخعي([3])، حيث استحوذ عليها محمد بن مروان من عسكر إبراهيم بعد أن قتله([4])، " فولدت له مروان، ومنصوراً وعبد الله "([5])، ولد في سنة اثنتين وسبعين([6])، وهو آخر الخلفاء الأمويين([7])، ويكنى أبا عبد الملك([8])، يعرف بمروان الجعدي، وذلك نسبة إلى جعد بن درهم([9])، وبمروان الحمار([10])، لأنه كان معروفاً بالصبر في الحروب، فيقال: أصبر في الحرب من حمار([11])

ولما علم مروان بن محمد بموت يزيد الناقص، أنفق الأموال الطائلة، وقدم حلب في ثلاثين ألف فارس، فبايعوه أهلها، ثم توجه إلى حمص، حيث تقابل جيشه مع جيش الخليفة إبراهيم في مرج عذراء، وكانت الغلبة لجيش مروان([12])، وقتل أعوان الخليفة وليي العهد، بينما ثار شباب دمشق فقتلوا عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك([13])، وخلا الأمر لمروان بن محمد، وأذعن الناس له بالبيعة، بعد أن هرب الخليفة إبراهيم، والذي سرعان ما خلع نفسه، و" كتب بالبيعة إلى

---

(1) تاريخ، ص374.

(2) الذهبي، سير، ج6، ص74. الصفدي، تحفة، ج1، ص178. ابن كثير، البداية، ج13، ص262. شاكر، التاريخ، ج4، ص299. العاوور، التاريخ، ص183.

(3) الذهبي، سير، ج6، ص77. ابن كثير، البداية، ج13، ص262. العاوور، التاريخ، ص183.

(4) الذهبي، سير، ج6، ص77. ابن كثير، البداية، ج13، ص262. العاوور، التاريخ، ص183.

(5) الذهبي، سير، ج6، ص77.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص74. شاكر، التاريخ، ج4، ص299.

(7) ابن كثير، البداية، ج13، ص262.

(8) الذهبي، سير، ج6، ص74. الصفدي، تحفة، ج1، ص178. ابن كثير، البداية، ج13، ص262. شاكر، التاريخ، ج4، ص299.

(9) الذهبي، سير، ج6، ص74. شاكر، التاريخ، ج4، ص299. جعد بن درهم: هو مؤدب مروان بن محمد، وكان زنديقاً، لأنه أنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، أو أنه كلم موسى تكليماً، معتبراً أن ذلك غير جائز على الله. الذهبي، سير، ج5، ص433.

(10) الذهبي، سير، ج6، ص74. شاكر، التاريخ، ج4، ص299.

(11) الذهبي، سير، ج6، ص74. الصفدي، تحفة، ج1، ص178.

(12) الذهبي، سير، ج6، ص75.

(13) المصدر نفسه، ج6، ص75.

مروان الحمار، فأمَّنه، فسكن بالرقة خاملاً "([1])، وبويع مروان بن محمد بالخلافة في سنة سبع وعشرين ومائة([2])، وكانت ولايته – وفق رواية خليفة بن خياط – خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام([3])، وقيل: كانت خلافته "منذ سلّم إليه إبراهيم بن الوليد إلى أن بويع للسفاح خمس سنين وشهراً "([4])، وعاش مروان اثنتين وستين سنة([5])، وبمقتله " انتهت خلافة بني أمية، وبويع السفاح قبل مقتل مروان الحمار بتسعة أشهر "([6])، وفي أعقاب مقتله " هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى الحبشة، فقتلت الحبشة عبيد الله، وهرب عبد الله، ثم بعد مدة، ظفر به المنصور، فاعتقله "([7])

اهتم خليفة بتبيان جهود مروان بن محمد الرامية إلى تقوية الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية، حيث ذكر أن أهل حمص ودمشق ثاروا عليه، بيد أن مروان تغلب في النهاية عليهما([8])، ثم كيف استطاع في السنة نفسها القضاء على ثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وأخويه الحسن ويزيد ابني معاوية([9])

كما حاول خليفة إبراز دور مروان بن محمد في القضاء على الخوارج، فقد أشار إلى أنه لما مات سعيد بن بحدل الخارجي في سنة سبع وعشرين ومائة، جرى استخلاف الضحاك([10])، فاستعر القتال بين مروان والضحاك، حتى تمكن مروان من القضاء على ثورته في سنة ثمان وعشرين ومائة([11])، ثم خروج بسطام بن ليث الثعلبي بأذربيجان في سنة ثمان وعشرين ومائة([12])، وقتاله للحارث بن سريج والكرماني([13])، وخروج عبد الله بن يحيى الأعور الكندي الذي يسمى

---

(1) المصدر نفسه، ج6، ص75.

(2) الذهبي، سير، ج6، ص75. ابن كثير، البداية، ج13، ص262. العاوور، التاريخ، ص183.

(3) تاريخ، ص409.

(4) ابن كثير، البداية، ج13، ص263.

(5) الذهبي، سير، ج6، ص76.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص76.

(7) المصدر نفسه، ج6، ص77.

(8) تاريخ، ص374.

(9) المصدر نفسه، ص375.

(10) المصدر نفسه، ص375– 376.

(11) المصدر نفسه، ص375– 380.

(12) المصدر نفسه، ص381– 382.

(13) المصدر نفسه، ص383.

طالب الحق بحضرموت في سنة تسع وعشرين ومائة[1]، وكذلك قتاله لشيبان بن عبد العزيز اليشكري في سنة تسع وعشرين ومائة[2]

كما ركَّز خليفة الأضواء على الصراعات الداخلية التي نشأت بين العباسيين والدولة الأموية، حيث تتبع في أحداث إحدى وثلاثين ومائة خط سير المعارك بين الطرفين، والانتصارات التي حققها قحطبة بن شبيب، والهزائم التي لحقت بقوات نصر بن سيار، وخبر مقتل قحطبة في معاركه ضد القوات الأموية، ومواصلة ابنه الحسن قيادة الجيوش العباسية، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة[3]، وفي أحداث سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أورد خليفة بعض الروايات التي تطرقت إلى هروب مروان بن محمد إلى مصر، ومقتله فيها[4]، ثم وكعادته أنهى خليفة حديثه عن مروان بن محمد بتسمية عماله، وقضاته، ومن كان على الموسم، وشرطته، وكاتب رسائله، وخاتمه، وحاجبه[5]

---

(1) المصدر نفسه، ص384- 385.

(2) المصدر نفسه، ص387.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص396- 402.

(4) المصدر نفسه، ص403- 405.

(5) المصدر نفسه، ص405- 408.

نتائج الدراسة

نتائج الدراسة

خَلُصت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج، التي كان من أهمها:

1. أن خليفة بن خياط كان من المؤرخين الذين يتعسّر على قارئي تاريخه وطبقاته التعرف على فحوى آرائه وحقيقة موقفه حيال الأحداث والشخصيات، فضلاً عن الإلمام جلياً بطبيعة تفكيره ومساراته، وذلك بالنظر إلى أنه كان يكتب تاريخه في غالب الأوقات حَوْلياً بطريقة الرواية المسندة.
2. أن خليفة بن خياط دأب على النأي مراراً عن التطرق إلى تبيان دقائق الوقائع الجسيمة إبان الدولة الأموية، ولعل مرجع ذلك إلى منهجه الذي يتسم بالاختصار في عرض الأحداث.
3. أن خليفة أثناء سرده للمرويات التي نقلها عن شيوخه أظهر أنه يتمتع بموضوعيةٍ عاليةٍ في طرائق فكره، حيث تجلى ذلك من خلال سوقه لروايات معينة، لو لم يكن كما وصفه الباحث لما رواها أصلاً.
4. أن خليفة لم يقتصر في تلقيه العلم على التاريخ والأنساب، وإنما برع في علوم القرآن والحديث اللذين أخذهما عن الشيوخ الكبار، وأنه بلغ من الثقة والضبط ما جعل الإمام البخاري ينقل عنه في صحيحه.
5. أخذ خليفة بن خياط أكثرَ مروياته عن شيوخه المحدّثين البصريين، الذين عنوا بإيراد التفاصيل ذات الصلة بالسيرة النبوية، والفتوحات الإسلامية، واستجلاء طبيعة الفتوح، سواءً كانت عنوةً أم صلحاً، والذين دأبوا على تأويل الفتن التي عصفت بالأوضاع العامة للمسلمين تأويلاً يتساوق مع ميولهم السياسية.
6. أنه عصفت بالدولة الأموية جملةٌ من الوقائع الجليلة، والتي يمكن أن ترسم لنا ملامح بيّنة حيال التيار السائد في البلاد الإسلامية آنذاك، علاوةً على أنه يُظهّر مبلغ التحولات التي طالت الأمة في حينه، ما أفضى في خاتمة الأمر إلى القضاء على الخلافة الأموية.
7. أن حركات المعارضة التي قامت في وجه الحكومة المركزية في بلاد الشام، قد اتخذت مبدأ العنف شعاراً لها، حتى أن عدداً من هذه الحركات أظهر للعيان أن الخلافة الأموية يمكن أن يُصار أمرها إلى الزوال والأفول، فضلاً عن قدرة هذه الحركات على استنزاف طاقات الأمويين وهدر خيراتهم في حروب لم تقم في أغلبها بغية نصرة مظلوم، أو الإصلاح في الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.
8. أن ما أقدم عليه المختار الثقفي من تصفيات جسدية لخصوم آل البيت، قد ساهم في استجلاب الكثير من الأعداء والخصوم على نفسه، بيد أننا لا نغفل عن أنه وجّه ضربة

موجعة للمتنفذين في المجتمع الكوفي، فضلاً عن مناداته المتكررة في لزوم تحسين الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للموالي.

9. أن القضاء على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث أكّد بوضوح عدم قدرة العراقيين على استلاب مقاليد السلطة من الأمويين، وأنه لم يتبقَ أمامهم سوى القبول بحكمهم والإذعان لسلطانهم، زد على ذلك أن عبد الملك بن مروان أمسى بمقدوره تثبيت أركان دولته في أعقاب التخلص من منافسٍ عنيد كعبد الرحمن بن الأشعث.

10. أن الثورة التي قام بها يزيد بن المهلب لم تكن ثورة منظّمة أو مؤهلة للنجاح، بيد أنها أفادت العباسيين إفادة جمة، بعد أن رفدت الدعوة العباسية بخصوم كُثُر قاموا ضد البيت الأموي، من أبرزهم القبائل اليمنية التي كانت تعتبر أن الحرب ضد يزيد بن المهلب، ثم العمل على اجتثاث آل المهلب، إنما هي حرب عليها.

11. أن سوء التقدير الصادر عن ولاة الأمر حيال خطورة الدعوة العباسية، فضلاً عن النزاعات الداخلية بين الولاة أنفسهم، وكذلك الصراعات داخل البيت الأموي ذاته، كل ذلك – وغيره – قد تسبب يقيناً في ضياع أمجاد الأمويين.

12. لقد أولى خليفة مسألة الفتوح الإسلامية أهمية بالغة، إذ أنه كان لا يتوانى عن سرد تطورات الموقف العسكري الإسلامي على جبهات القتال سنةً بسنة، ما يعني إجمالاً أن خليفة كان من المعجبين بأمرها، وبحجم الإنجازات التي تحققت في عهد بني أمية.

13. أن اهتمام خليفة بأمور الدواوين والقضاء والحجابة وغيرها، إنما اقتصر على ذكر مَنْ تقلّد هذه الوظائف لدى خلفاء بني أمية، دون أن يعرّج على تعريف أيٍّ منها، أو طبيعته، أو الشروط الواجب توفرها فيمن يعتليها، أو حدود صلاحيات المتصرفين فيها، ..هذا دون أن يُحط هذا التوصيف من قدر إسهاماته المذكورة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر:

- **القرآن الكريم.**
- **ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد(ت: 630هـ/1232م):**

2) أسد الغابة في معرفة الصحابة، 7 أجزاء، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/ 1994م.

3) الكامل في التاريخ، 10 أجزاء، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ/ 1987م.

4) اللباب في تهذيب الأنساب، 3 أجزاء، بغداد، مكتبة المُثَنَّى.

- **ابن الأشعث، سليمان(ت: 275هـ/888م):**

5) سؤالات أبي عبيد الآجري، جزءان، دراسة وتحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكة المكرمة وبيروت، مكتبة دار الإستقامة ومؤسسة الريان، ط1، 1418هـ/ 1997م.

- **البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(ت: 256هـ/869م):**

6) التاريخ الكبير، 8 أجزاء، بيروت، دار الكتب العلمية.

7) صحيح البخاري، 6 أجزاء، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م.

- **البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(ت: 463هـ/1070م):**

8) السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد، تحقيق وتعليق: محمد بن مطر الزهراني، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط2، 1421هـ/ 2000م.

9) موضح أوهام الجمع والتفريق، جزءان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1379هـ/ 1960م.

- **البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت: 429هـ/1037م):**

10) الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1416هـ/ 1995م.

- **البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(ت: 487هـ/1094م):**

11) المسالك والممالك، جزءان، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/ 2003م.

12) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 4 أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1403هـ.

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت: 279هـ/892م):**

13) أنساب الأشراف، 13 جزءاً، تحقيق وتقديم: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1417هـ/ 1996م.

14) فتوح البلدان، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ/ 1991م.

- **الترمذي، محمد بن عيسى(ت:279هـ/892م):**

15) علل الترمذي الكبير، تحقيق وتعليق: السيد صبحي السامرائي والسيد أبو المعاطي النوري، ومحمود محمد خليل الصعيدي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ/ 1989م.

- **ابن تَغْري بَرْدي، يوسف(ت: 874هـ/1469م):**

16) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16 جزءاً، تعليق وتقديم: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/ 1992م.

- **الجاحظ، عمرو بن بحر(ت:):**

17) رأي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في معاوية والأمويين، نشر وتصحيح وكتابة هوامش: عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1946م.

- **ابن جعفر، قدامة(ت: 328هـ/939م):**

18) الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد، 1981م.

- **ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت: 597هـ/1200م):**

19) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 18 جزءاً، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ/ 1992م.

- **ابن حبان، محمد بن أحمد(ت: 354هـ/965م):**

20) الثقات، 9 أجزاء، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1402هـ/ 1982م.

21) مشاهير علماء الأمصار، بيروت، دار الكتب العلمية، تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ/ 1995م.

- **ابن الحجاج، مسلم(ت: 261هـ/874م):**

22) صحيح مسلم، 5 أجزاء، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت: 852هـ/1448م):**

23) الإصابة في تمييز الصحابة، 8 أجزاء، بيروت، دار الكتب العلمية.

24) تغليق التعليق على صحيح البخاري، دراسة وتحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القَزْقي، المكتب الإسلامي.

25) تقريب التهذيب، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

26) تهذيب التهذيب، 4 أجزاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، إعتناء: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد.

27) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، 13 جزءاً، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ط1، 1421هـ/ 2001م.

28) لسان الميزان، 9 أجزاء، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1423هـ/ 2002م.

29) نزهة الألباب في الألقاب، جزءان، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ/ 1989م.

30) هدي الساري مقدمة فتح الباري، تحقيق وتعليق: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ط1، 1421هـ/ 2001م.

- **ابن حجر الهيثمي، أحمد(ت: 974هـ/1566م):**

31) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، اسطنبول، دار الحقيقة، 1424هـ/ 2003م.

- **ابن حزم، علي بن أحمد(ت: 456هـ/1063م):**

32) الفصل في الملل والأهواء والنحل، 5 أجزاء، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، ط2، 1416هـ/ 1996م.

- **ابن حَمْدويه، محمد بن عبد الله (ت: 405هـ/1014م):**

33) المدخل إلى الصحيح، 4 أجزاء، عجمان، مكتبة الفرقان، ط1، 1421هـ/ 2001م.

- **الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت: 626هـ/1228م):**

34) معجم البلدان، 5 أجزاء، بيروت، دار صادر، 1397هـ/ 1977م.

- **ابن حنبل، أحمد(ت: 241هـ/855م):**

35) مسند أحمد، 6 أجزاء، جمهورية مصر العربية، مؤسسة قرطبة.

- **ابن حيان، عبد الله بن محمد بن جعفر(ت: 369هـ/979م):**

36) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، 4 أجزاء، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1412هـ/ 1992م.

- **ابن حيّان، وكيع بن محمد بن خلف(ت: 306هـ/918م):**

37) أخبار القضاة، 3 أجزاء، بيروت، عالم الكتب.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت: 808هـ/1405م):**

38) تاريخ بن خلدون، 7 أجزاء، ضبط المتن ووضع الحواشي ومراجعة: خليل شحادة، وسهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/ 2000م.

39) مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، ومراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/ 2001م.

- **ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت: 681هـ/1282م):**

40) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1397هـ/ 1977م.

- **خليفة، حاجي(ت: 1067هـ/1656م):**

41) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جزءان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- **ابن خياط، خليفة(ت: 240هـ/854م):**

42) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط2، 1405هـ/ 1985م.

43) الطبقات، تحقيق وتقديم: أكرم ضياء العمري، بغداد، مطبعة العاني، ط1، 1387هـ/ 1967م.

- **ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير بن حرب(ت:279هـ/892م):**

44) التاريخ الكبير، 4 أجزاء، تحقيق، صلاح بن فتحي هلل، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ/ 2004م.

- **الدينوري، أحمد بن داود(ت: 282هـ/895م):**

45) الأخبار الطوال، تحقيق: عصام محمد الحاج علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/ 2001م.

- **الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت: 748هـ/1347م):**

46) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 52 جزءاً، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1409هـ/1989م.

47) تذكرة الحفاظ، 4 أجزاء، اعتناء: السيد مصطفى علي، حيدر آباد، دائرة المعارف العامة.

48) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 11 جزءاً، تحقيق: غنيم عباس غنيم ومجدي السيد أمين وأيمن سلامة، القاهرة، مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ/ 2004م.

49) سير أعلام النبلاء، 23 جزءاً، تحقيق وتخريج أحاديث وتعليق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/ 1985م.

50) العبر في خبر من غبر، 4 أجزاء، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ/ 1985م.

51) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، جزءان، تقديم وتعليق: محمد عوامة، جدة، مؤسسة دار القبلة للثقافة الإسلامية.

52) المشتبه في الرجال، جزءان، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1962م.

53) المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، جزءان، المدينة المنورة، إحياء التراث الإسلامي، 1408هـ.

54) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، 7 أجزاء، دراسة وتحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ/ 1995م.

- **الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس(ت: 327هـ/938م):**

55) الجرح التعديل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1371هـ/ 1952م.

- **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت: 721هـ/1321م):**

56) مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، 1415هـ/ 1995م.

- **ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد(ت: 795هـ/1392م):**

57) الاستخراج لأحكام الخراج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ/ 1985م.

- **ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة(ت: 251هـ/865م):**

58) كتاب الأموال، 3 أجزاء، تحقيق: شاكر ذيب فيّاض، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1406هـ/1986م.

- **ابن سعد الزهري، محمد(ت: 230هـ/844م):**

59) الطبقات الكبير، 10 أجزاء، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتب الخانجي، ط1، 1421هـ/ 2001م.

- **السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور(ت: 562هـ/1166م):**

60) الأنساب، 5 أجزاء، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، ط1، 1408هـ/ 1988م.

61) التحبير في المعجم الكبير، جزءان، تحقيق: منيرة ناجي سالم.

- **السهمي، حمزة بن يوسف بن إبراهيم(ت: 427هـ/1035م):**

62) تاريخ جرجان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1369هـ/ 1950م.

- **السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد(ت: 911هـ/1505م):**

63) تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1395هـ/ 1975م.

64) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جزءان، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ط2، 1392هـ/ 1972م.

65) طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1415هـ/ 1994م.

- **الصالحي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي(ت: 744هـ/1343م):**

66) طبقات علماء الحديث، 4 أجزاء، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1417هـ/ 1996م.

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت: 764هـ/1362م):**

67) تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، جزءان، تحقيق: إحسان بن سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، دمشق، لإحياء التراث العربي، 1991م.

68) الوافي بالوفيات، 29 جزءاً، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ/ 2000م.

- **ابن طاهر، مطهر(ت: 507هـ/1113م):**

69) البدء والتاريخ، 6 أجزاء، القاهرة، مكتبة الثقافية الدينية.

- **الطبري، محمد بن جرير(ت: 310هـ/922م):**

70) تاريخ الرسل والملوك، 10 أجزاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط2.

- **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد(ت: 328هـ/939م):**

71) العقد الفريد، 8 أجزاء، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ/ 1983م.

- **ابن عدي، أحمد عبد الله(ت: 365هـ/975م):**

72) الكامل في ضعفاء الرجال، 9 أجزاء، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوَّض وعبد الفتاح أبو سنّة، بيروت، دار الكتب العلمية.

- **ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت: 543هـ/1148م):**

73) العواصم من القواصم، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ط5، 1399هـ.

- **ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله(ت: 571هـ/1175م):**

74) تاريخ مدينة دمشق، 74 جزءاً، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1995م.

- **العقيلي، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد(ت: 322هـ/933م):**

75) الضعفاء، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي، 4 أجزاء، الرياض/ دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ/ 2000م.

- **ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت: 1089هـ/1678م):**

76) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10 أجزاء، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1408هـ/ 1988م.

- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد(ت: 580هـ/1184م):

77) الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم: قاسم السامرائي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 1419هـ/ 1999م.

- **ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(ت: 276هـ/889م):**

78) المعارف، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4.

- **القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت: 671هـ/1272م):**

79) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/ 2006م.

- **القرماني، أحمد بن يوسف(ت: 1019هـ/1610م):**

80) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، 3 أجزاء، دراسة وتحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1412هـ/ 1992م.

- **القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر(ت: 454هـ/1062م):**

81) عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، دراسة وتحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، مكة المكرمة، 1415هـ/ 1995م.

- **القلقشندي، أحمد بن علي(ت: 821هـ/1418م):**

82) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 14 جزءاً، تصحيح: محمد عبد الرسول إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1340هـ/ 1922م.

83) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، 3 أجزاء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب.

84) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية.

- **ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت: 774هـ/1372م):**

85) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 20 جزءاً، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ/1998م.

- **الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين(ت: 398هـ/1007م):**

86) رجال صحيح البخاري، جزءان، تحقيق: عبد الله الليثي، بيروت، دار المعرفة، ط1، 1407هـ/ 1987م.

- **ابن أنس، مالك(ت: 179هـ/795م):**

87) موطأ مالك، جزءان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، جمهورية مصر العربية، دار إحياء التراث العربي.

- **الماوردي، علي بن محمد (ت: 450هـ/1058م):**

88) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، 1409هـ/ 1989م.

89) نصيحة الملوك، تحقيق: خضر محمد خضر، الكويت، مكتبة الفلاح، ط1، 1403هـ/ 1983م.

- **المزي، يوسف بن الزكيّ عبد الرحمن بن يوسف(ت: 742هـ/1341م):**

90) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 35 جزءاً، تحقيق وضبط نص وتعليق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ/ 1987م.

- **ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب(ت: 421هـ/1030م):**

91) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، 7 أجزاء، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/ 2003م.

- **المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت: 845هـ/1441م):**

92) الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق: جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1420هـ/ 2000م.

- **المناوي، محمد عبد الرؤوف(ت: 1031هـ/1621م):**

93) التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1410هـ.

- **ابن مَنْدة، محمد بن إسحق(ت: 395هـ/1004م):**

94) أسامي مشايخ الإمام البخاري، تحقيق وتقديم: نظر محمد الفاريابي، المملكة العربية السعودية، مكتبة الكوثر، ط1، 1412هـ/ 1991م.

- **ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: 711هـ/):**

95) لسان العرب، 15 جزءاً، بيروت، دار صادر، ط1.

- **ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحق(ت: 385هـ/995م):**

96) الفهرست، بيروت، دار المعرفة، 1398هـ/ 1978م.

• **النووي، يحيى بن شرف بن مُرّي بن حسن(676هـ/1277م):**

97) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 18 جزءاً، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1347هـ/ 1929م.

• **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحق بن جعفر(ت: 284هـ/ 897م):**

98) البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/ 2002م.

ثانياً/ المراجع العربية:

- **الأبياري، إبراهيم:**

1) ميلاد دولة، القاهرة، مكتبة الآداب، 1959م.

- **أحمد، مصطفى أبو ضيف:**

2) دراسات في تاريخ الدولة العربية، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ط4، 1986م.

- **الأصيبعي، محمد إبراهيم:**

3) الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث.

- **الألوسي، محمود(ت: 1270هـ/1853م):**

4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 30 جزءاً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- **أمين، أحمد:**

5) فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط10، 1969م.

- **الأمين، حسن:**

6) إطلالات على التاريخ، ط1، 1421هـ/ 2000م.

- **الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل:**

7) نظام الحكم في الإسلام، قطر، دار قطري بن الفجاءة، 1405هـ/ 1985م.

- **إبراهيم أنيس وآخرون:**

8) المعجم الوسيط، جزءان، دار الفكر، ط1.

- **البغدادي، إسماعيل باشا:**

9) هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، جزءان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1951م.

- **بيضون، إبراهيم:**

10) تاريخ بلاد الشام، دار المنتخب العربي، بيروت، 1995م.

11) مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط1، 1416هـ/ 1995م.

12) ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، بيروت، دار النهضة العربية، 1979م.

- **ترحيني، محمد أحمد:**

13) المؤرخون والتأريخ عند العرب، بيروت، دار الكتب العلمية.

• **الثعالبي، عبد العزيز:**

14) تاريخ شمال أفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1410هـ/ 1990م.

• **الجابي، بسام عبد الوهاب:**

15) معجم الأعلام، الجفّان والجابي، ط1، 1407هـ/ 1987م.

• **حسن، حسن إبراهيم:**

16) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، 4 أجزاء، بيروت، دار الجيل، ط14، 1416هـ/ 1996م.

• **حسين، طه:**

17) علي وبنوه، دار المعارف، ط13، 1999م.

• **الحسيني، محمد:**

18) مقاتل الأمويين، مراجعة: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، بيروت، مؤسسة البلاغ، ط1، 1411هـ/ 1990م.

• **الخربوطلي، علي حسني:**

19) الإسلام والخلافة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1969م.

20) تاريخ الكعبة، بيروت، دار الجيل، ط3، 1411هـ/ 1991م.

• **خضر، عبد العليم عبد الرحمن:**

21) المسلمون وكتابة التاريخ، لندن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1415هـ/ 1995م.

• **الخضري، محمد:**

22) الدولة الأموية، تحقيق: محمد العثماني، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم،

• **خماش، نجدت:**

23) الشام في صدر الإسلام، دمشق، دار طلاس، ط1، 1987م.

• **دكسن، عبد الأمير عبد حسين:**

24) الخلافة الأموية، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1973م.

• **الدهاس، فواز علي بن جنيدب:**

25) مروان بن الحكم مؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية، مكة المكرمة، ط1، 1425هـ/ 2004م.

• **الريس، ضياء الدين:**

26) عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1381هـ/ 1962م.

• **الريس، محمد ضياء الدين:**

27) النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة، دار التراث، ط7.

• **الزركلي، خير الدين:**

28) الأعلام، 8 أجزاء، بيروت، دار العلم للملايين، ط8، 1989م.

• **زعرور، إبراهيم، أحمد، علي:**

29) تاريخ العصر الأموي والسياسي والحضاري، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1416هـ/ 1995م.

• **زيدان، جرجي:**

30) تاريخ التمدن الإسلامي، 5 أجزاء، بيروت، دار مكتبة الحياة.

• **سالم، السيد عبد العزيز:**

31) تاريخ الدولة العربية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر.

• **سرور، محمد جمال الدين:**

32) الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة، ط6، 1399هـ/ 1979م.

• **شاكر، محمود:**

33) التاريخ الإسلامي، 10 أجزاء، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1402هـ/ 1982م.

• **شاهين، حمدي:**

34) الدولة الأموية المفترى عليها، القاهرة، دار القاهرة للكتاب،2001م.

• **شعبان، محمد عبد الحي محمد:**

35) صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1987م.

• **الشكعة، مصطفى:**

36) إسلام بلا مذاهب، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط11، 1416هـ/ 1996م.

• **شمس الدين، محمد مهدي:**

37) أنصار الحسين، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط3، 1417هـ/ 1996م.

• **شهلة، إيلي منيف:**

38) الأيام الأخيرة في حياة الخلفاء، مراجعة وتقديم: محمد عبد الرحيم، دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 1418هـ/ 1998م.

• **الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت: 1255هـ/1839م):**

39) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل.

- **عاصي، حسين:**

40) خليفة بن خياط في تاريخه وطبقاته، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/ 1993م.

- **العاوور، صلاح حسن:**

41) التاريخ السياسي للخلافة الأموية، غزة، مطبعة منصور، ط1، 1414هـ/ 1993م.

- **عبد الفتاح، صفاء حافظ:**

42) ضياع بني أمية في عصر الخلافة، جمهورية مصر العربية، 1991م.

- **ابن عرفات، مجدي بن محمد:**

43) إسعاف القاري بمعجم شيوخ الإمام البخاري، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1416هـ.

- **العش، يوسف:**

44) الدولة الأموية، دمشق، دار الفكر، ط2، 1406هـ/ 1985م.

- **العشماوي، محمد سعيد:**

45) الخلافة الإسلامية، القاهرة، سينا للنشر، ط2، 1992م.

- **عطوان، حسين:**

46) الدعوة العباسية، مبادئ وأساليب، بيروت، دار الجيل، 1984م.

- **العقاد، عباس محمود:**

47) أبو الشهداء الحسين بن علي، القاهرة، نهضة مصر، ط8، 2006م.

- **العلوي، هادي:**

48) فصول من تاريخ الإسلام السياسي، نيقوسيا، شركة F.K.A المحدودة للنشر، ط2، 1999م.

- **علي، أحمد إسماعيل:**

49) تاريخ بلاد الشام، دمشق، دار دمشق، ط3، 1994م.

- **عمار، جمال فوزي محمد:**

50) التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، دار القاهرة، القاهرة، ط1، 2001م.

- **عمر، فاروق:**

51) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، بغداد، مكتبة النهضة، ط2، 1985م.

- **عودة، محمد عبد الله، وآخرون:**

52) مختصر التاريخ الإسلامي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 1989م.

- **عويس، عبد الحليم:**

53) بنو أمية بين السقوط والانتحار، القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ط1، 1407هـ/ 1987م.

• **العيس، سالم سليمان:**

54) المعجم المختصر للوقائع، دمشق، دار النمير للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

• **عيسى، رياض:**

55) الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، دمشق، ط1، 1412هـ/ 1992م.

• **الغلبان، منير محمد:**

56) معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد، دمشق، دار القلم، ط1، 1400هـ/ 1980م.

• **قطب، سيد:**

57) العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة، دار الشروق، ط13، 1413هـ/ 1993م.

• **الكبي، زهير:**

58) موسوعة خلفاء المسلمين، جزءان، بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1994م.

• **الكتاني، محمد بن جعفر(ت: 1345هـ/1926م):**

59) الرسائل المستطرفة، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

• **الكتاني، محمد عبد الحي(ت: 1382هـ/1962م):**

60) التراتيب الإدارية، جزءان، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط2.

• **كحالة، عمر رضا:**

61) معجم المؤلفين، 4 أجزاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1414هـ/ 1993م.

62) معجم مصنفي الكتب العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1406هـ/ 1986م.

• **مؤنس، حسين:**

63) أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1407هـ/1987م.

• **محمد، علي جمعة:**

64) المكاييل والموازين الشرعية، القاهرة، القدس للإعلان والنشر والتسويق، ط2، 1421هـ/2001م.

• **محمد، نبيلة حسن:**

65) تاريخ الدولة العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993م.

• **مصطفى، مسعود أحمد:**

66) أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

• **مصطفى، شاكر:**

67) التاريخ العربي والمؤرخون، 3 أجزاء، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1983م.

• **معروف، أحمد سليمان:**

68) قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم، دمشق، دار طلاس، ط1، 1988م.

• **المغربي، علي عبد الفتاح:**

69) الفرق الكلامية الإسلامية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1415هـ/1995م.

• **المناوي، عبد الرؤوف:**

70) فيض القدير شرح الجامع الصغير، 6 أجزاء، جمهورية مصر العربية، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356هـ/1937م.

• **المودودي، أبو الأعلى:**

71) الخلافة والملك، تعريب: أحمد إدريس، الكويت، دار القلم، ط1، 1398هـ/ 1978م.

• **النجار، محمد الطيب:**

72) تاريخ العالم الإسلامي: الدولة الأموية في الشرق، الرياض، مكتبة المعارف، ط3، 1406هـ/ 1985م.

• **أبو النصر، عمر:**

73) عبد الملك بن مروان، بيروت، المكتبة الأهلية، ط1، 1962م.

• **واصف، أمين:**

74) معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد ذكي باشا، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 1916م.

ثالثاً/ الرسائل العلمية:

- **الأحمد، ناصر بن محمد بن عبد الله:**

1) حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية، 1429هـ/ 2008م.

- **الحميضي، عبد الرحمن إبراهيم عبد العزيز:**

2) القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، مكة المكرمة، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، ط1، 1409هـ/1989م.

- **المصري، جميل عبد الله:**

3) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية، القاهرة، هجر للطباعة والنشر، 1989م.

- **الناطور، شحادة علي:**

4) تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، إربد، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/ 1996م.

رابعًا/ الدوريات:

- **الأمين، حسن عبد الله:**

1) " تعليق على بحث كوثر الابجي (المبادئ الإسلامية في الخراج) "، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المجلد الأول، العدد الثاني، 1404هـ/ 1984م.

- **الجميح، إبراهيم عبد العزيز:**

2) " الأوضاع السياسية لبلاد عمان في العصر الأموي "، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، الإصدار التاسع، العدد الأول، 1416هـ.

3) " مظاهر النشاط الاقتصادي في مواسم الحج في العصر الأموي "، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، الإصدار السابع، العدد الأول، 1414هـ.

- **الدفاع، علي عبد الله:**

4) " حكيم بني أمية خالد بن يزيد بن معاوية "، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، السنة التاسعة، العدد الرابع، 1404هـ/ 1984م.

- **السباعي، هاني:**

5) " خليفة بن خياط ومنهجه في كتابة التاريخ "، مجلة نداء الإسلام، أستراليا، السنة الثامنة، العدد الثاني، 1422هـ/ 2001م.

- **السيد، رضوان:**

6) " الكاتب والسلطان "، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد الرابع، 1989م.

- **صقر، عطية:**

7) " خلافة يزيد وحق الحسين "، العروة الوثقى، العدد السادس والثلاثون، 1403هـ/ 1982م.

عباس، إحسان:

8) " عبد الملك بن مروان ودوره في ثقافة عصره "، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، 1406هـ/ 1986م.

- **بنت عبد الحفيظ، حسنة:**

9) " بيت المال نشأته وتنظيمه في الإسلام "، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، السنة الرابعة، العدد الثامن، 1421هـ.

- **عبد الوهاب، أحمد حمدان:**

10) " معاوية بن أبي سفيان المؤسس الأول للدولة الأموية "، مجلة نور اليقين، جمعية تحفيظ القرآن الكريم بقطاع غزة، السنة الثانية، العدد الثاني، 1383هـ/ 1963م.

• **العبوشي، مصطفى:**

11) " شهيد كربلاء الحسين بن علي بن أبي طالب "، مجلة الإسراء، دار الفتوى والبحوث الإسلامية في القدس والديار الفلسطينية، العدد الرابع عشر، 1418هـ/ 1997م.

• **العقيلي، عمر سليمان:**

12) " مبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد "، مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، 1985م.

• **الغصن، سليمان بن صالح:**

13) " الخوارج "، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن والأربعون، 1425هـ.

• **قدومي، مروان:**

14) " نبذة عن بيت المال في الإسلام "، مجلة هدى الإسلام، إدارة الأوقاف والشئون الإسلامية، العدد الأول، 1406هـ.

• **الملحم، محمد بن ناصر بن أحمد:**

15) " موقف كسيلة بن لمزم من الفتح الإسلامي للمغرب "، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد الأول، العدد الأول، 1420هـ/ 2000م.

• **منشد، مجيد خلف:**

16) " مرويات خليفة بن خياط في الجامع الصحيح للبخاري "، مجلة حضرموت للدراسات والبحوث، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، اليمن، السنة الثالثة، العدد الخامس، 2003م.

• **ابن منيع، عبد الله بن سليمان:**

17) " القضاء في الإسلام "، مجلة البحوث الإسلامية، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، العدد الثامن، 1404هـ/ 1983م.

• **الوقاد، محاسن:**

18) " الحجابة زمن سلاطين المماليك "، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، المجلد الثالث، 2003م.

خامساً/ المراجع المترجمة:

- **بروكلمان، كارل:**

1) تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1968م.

- **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن(ت: 902هـ/1496م):**

2) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح أحمد العلى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ/ 1986م.

- **سَزكين، فؤاد:**

3) تاريخ التراث العربي، 9 أجزاء، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، 1411هـ/ 1991م.

- **فلهوزن، يوليوس:**

4) تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة وحسين مؤنس، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1968م.

- **فياض، علي أكبر:**

5) تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، القاهرة، مركز النشر لجامعة القاهرة، ط1، 1993م.

ABSTRACT

This study dealt with the Khalifa ibn Khayyat views in the succession of the Umayyad of Khalifa bin Khayyat and his nickname, his time and belief, his scientific background and culture, his works that reached us: the book of ALTABAKAT, and the History book, and his method in writing both, and his sources in writing history.

It also traced the attitudes of Khalifa ibn Khayyat of the great events in the Umayyad succession: Hasan ibn Ali's succession and the year of Islamic Unity, the killing of Hajar Bin Udai, assignment of Yazeed as a crown-prince, Alharrah battle, the burning of the Kaaba, and finally Jabiya Conference.

The study dealt with the attitude of Khalifa ibn Khayyat towards the opposition movements in the Umayyad succession: Alkhawarej, the revolution of Al-Hussein, the revolution of Al-Mukhtar Thaqafi, the movement of Abdullah bin Zubair, rebellion of Amr bin Said, the revolution of Abdul Rahman bin Alashaath, and the revolution of Yazeed binMuhallab,and the case of Abbasid.

This study also interested in Khalifa ibn Khayyat's attitudes of the most prominent administrative and military organizations of the Umayyad succession, such as crown-princedom, the judiciary, janitorial, leadership of pilgrimage, the Office of messages, the Office of stamping, the Office of Finance House, the Office of income and soldiers, and police.

This study indicated the relationship between Umayyad Caliphs and their governors, as well as the attitudes of Khalifa to Umayyad Caliphs. At the end of study, some findings were mentioned in addition to the sources and historical references adopted by the researcher in the study.

Islamic University of Gaza
Graduate Studies
Faculty of Arts
Department of History



Master Degree Titled in

Khalifa ibn Kayyat's Attitudes towards the Umayyad Succession

(41 – 132هـ/ 661 – 749م)

Prepared by Researcher/
Khalil Naim Khalil Hassan

Supervised by/
Prof.Dr. Riyad Mustafa Shaheen

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Islamic History, Faculty of Graduate Studies, at the Islamic University of Gaza, Palestine

2010/1431